

جامعة المنصورة
كلية الآداب
قسم التاريخ

مدن مصر الصناعية والتجارية فى العصر الأيوبى

(٥٦٧ _ ٦٤٨ هـ / ١١٧١ _ ١٢٥٠ م)

رسالة مقدمة من الطالبة

نجلاء مصباح عبد العال الحسيني

لنيل درجة الماجستير فى التاريخ الإسلامي

تحت إشراف

الأستاذ الدكتور
محمد عيسى الحريري
أستاذ التاريخ الإسلامي المتفرغ
بآداب المنصورة

الدكتور
شلبي إبراهيم الجعيدي
أستاذ التاريخ الإسلامي المساعد
بآداب المنصورة

٢٠٠٦م



بسم الله الرحمن الرحيم

﴿قالوا سبحانك لا علم لنا
إلا ما علمتنا إنك أنت
العليم الحكيم﴾

صدق الله العظيم

(البقرة آية ٣٢)

المقدمة

على الرغم من قيام الدولة الأيوبية(٥٦٧- ٦٤٨هـ / ١١٧١ - ١٢٥٠م) فى مصر فى ظروف جعلت منها دولة حربية وقع على كاهلها عبء الجهاد ضد الصليبيين إلا أن نشأتها العسكرية وصبغتها بالطابع الحربي لم يمنع اهتمام السلاطين الأيوبيين بكافة النواحي الاقتصادية فى مصر سواء في الصناعة ،والتجارة ،والزراعة، ذلك الأمر الذي انعكس على توجيه حركة اقتصاد المدن الصناعية والتجارية، وذلك ما ستكشف عنه تلك الدراسة **(مدن مصر الصناعية والتجارية في العصر الأيوبي)** .

وترجع أهمية الدراسة إلى تناولها عدداً كبيراً من مدن مصر الصناعية والتجارية بالوجه القبلي والبحري في العصر الأيوبي . حيث يتناول الموضوع حركة الصناعة والتجارة لمدن مصر . وكيف كان للحروب الصليبية دور وأثر على نشاطها التجاري في المدن ،وكيف لجأت المدن الإيطالية لمساعدة الفرنجة رغبة في حصولها على مكاسب تجارية في المدن الثغرية المصرية .

كما تكمن أهمية الموضوع في توضحه أن الصناعة والتجارة لم تتوقف في المدن الثغرية بسبب الحروب الصليبية بل كانت تلك الحروب حافزاً لقيام سلاطين الأيوبيين لعقد معاهدات تجارية مع المدن الإيطالية ، والإمارات الصليبية في بلاد الشام . وذلك للحصول على السلع التي تخدم الحرب .

كما ترجع أهمية الموضوع فى توضيحه لأهمية تجارة الكارم أو تجارة المرور ، ومرورها بمدن مصر في العصر الأيوبي ، والتي كان يتم تبادلها مع مدن الغرب الأوربي والتي بدورها كانت تمد مدن مصر بالسلع الخاصة بالحرب . إلى جانب مدى انتعاش عدد كبير من الصناعات في مدن مصر في العصر الأيوبي كصناعة السفن ، وصناعة المنسوجات ، والأسلحة ، وسك العملة ، وغيرها ومدى الرواج التجاري بين مدن الوجه البحري والقبلي .

أما عن الدراسات السابقة : فلم ترد إلى الآن دراسة متكاملة عن مدن مصر الصناعية والتجارية في العصر الأيوبي . والتي قد سبقها دراسة لصفى محمد عبد الله عن مدن مصر الصناعية في العصر الإسلامي من الفتح إلى نهاية عصر الفاطميين (٢١- ٥٦٧ هـ / ٦٤١ - ١١٧١ م) . وقد وردت في العصر الأيوبي دراسات مختلفة تحدثت بشكل عام عن العصر كدراسة : محمد عبد الستارالبنا: "أحوال مصر الاقتصادية في عصر الدولة الأيوبية" ، وقد تضمنت تلك الدراسة الأحوال الزراعية ،

وقدمت العديد من المحاصيل، والزراعات المختلفة ، والثروة الغابية ، والمعوقات التى عاقت التنمية الزراعية ، والثروة الحيوانية . كما تحدث الباحث عن الصناعة بشكل عام فى العصر الأيوبي فذكر الصناعات الغذائية ، والمنسوجات ، وصناعة الأسطول وغيره . كما تناولت الدراسة التجارة فى مصر فى العصر الأيوبى سواء التجارة الداخلية والتي شملت الأسواق والإشراف عليها،والتجارة الخارجية.كما تناولت المنشآت والمشاكل التجارية، واختلفت تلك الدراسة عن دراسة مدن مصر الصناعية والتجارية فى العصر الأيوبي فى أن الأخيرة تخصصت فى المدن الصناعية والتجارية سواء فى الوجه البحرى والوجه القبلي ،وعرضت الآثار السياسية التى أثرت على المدن ،وعلاقات المدن المصرية بالمدن غير المصرية .كما اشتملت على دراسة للطوائف الحرفية فى المدن المصرية .

ودراسة عبد المقصود عبد الحميد : " السياسة الداخلية للأيوبيين في مصر" ،وقد تحدثت تلك الدراسة عن سلاطين الأيوبيين ،والنظم الإدارية مثل السلطنة،والوزارة ،والقضاء،والمحتسب،وتناولت السياسة التعليمية، والحياة الاجتماعية ، والجيش وفرقه ،والنظام الاقتصادي للدولة الأيوبية من زراعة ،وصناعة ،ولم تشر تلك الدراسة إلى المدن وأحوالها الاقتصادية بشكل مباشر مثل تلك الدراسة

ودراسة محمد خليل : " إقليم قوص من الفتح حتى نهاية عصر المماليك " ، وتناولت تلك الدراسة الأهمية العلمية ، والأدبية ، والدينية ، والبناء الاجتماعي لقوص من صناعة وتجارة ، ولم تتخصص تلك الدراسة فيما يخص الصناعة والتجارة فى مدينة قوص فى العصر الأيوبي (والتى تعتبر جزء من الدراسة موضوع البحث) بل تناولتها بشكل عام من الفتح إلى عصر المماليك .

وبالرغم من وجود مثل هذه الدراسات إلا أنها لم تشر إلى المدن وأحوالها الاقتصادية بشكل مباشر .

وقد قسمت الموضوع إلى تمهيد ، وخمسة فصول وخاتمة .

التمهيد ويشمل : أوضاع مصر السياسية والاقتصادية قبل العصر الأيوبي ومفهوم المدينة ومدلولها ، والمصطلحات التى ارتبطت بها ، إلى جانب التقسيم الادارى لمدن مصر فى العصر الأيوبي بالوجه البحرى والوجه القبلي .

الفصل الأول يتناول : "**أثر الأحوال السياسية والاقتصادية على مدن مصر**" ويتضمن أثر الحروب الصليبية وهجماتها على المدن وخاصة الثغرية ، والنزاع بين سلاطين الأيوبيين. إلى جانب ذلك يتضمن أثر الأحوال الاقتصادية ، والأزمات على حركة الصناعة والتجارة بالمدن .

أما الفصل الثاني : "**مدن مصر الصناعية والتجارية بالوجه البحري**" يشتمل على مدينة القاهرة وصناعتها وحركة التجارة بها ، الفسطاط ، والإسكندرية ، ودمياط ، شطا ، تنيس ، تونه ، المنصورة ، دقهلة ، بلبيس ، فاقوس ، الصالحية ، قطيا ، العريش ، القلزم ، رشيد .

أما الفصل الثالث : "**مدن مصر الصناعية والتجارية بالوجه القبلي**" كالمدن الصناعية والتجارية بالصعيد الأقصى : قوص وصناعتها وحركة التجارة بها ، أسوان ، وعيذاب ، والأقصر ، قفط ، ومدن الصعيد الأوسط : أسيوط ، أخميم ، ومنفلوط ، ملوى ، ومدن الصعيد الأدنى : مدينة الفيوم ، البهنسا ، القيس ، دلاص ، الاشمونيين ، ومنية ابن خصيب .

أما الفصل الرابع يشمل : "**العلاقات التجارية بين المدن المصرية والمدن الأجنبية**" ويشمل علاقة الإسكندرية بالمدن الإيطالية والسلع المتبادلة بينهما ، وعلاقة مدن مصر ببلاد الأندلس والمغرب ، وبمدينة بيت المقدس ، وببيروت ومدن الحجاز ، وبغداد ، وبلاد ما وراء النهر وفارس ، ومدن اليمن ، والهند والصين ، وبلاد النوبة والسودان .

والفصل الخامس : "**الطوائف الحرفية في مدن مصر الصناعية والتجارية**" ويشمل التعريف بالطوائف الحرفية والعوامل التي ساعدت على نشأتها ، والتنظيم الداخلي لها ابتداء من شيخ الطائفة إلى المبتدئ ، وتكويناتها من حيث الديانة ، والعنصر السكاني ، والنوع ، والحرفة ، والمحتسب وضبطه للحرفيين في أسواق المدن .

أما الخاتمة فتشمل أهم النتائج التي توصل إليها البحث .

عرض لأهم مصادر البحث ومراجعه

المصادر التاريخية

والتي لا غنى عنها كمصادر للبحث ومن أهمها :-

كتاب عز الدين أبو الحسن علي بن الأثير (٦٣٠ هـ / ١٢٣٢ م) : " الكامل في التاريخ " اعتمدت على الجزء الحادي عشر منه ، نشأ ابن الأثير نشأة علمية في كنف البيت الزنكي وانتقل بين المدن الإسلامية كالموصل ، وبغداد ، ودمشق ، والقدس طالباً وسفيراً . وقد استعان بالمصادر التاريخية في تدوين تاريخه عاما بعد عاما وقد استفاد البحث منه في كتاباته عن الأحداث السياسية التي حدثت أثناء عهد صلاح الدين والثورات التي قامت ضده والنزاع الذي حدث بين أبناء البيت الأيوبي وأثره على المدن.

وكتاب شهاب الدين عبد الرحمن أبو شامة ت (٦٦٥هـ/١٢٦٦م) : "الروضتين في أخبار الدولتين النورية والصلاحية "، وقد تحدث في كتابه عن الأحوال السياسية للدولة الأيوبية وقد أفاد البحث فيما يخص أثر الأحوال السياسية على المدن وخاصة في عهد صلاح الدين .

وكتاب جمال الدين محمد بن سالم بن واصل ت(٦٩٧هـ/١٢٩٧م): "مفرج الكروب في أخبار بني أيوب" ، وتم الاعتماد على الجزء الثالث ، والجزء الخامس .وقد اعتمد ابن واصل في هذا الكتاب على عدد كبير من الوثائق الرسمية ليوثق معلوماته التاريخية بها وقد أفاد البحث فيما يخص أثر الأحوال السياسية على المدن الصناعية والتجارية في مصر زمن الأيوبيين .

وكتاب الحافظ شمس الدين الذهبي (٧٤٨ هـ/١٣٤٧ م) : " دول الإسلام " ، ويؤرخ كتابه للدولة الإسلامية منذ وفاة الرسول (صلى الله عليه وسلم) ، و كتاب " العبر في خبر من غبر " وقد أفادني هذا الكتاب بكثير من المعلومات عن الجانب السياسي وأثره على المدن الصناعية والتجارية وخاصة ما يخص الهجمات الصليبية على المدن .

أما كتاب تقي الدين أحمد بن علي المقريزي ت (٨٤٥هـ/١٤٤١م) : "الخطط" الذي تحدث فيه كتابه عن عدد كبير من المدن المصرية ، وترجع أهميته للبحث بما فيه من معلومات عن المدن الصناعية وتطورها السياسي ، وحركة الصناعة والتجارة بها في العصر الأيوبي وما بها من الوكالات

والخانات والأسواق وغيرها يضاف إلى ذلك ما عرض له في كتابه السلوك من أحداث سياسية أفادت الباحث في كثير من نقاط البحث .

كتب الرحلات

كتاب أبو الحسن محمد بن أحمد بن جبير : " الرحله " ، وترجع أهمية هذا المصدر إلى أن ابن جبير زار مصر في عهد صلاح الدين سنة ٥٧٨هـ/١١٨٣ م . وتحدث في رحلته عن بعض الأقاليم الإسلامية التي زارها ، ومنها مصر ، وقد أفاد البحث بما ورد في هذا الكتاب عن مدن مصر وأحوالها وآثارها ، وعن الجانب الاقتصادي لها ووصف أسواقها وحركة الرواج التجاري لها ، وخاصة مدن الصعيد كقوص ، ومنفلوط ، وأسيوط ، ومدن الوجه البحري كالإسكندرية ، والقاهرة وغيرها .

كتاب عبد اللطيف البغدادي ت٦٢٩هـ/١٢٣١م : " الإفادة والاعتبار في الأمور المشاهدة والحوادث المعاينة بأرض مصر " ، وقد زار مصر واشتغل بالتدريس بالأزهر بالقاهرة، وشاهد الغلاء الفاحش وما تعرضت له مدن مصر سنتي (٥٩٥هـ/١١٩٩م) ، (٥٩٨هـ/١٢٠١م) من قحط ووباء . وأفاد هذا الكتاب في تغطية الأزمات التي ألمت بمصر وأثرت على حركة اقتصاد المدن سواء في الصناعة أو التجارة .

أما كتاب بنيامين التطيلي ت (٥٦٩هـ/١١٧٣م) : "الرحلة" ، فيه حديث عن زياراته لمدن العالم الإسلامي كسوريا وفلسطين والعراق وبغداد ومصر وتكمن أهميته للبحث في زيارته لمصر في الفترة (٥٦١هـ - ٥٦٩هـ/١٢٠٤ - ١٢١٢ م) وتحدثه عن الطوائف اليهودية ، وعددها في مدن مصر التي مر بها ، وعلى مدى التسامح الديني في العصر الأيوبي مع تلك الطائفة التي كان لها دور بارز في الصناعة والتجارة في المدن المصرية .

وكتاب أبو الحسن علي موسى بن سعيد ت(٦٨٥هـ/١٢٨٦ م) : "النجوم الزاهرة في حلى حضرة القاهرة . وترجع أهميته إلى أن مؤلفه هو أحد الرحالة الذين زاروا مصر سنة ٦٤٢هـ/١٢٤٤م ، وفي وصفه لمدينة الفسطاط وأحوالها والقاهرة في آخريات أيام الأيوبيين .

النظم

كما كان لكتب النظم دور كبير فى إمداد البحث بالكثير من المعلومات الثرية

كتاب عبد الرحمن بن نصر الشيزري ت(٥٨٩هـ/١١٩٣) : "نهاية الرتبة في طلب الحسبة" ، والشيزرى هو أحد الموظفين الذين تولوا منصب الحسبه في مصر في العصر الأيوبي ، ويتناول كتابه كافة الأمور الخاصة بالحسبة فى العصر الأيوبي وتأتي أهمية كتابه بالنسبة للبحث في التعرض للأسواق ، وما بها من حركة صناعية وتجارية ، وما يتعرض له الناس من غش وتدليس في المعايش والمكاييل والموازين وغيرها.

وكتاب ابن مماتي ت (٦٠٦هـ/١٢٠٩م) : "قوانين الدواوين" ، كان ابن مماتي أحد الوزراء في العصر الأيوبي ، وتحدث كتابه عن الدواوين ، ويرجع أهميته للبحث فى تحدثه عن أحوال مصر الاقتصادية في العصر الأيوبي ، وعن أقاليم مصر ومدنها وقراها ، والضرائب بها ، والمعادن ، ودور الطراز ، والأوزان وغيرها .

أما كتاب ابن بعرة النعمان ت ق ٧هـ/١٣م : "كشف الأسرار العلمية بدار الضرب المصرية" ، ويعد ابن بعرة أحد المعاصرين للدولة الأيوبية وعاش فى عصر الملك الكامل ، وكان من المتخصصين في سك العملة ، وتحدث في كتابه عن السكة وأفادني هذا الكتاب كثيراً بما فيه من معلومات عن أسرار صناعة العملة ودور السكة في القاهرة والإسكندرية .

كتب الجغرافيا

كتاب أبو عبد الله الإدريسي ت (٥٦٠هـ/١١٦٤م) : "نزهة المشتاق في اختراق الآفاق" ، والذي تناول فى كتابه عدداً كبيراً من المدن المصرية بالوجه البحري والقبلى وجغرافيتها والمسافات فيما بينها ، وعن حالة اقتصاد المدن بالوجه البحري والقبلي .

أما كتاب محمد بن أحمد بن بسام ت(أواخر ق ٦ وأوائل ق ٧ هـ/ ق ١٢ – ١٣ م): "أنيس الجليس في أخبار تنيس" ، عاصر ابن بسام العصر الأيوبي ، وكان من أبناء مدينة تنيس ، وتحدث فى كتابه عن مدينة تنيس ووصفها ، وقد أفاد البحث فى تحدثه عن مدينة تنيس وخططها ، وفنادقها ، ومصانعها ، وعن أهالي المدينة ودورهم في صناعة المنسوجات وخاصة صناعة الشرب .

كتاب شهاب الدين أبو عبد الرحمن المعروف بياقوت الحموي ت(٦٢٦هـ/١٢٢٨م) : "معجم البلدان" وهو من الكتب الجغرافية تحدث فيه المؤلف عن جغرافية الكثير من البلاد ، وأفاد هذا الكتاب بما فيه من معلومات عن عدد كبير من المدن المصرية في العصر الأيوبي في الوجه البحري والقبلي ، وتحدث عن ضبطها وموقعها ، وآثارها ، وعن جوانب صناعتها .

أما كتاب أبو عثمان النابلسي الصفدي ت (ق ٧ هـ/١٣م) : "تاريخ الفيوم وبلاده" ، النابلسي أحد المؤرخين المعاصرين للدولة الأيوبية ، حيث ولي رئاسة الدواوين في عهد الملك الصالح نجم الدين أيوب ، تحدث في كتابه عن الفيوم وجغرافيتها ، وترجع أهميته للبحث في تقديمه للفيوم وبلادها وجغرافيتها ، وزراعتها وصناعتها ، كما له كتاب "لمع القوانين المضية في دواوين الديار المصرية" ، وتحدث فيها عن مفاسد الجهاز الإداري في العصر الأيوبي .

وكتاب كمال الدين أبو الفضل الإدفوي ت (٧٤٨هـ/١٣٤٧م) : "الطالع السعيد الجامع لأسماء الفضلاء والرواة بأعلى الصعيد" ، وترجع أهمية الكتاب في تحدثه عن مدينة قوص وقراها وأهلها ، وتحدثه عن عدد كبير من مدن الصعيد الأخرى .

المراجع

ومن المراجع التي استفاد منها البحث

كتاب حسنين ربيع : "النظم المالية في مصر زمن الأيوبيين" ، تناول: النظم المالية المختلفة في العصر الأيوبي ، وتم الاستفادة منه في البحث فيما ذكره عن المكوس ، والأزمات ، والعملة في المدن .

وكتاب سلام شافعي: "أهل الذمة في العصر الفاطمي الثاني وللعصر الأيوبي" ، وتم الاستفادة منه فيما يخص الطوائف الحرفية ، وحركة النشاط التجاري والصناعي لليهود والنصارى في مدن مصر.

أما كتاب سعيد عبد الفتاح عاشور: "الأيوبيون والمماليك في مصر والشام" ، فقد أفاد البحث فيما يتعلق بالأحداث السياسية وأثرها على المدن .

أما كتاب جمال الدين الشيال : "تاريخ مدينة الإسكندرية في العصر الإسلامي" فهو من الكتب المهمة التي أفادت البحث فيما يتعلق بالأحداث السياسية والاقتصادية التي تعرضت لها مدينة الإسكندرية في العصر الأيوبي .

وكتاب السيد الباز العريني: "مصر في عصر الأيوبيين، وقد تحدث الكتاب عن الأحوال السياسية والاقتصادية في العصر الأيوبي ، أفاد هذا الكتاب فيما يتعلق بالمدن وجوانبها الاقتصادية .

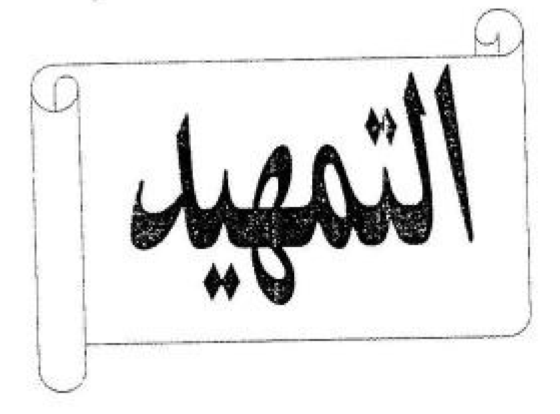
وبحث د.أحمد مختار العبادي : "الحياة الاقتصادية في الدولة الإسلامية" ، وهو أحد الأبحاث ضمن كتاب دراسات في تاريخ الحضارة ، وهو من الأبحاث التي أمدت الدراسة بجانب كبير من المعلومات عن المدن والتعريف بها وعن الأسواق ، وعن المكوس ، وغيرها من المعلومات .

كما لا يسعني إلا أن أتقدم بخالص الشكر والتقدير والعرفان إلى الأستاذ الأب القدوة والمعلم الأستاذ الدكتور / **محمد عيسى الحريري** أستاذ التاريخ الإسلامي المتفرغ بكلية الآداب جامعة المنصورة الذي كان له الفضل الكبير علي في تسجيلي للماجستير بالكلية، وعلى منحه لي الكثير من علمه ووقته والذي لم يبخل علي بنصائحه الطيبة وإرشاداته السديدة فله مني جزيل الشكر والتقدير والعرفان ، وجزاه الله عني خير الجزاء .

كما أتقدم بخالص الشكر والتقدير إلى الدكتور / **شلبي إبراهيم الجعيدي** أستاذ التاريخ المساعد بكلية الآداب جامعة المنصورة الذي لم يبخل علي بإرشاداته السديدة، وتوجيهاته الطيبة، وكتبه القيمة، ومجلاته النادرة فله مني جزيل الشكر والتقدير وأثابه الله عني خير الثواب.

كما أتقدم بالشكر والتقدير إلى جميع **أفراد أسرتي وأخص بالشكر والدتي ووالدي وأخوتي** على ما قدموه لي من مساعدة و تشجيع طوال سنوات الدراسة فلهم مني أخلص الشكر والتقدير وجزاهم الله عني خير الجزاء.

وأخيراً أسأل **الله الكريم العظيم** أن أكون وفقت في دراسة هذا الموضوع والإلمام بكل جوانبه ، وإذا وجد عندي تقصير وعذري أن الكمال لله وحده وأن لكل عمل إذا ما تم نقصان والله ولي التوفيق .


التمهيد

التمهيد

١- أوضاع مصر السياسية والاقتصادية قبيل العصر الأيوبي

أ- أوضاع مصر السياسية قبل العصر الأيوبي

شهدت الأوضاع السياسية لمصر في أواخر حكم الفاطميين (٣٥٨هـ - ٥٦٧هـ/ ٩٦٨-١١٧١م) نوعاً من الضعف والانحلال ، رجع لتحكم الوزراء في عزل وتعيين الخلفاء وتدبير المؤامرات وذلك للتخلص منهم[١].

و من ذلك النزاع الذي كان بين شاور[٢] الذي كان حاكماً على الصعيد[٣] وضرغام صاحب الباب[٤] الذي أخذ يتطلع لتولي الوزارة و الاستيلاء عليها و انتهى النزاع بتولي ضرغام الوزارة ، الأمر الذي جعل شاور يتصل بقوى خارجية فاستعان

---

[١] قاسم عبد قاسم: تاريخ الأيوبيين والمماليك،عين للدراسات والبحوث، القاهرة ، ٢٠٠١ ،ص٢٣.

[٢] شاور : هو أحد الوزراء الذين تولوا الوزراة عقب مقتل الوزير طلائع بن رزيك في عهد الخليفة الفاطمي المعتضد بمصر ، عرف بنكثه بوعده وانتهى أمره بإصدار مرسوم بقتله سنة (٥٦٤هـ/١١٦٨م) وتولى شيركوه للوزارة (محمود مقديش: نزهة الأنظار في عجائب التواريخ والأخبار، دار العرب، بيروت، ١٩٨٨م، ص٣٩٤-٣٩٥ ، محمود سعيد عمران : الحملة الصليبية الخامسة ، الهيئة المصرية العامة ، القاهرة ، ١٩٧٨م ، ص ٤٨ - ٤٩) .

[٣] قاسم عبدة قاسم :مرجع سابق ،ص ٢٣ .

[٤] ضرغام : صاحب الباب (أى أحد الموظفين الكبار في قصر الخلافة الفاطمية في مصر ، وكان يعهد له في بعض الأحيان بتولى مجلس النظر في المظالم) في عهد وزارة شاور للخليفة المعتضد ، والذى تطلع للإستيلاء على الوزارة من شاور ، وبعد أن استولى عليها دخل في صراع مع شاور وانتهى ذلك الصراع بمقتل ضرغام سنة (٥٥٩هـ/١١٦٤م) . (عبد المنعم ماجد : نظم الفاطميين ورسومهم في مصر ، مكتبة الأنجلو المصرية ، القاهرة ، ١٩٧٣ م ، ط٢ ، ص ١٥٧ - ١٥٨ ، محمود سعيد عمران : مرجع سابق ، ص ٤٨ - ٤٩ ، قاسم عبد قاسم: مرجع سابق، ص ٢٣).

بنور الدين بن زنكي بالشام(١).

في حين استعان ضرغام بعموري ملك بيت المقدس (٢) عرض عليه في مقابل مساعدته أن يحصل على مبلغ من المال (٣) وكان بدوره (عموري) يتطلع لانتهاز أي فرصة للتدخل في شئون مصر فاستجاب لرغبة ضرغام في مساعدته (٤) واستعان بالمدن الإيطالية وخاصة بيزا (٥) التي سارعت بإمداده بالسفن البحرية والإمدادات في سبيل الحصول على مكاسب تجارية في أسواق المدن المصرية مثل القاهرة - الإسكندرية - دمياط (٦).

---

(١) نور الدين محمود : ولد سنة (٥١١ هـ / ١١١٧ م) وهو ابن عماد الدين زنكي صاحب الموصل والجزيرة ومعظم بلاد الشام ،وتولى نور الدين حلب بعد وفاة أبيه ، وحارب الصليبيين وهزمهم وانتزع منهم أراضي كثيرة ، واتسعت أملاكه فملك الموصل ، وديار الجزيرة وبسط نفوذه على ديار بكر بالشام ، والديار المصرية واليمن وخطب له بالحرمين مكة والمدينة ، وتوفى سنة ٥٦٩ هـ/١١٧٣ م بدمشق ودفن بها .(ابن الأثير : الباهر في الدولة الأتابكية ، دار الكتب الحديثة ، القاهرة ، ١٩٦٣ م ، ص ٧٦ ، ٨٥ ، ١٦١ ، ١٦٣ ، جمال الدين الشيال: تاريخ مصر الإسلامية، دار المعارف، القاهرة، ٢٠٠٠م، ص ١٧٢.

(٢) عموري : هو عموري الأول إعتلى عرش بيت المقدس بعد وفاة أخيه بلدوين الثالث (٥٥٧ - ٥٦٩هـ / ١١٦٢ - ١١٧٣ م) وقاد حملة على مصر سنة (٥٥٨ هـ /١١٦٣ م) مستغلاً سوء أحوال الخلافة الفاطمية بعد مقتل الوزير طلائع بن رزيك و تولى شاور الوزارة و عزل ضرغام له . (محمود سعيد عمران : الحملة الصليبية الخامسة ، ص ٤٩) هايد: تاريخ التجارة في الشرق الأدنى في العصور الوسطى، الهيئة المصرية العامة، القاهرة، ١٩٩١م،ج٢ ، ص ٤٦-٤٧.

(٣) قاسم عبده قاسم: تاريخ الأيوبيين والمماليك، ص ٢٣.

(٤) محمود مقديش: نزهة الأنظار ، ص٣٩٤-٣٩٥ .

(٥) بيزا : مدينة في شمال إيطاليا برزت في بداية القرن الحادي عشر كقوى مستقلة أسهمت في الحروب الصليبية منذ نهاية القرن الحادي عشر إسهاماً فعلياً بجوار جنوة و البندقية (سعيد عبد الفتاح عاشور : أوربا العصور الوسطى ، ط١٠ ، مكتبة الأنجلو مصرية ، القاهرة ، ١٩٨٦ م ، ج١ ، ص ٣٣٢ - ٣٣٣ .

(٦) هايد: مرجع سابق ، ص٤٦-٤٧.

وتنيس[1].

أما شاور فوعد نور الدين زنكي مقابل مساعدته لإعادته للوزارة بثلث إيرادات مصر وأن يدين له بالولاء والطاعة، وتوالت الأحداث ، وعلى الفور أرسل زنكي حملة إلىمصر بقيادة أسد الدين شيركوه وابن أخيه صلاح الدين. أما ضرغام فاتصل بالصليبيين. وانتهى ذلك الصراع بمقتل ضرغام وتولى شاور الوزارة والذى نكث بوعده لشيركوه الأمر الذي جعل الأخير يرفض مغادرت مصر وتحصن بمدينة بلبيس. مما جعل شاور يتصل بالصليبيين[2] .

وما لبث أن عاد شيركوه إلىبلاده . وبعد مجيء الفرنج بقيادة عموري إلىمصر تخوف شيركوه على مصر من استيلاء الفرنج عليها لذلك عاود المجئ إلى مصر ووقعت بينهم معارك انتهت برحيلهما عن مصر[3] ولما قرر الفرنج الهجوم مرة ثانية على مصر استعان شاور بشيركوه الذي جاء في هذه المرة بإخوته ورجاله من بينهم صلاح الدين والذى كان كارهاً للذهاب إلىمصر حتى إنه قال" كنت أكره الناس للخروج فى هذه الواقعة وما خرجت مع عمي باختياري" ولما علم الفرنج بمجئ شيركوه قفلوا راجعين في حين نكث شاور كعادته بوعده لشيركوه وبتحمله تكاليف الحملة.ولذلك قرر شيركوه القبض عليه وقتله سنة ٥٦٤هـ/١١٦٨م. ومن أكبر الآثار التى خلفها شاور هو حريقه لمدينة الفسطاط سنة ٥٦٤هـ/١١٦٨[4].

---

[1] مدينة تنيس : تقع على جزيرة في الشمال الشرقى من البحيرة التى كانت تحمل إسمها فى العصور الوسطى بحيرة تنيس و هى المعروفة الآن ببحيرة المنزلة و تقع بين الفرما و دمياط (ابن بسام : أنيس الجليس فى أخبار تنيس ، تحقيق جمال الدين الشيال ، مجلة المجمع العلمى العراقى ، مج ١٤ ، ١٩٦٧ م ، ص ٥٤ ، ياقوت الحموي : معجم البلدان ، دار إحياء التراث ، بيروت ، ١٩٧٩ م ، ج١ ، ص ٥١ .

[2] أبو شامة: الروضتين في أخبار الدولتين ، دار الجيل ، بيروت ، د ت ، ص١٣١-١٣٢ ، ١٥٤ .

[3] نفس المصدر والصفحة .

Join Wucher : Hostorical Dictionary of Egypt , Cairo , 1988 , p.167.

[4] ابن اياس : نزهة الامم في العجائب والحكم ، تحقيق محمد زينهم ، مدبولي ، القاهرة ،١٩٩٥ ، ص٢٠٥ .

وتولى شيركوه الوزارة عقب مقتل شاور، وما لبث أن توفى ليتولى بعده ابن أخيه صلاح الدين الذى تمهدت له القواعد سنة ٥٦٧هـ/١١٦٩م، ليبدأ الصراع مع الفرنج والثورات ومن هذه الثورات ثورة **مؤتمن الخلافة جوهر** : التى قامت نتيجة لإخراج صلاح الدين لطوائف الأرمن والسودان من الجيش لذلك استعان جوهر بعمورى على أن يقوم الأول بالثورة فى الداخل ، و يقوم عمورى بالهجوم على شواطىء مصر ، و قد استطاع صلاح الدين أن يقضى على تلك الثورة [١]، وترتب على تلك الثورة **ثورة السودان** التى انتهت بالقبض على السودان و الأرمن ، و أسكن صلاح الدين جنوده القاهرة [٢].

وثورة **كنز الدولة** (٥٦٧ – ٥٧٠ هـ / ١١٧١ – ١١٧٤م) الذى كان حاكماً على أسوان ، وتزعم الثورة لخلع صلاح الدين ، وتعيين الأمير داود بن العاضد لإعادة الخلافة الفاطمية ، و توغل كنز الدولة من أسوان إلى قوص و منها إلى أحد القرى التابعة لها طود وقتل الكثير من أهلها و أمرائها ، و ما لبث أن أرسل صلاح الدين أخاه العادل الذى قضى

---

[١] ابن الأثير : الكامل فى التاريخ ، دار صادر بيروت ، د.ت. ، ج١١ ، ص ٤٠١ ، ابن سعيد : النجوم الزاهرة فى حلى حضرة القاهرة ، القسم الخاص بالقاهرة من كتاب المغرب فى حلى المغرب ، تحقيق حسين نصار ، دار الكتب المصرية ، ١٩٧٠ م ، ص ١٤٣، ابن إياس : بدائع الزهور في وقائع الدهور ، حققه محمد مصطفى زيادة ، الهيئة المصرية العامة ، القاهرة ، ١٩٨٢ م ، ج١ ق١ ، ص ٢٤٠ ، ابن كثير : البداية و النهاية ، دار الفكر العربي ، القاهرة ، د.ت. ، ج١٢ ، ص ١٤٣ .

[٢] ابن الفرات : تاريخ ابن الفرات ، صححه حسن الشماع ، بغداد ، ٢٠٠١ م ، ج١ ق١ ، ص ٧٠ – ٧٢ ، ابن تغري بردي : النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة ، دار الكتب المصرية ، القاهرة ، ١٩٣٦م ، ج٦ ، ص ٧٨ .

على تلك الثورة [1].

إلى جانب ذلك **مؤامرة عمارة اليمنى** (٥٦٩ هـ / ١١٧٤ م) و عبد الصمد الكاتب، و غيرهم ، و الذين استعانوا بزعيم الإسماعيلية راشد بن سنان فى الشام ، و جماعة من أسرة شاور ، و عمورى ملك بيت المقدس ، و وليم ملك صقلية على أن يقوم الأخير بمحاصرة الإسكندرية و يقوم عمورى بمحاصرة الشواطىء من جهة الشرق و يقوم عمارة بالثورة فى الداخل و بذلك يتشتت صلاح الدين و قواته و لكن صلاح الدين اكتشف المؤامرة قبل أن تنفذ و قبض على رؤسائها و قتلوا وصلبوا، و علم عمورى باكتشاف المؤامرة فى حين لم يعلم وليم الثاني الأمر الذى جعله يأتي بجيش إلى الإسكندرية ، و لكن صلاح الدين استطاع أن يرده [2]. وبقدوم سنة ٥٦٧هـ/١١٧١م قطع صلاح الدين الخطبة للخليفة الفاطمي العاضد وأقامها للخليفة المستضئ[3] . وفي نفس السنة توفى العاضد . من خلال ذلك يتضح ما كانت فيه مصر في أواخر العصر الفاطمي وما لاقته من صراعات بين الوزراء واتصالهم بالقوى الخارجية والذي كان من شأنه أن يؤثر على توجيه اقتصاد مدن مصر وعرقلة نموه وازدهاره [4] .

---

[1] ابن سعيد : النجوم الزاهرة فى حلى حضرة القاهرة ، القسم الخاص بالقاهرة من كتاب المغرب فى حلى المغرب ، تحقيق حسين نصار ، دار الكتب المصرية ، ١٩٧٠ م ، ص ١٤٣ ، الذهبي : العبر فى خبر من غبر ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ١٩٨٥ م ، ج٣ ، ص ٦٠١ ، اليافعي : مرآة الجنان وعبرة اليقظان ، دار الكتاب الإسلامي ، القاهرة ، ١٩٩٣م ، ج ٣ ص ٣٩٧ ، ابن تغري بردي : النجوم الزاهرة ، ج١ ، ص ٧٨ ، على إبراهيم حسن : مصر في العصور الوسطى من الفتح العربي إلى العصر العثماني ، مكتبة النهضة ، ص ١٤٥ ، على بيومي : قيام الدولة الأيوبية في مصر ، دار الفكر للطباعة ، القاهرة ، ١٩٥٢ م ، ص٢١٤ – ٢١٥ ، عطية القوصي : تاريخ الكنوز الإسلامية ، دار المعارف ، القاهرة ، ١٩٧٦م ص ٧٣ ، محمد كامل حسين : التشيع فى الشعر العربى ، مجلة كلية الآداب ، جامعة القاهرة ، مج ١٥ ، ١٩٥٣ م ، ج١ ، ص ٦٤ .

[2] ابن إياس : بدائع الزهور، ج١ ، ق١ ، ص ٢٤٠ ، قاسم عبده قاسم :تاريخ الأيوبيين والمماليك ، ص ٣٥ – ٣٧ .

[3] أبو شامة : الروضتين ، ص١٦٥ ، ابن الفرات : تاريخ ابن الفرات ، ص٥٦ .

[4] محمود مقديش : نزهة الأنظار ، ص٣٩٧ ، شحاته عيسى إبراهيم : القاهرة ، الهيئة المصرية العامة ، القاهرة ، ٢٠٠١م ، ص١١٨-١١٩ .

ب- أحوال مصر الاقتصادية قبيل العصر الأيوبي

نعمت مصر فى أوائل العصر الفاطمي بالهدوء والاستقرار الذي أعان على ازدهار الصناعة والتجارة فى مدن مصر الصناعية الكبرى مثل : تنيس- القاهرة- الإسكندرية- عيذاب وغيرها[١]. ولكن هذا الاستقرار لم يستمر طويلاً بل تعرضت مصر للعديد من الأزمات التى كان من أشدها الشدة المستنصرية والتى استمرت سبع سنين (٤٥٧-٤٦٤هـ/١٠٦٥-١٠٧١م) وكان ذلك سبب قصور مياه النيل ، وقد أثرت تلك الأزمة على اقتصاد مصر فتراجع النشاط الإقتصادى محل الضعف الشديد في مدن مصر الصناعية وذلك من جراءها تعذر الأقوات، وارتفاع الأسعار وهجرة أهل مصر وتشتتهم فى البلاد[٢] وقد تأثرت بهذه الشدة بعض المدن وخاصة الفسطاط التى خربت أركانها من جراء تلك الأزمة[٣] .

وزادت الأحوال الاقتصادية سوءً فى أواخر العصر الفاطمي [٤] وكان ذلك أيضاً جراء قصور النيل وما أعقبه من انتشار الأوبئة وأعمال السلب في المدن وأسواقها[٥] . كما تدهور الإنتاج الزراعي لسوء أحوال الفلاحين الذين سحقتهم الضرائب والذين هجروا قراهم وحدث ركود للصناعة والتجارة . وعمت مصر ضائقة اقتصادية أثرت تأثيراً كبيراً على حركة التجارة وانكماش صادرات مصر[٦] .

---

[١] نقولا يوسف : تاريخ دمياط منذ أقدم العصور ، مطبعة التحرير ، القاهرة ، ١٩٥٩م ، ص١١ .

[٢] عبد المنعم ماجد : ظهور خلافة الفاطميين وسقوطها فى مصر ، دار المعارف ، الإسكندرية ، ١٩٧٦ م ، ط٢ ، ٣٧٠- ٣١٧.

[٣] صفي محمد عبد الله: مدن مصر الصناعية فى العصر الإسلامي، الهيئة المصرية العامة ، القاهرة ، ٢٠٠٠م، ص٣٨٨ ، ٣٨٩ .

[٤] علي السيد علي طريق القوافل من القاهرة إلى دمشق في عصر الحروب الصليبية ، بحث ضمن ندوة طرق التجارة العالمية ، منشورات اتحاد المؤرخين العرب ، القاهرة ، ٢٠٠٠م ، ص٤٨٣ .

[٥] صفي محمد عبد الله : مرجع سابق ، ص ٣٨٩ .

[٦] حسنين محمد ربيع: النظم المالية في مصر زمن الأيوبيين،مطبعة جامعة القاهرة، ١٩٦٤م،ص٩٤-٩٥.

ونتج عن هذه الأزمات الإقتصادية قلة الذهب والفضة في أواخر العصر الفاطمي إضافة إلى أسباب أخرى منها مفاسد الحكم والإدارة، إلى جانب انكماش الصادرات المصرية الكبرى من المنسوجات والشب والنطرون وغيرها من السلع التي استنفدت إلى ما الثروة المصرية ،وذلك بسبب ما فرضه الفاطميون من ضرائب باهظة للصرف على الحروب الفاطمية السلجوقية إلى جانب حروبهم مع الصليبيين بالشام فضلا عن هروب الذهب إلى الغرب عن طريق المدن الشامية [١].

هذه هي صورة الأوضاع الاقتصادية في مصر قبل قيام الدولة الأيوبية في مصر والتي حرص صلاح الدين على تجاوز هذه الأزمات لبناء مصر القوية التي تستطيع مواجه الأخطار التي تعرضت لها مصر والمنطقة [٢].

٢- مفهوم المدينة والتقسيم الإداري لمدن مصر في العصر الأيوبي

أ- مفهوم المدينة

مدلول المدينة: مدن بالمكان أي أقام فيه ، الجمع مدائن . وهي تعني مركز الاستيطان الحضري [٣]،ويذكر أن مدينة كلمة آرامية الأصل، ويرجح أنها كانت تطلق خاصة على المكان الذي يكون فيه القضاء ولذلك فهي تحمل معنى العدالة حيث جاءت منه كلمة ديان في لغة العرب أي القاضي.فإذا كان صاحب السلطان هو الخليفة نفسه كانت المدينة عاصمته أو إحدى عواصمه وإذا كان والي على إقليم أو كورة فالمدينة إذن عاصمة هذا الاقليم او الكورة [٤] .

---

[١] ابن بعرة : كشف الأسرار العلمية بدار الضرب المصرية ،المجلس الأعلى للشئون الإسلامية، القاهرة ، د ت ، ص٣٩- ٤٠ ، حسنين ربيع: النظم المالية ، ص ٩٤ - ٩٦ .

[٢] فايد محمد عاشور: العلاقة بين البندقية والشرق الأدنى الإسلامي في العصر الأيوبي، دار المعارف، الإسكندرية، ١٩٨٠م، ص ٢٤١.

[٣] ابن منظور : لسان العرب ، دار المعارف ، القاهرة ، د.ت ، ج٦ ، ص ٤١٦ .

[٤] نفس المصدر ، ج٢ ، ص ١٤٦٧ ، أحمد مختار العبادي: الحياة الاقتصادية في الدولة الإسلامية (بحث ضمن كتاب دراسات في تاريخ الحضارة تأليف سعيد عاشور وآخرون، دار المعارف، القاهرة، ١٩٩٩م) ص٣١٠.

وقد اقترن بالمدينة عدة مؤسسات دينية ومدنية تميزها عن القرى والأرياف كالأسواق، والحمامات، والصناعات الحرفية المختلفة كما كانت تزدحم بكافة النشاط البشري حيث يتواجد بها طبقات المجتمع المختلفة من حكام كالوزراء ، والقضاة وغيرهم ، والعلماء والتجار وأصحاب الصنائع والحرف والمعدومين وأشباه المعدومين، وهؤلاء أطلق عليهم العامة .كما كان بها قلة من تجار الريف الذين يأتون إليها لتصريف حاجاتهم . كما كان الحال في مدينة القاهرة في العصر الأيوبي[1].

كما توجد بالعاصمة المعالم الحضارية المختلفة من كونها مركز الحكم والتجارة، والصناعة، والجيش وخاصة في العواصم.أما المدن المتوسطة الصغيرة فيتواجد فيها بعض من تلك المعالم التي تميزها عن القرية.وتتميز المدينة من حيث الحجم والتخطيط بأنها مقسمة إلى دروب و شوارع و سكك وحارات كما كان لبعض المدن أسوار كبيرة تحيط بها ، ولكثرة ازدحامها بالسكان كانت منازلها أكثر من طابق . أما ما يخص المجال الاقتصادي فقد ظلت المدن تمثل المراكز الكبرى للنشاط الاقتصادي حيث ازدحمت المدن الكبيرة بالصناع وأصحاب الحرف . وكان ذلك سبباً لظهور الطوائف الحرفية أو ما عرف بالنقابات في وقتنا الحالي ، حيث كان لكل حرفة نقابة ذات نظام ثابت. كما كان الحال في مدينة الفسطاط والقاهرة في العصر الأيوبي[2] .

وتتميز المدينة بوجود الصناعة التي لا توجد غالباً إلا في أهل الحضر. كما يختص أهل المدينة بها ويعتمدون عليها في معاشهم ورزقهم حيث يتواجد بالمدينة ما يستدعي المعايش وما لا يستدعي أي ما يختص بالكماليات والرفاهية يتواجد بها. إلى جانب تمركز كافة فئات الصناع من الخياط ، والدهان، والصفار، والفراش، والذباح[3].

---

[1] العبادي: الحياة الاقتصادية ، ص ٣١٠.

[2] ناجية عبد الله إبراهيم: المعايير المميزة للريف والحضر في العصور الوسطى، (مجلة المجمع العلمي العراقي ، مج ٣٩، ١٩٨٨م،ج٢) ص٢٠٦- ٢٠٧ .

[3] ابن خلدون : العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر، القاهرة ، ١٣٢٩هـ ،ج١، ص٤٢٢.

كما تتميز بأنها مقصد القوافل التجارية ومراكبهم من بلاد العالم المختلفة القريبة والبعيدة وتنقل منها وإليها أنواع البضائع والمتاجر، وتتم في ربوعها صفقات البيع والشراء[1].

كما يوجد بالمدن الأسواق والتي عرفت بأنها مرآة حياتها الاقتصادية وعنوان نشاطها التجاري والصناعي والاجتماعي وفيها تنوعت الحرف وتعددت أصنافها وتجاراتها وخصصت لها شوارع معلومة فيها حوانيت متميزة ببضاعتها حتى صار في بعض المدن كل سوق مفرداً بسلعة معينة. مثال على ذلك: سوق البزازين، والنحاجين، والوراقين، والصاغة، كما كان يوجد في مدينة القاهرة[2].

. ومن الجدير بالذكر أنه قدعرفت مدن واشتهرت بالتجارة مثل عيذاب في العصر الأيوبي ، وأخرى بالصناعة مثل الفسطاط،وأخرى أيضاً اشتهرت بالصناعة والتجارة مثل القاهرة، والإسكندرية، وتنيس، والفسطاط[3].

المصطلحات التي ارتبطت بالمدينة

تفاوتت أحجام المدن فكان منها ما هو كبير الحجم ، ومنها ما يكون صغير الحجم ، ولذلك تعددت المصطلحات التي عرفت بها المدينة فمنها :

المدينة الكبرى: أي عواصم الأمصار .وهى أمهات المدن في أقاليم ذات أرباض، وحواضر، وضواحي أى لها توابعها في ظاهرها أو خارج أسوارها وتكون مجمعاً حضرياً.ومن مثال المدينة الكبرى في العصر الأيوبي مدينة القاهرة[4].

وعرفت المدينة أيضا بالأمصار :وهي المدن المتوسطة في الأقطار . ومن تلك المدن الفسطاط[5] .**وعرفت المدينة بالقصبات:** أي عواصم الأقاليم مثال ذلك مدينة بلبيس عاصمة إقليم الشرقية[6] .

---

[1] ناجية عبد الله : المعايير المميزة للريف والحضر ، ص ٢٠٦-٢٠٧.

[2] نفس المرجع ، ص٢٠٥.

[3] محمود محمد الحويري: أسوان في العصور الوسطي ، عين للدراسات والبحوث ، القاهرة ، ١٩٩٦م ، ص ٨١.

[4] عبد العال عبد المنعم الشامي: مدن مصر وقراها عند ياقوت الحموي، كلية الآداب، جامعة الكويت ، ١٩٨١،ص١٧.

[5] ناجية عبد الله: مرجع سابق ، ص٢٠٥.

[6] صفي محمد عبد الله: مدن مصر في العصر الإسلامي،ص٤٦،٤٨ .

الكور[1]: وهي كل ما يشتمل على عدة قرى ولابد لتلك القرى من قصبة أو نهر أو مدينة[2]. كما تعرف بأنها الصقع التي تقع فيها القرى والمحال وتقابل في النظام الإداري المصري الحالي المركز[3] وتعني أيضاً المدينة[4]. وقد تداولت كلمة كورة في العصر الأيوبي بدليل ذكر ياقوت الحموي ت (٦٢٦هـ/١٢٢٨م) لطوه بأنها "كورة من كور بطن الريف من أسفل الأرض بمصر يقال لها كورة طوه منوف[5]" كما شاعت كلمة ناحية المساوية للكورة في المعنى أيضا في العصر الأيوبي[6] بدليل قول ابن مماتي في عرضه للتقسيم الإداري لمصر الأيوبية قائلاً "في ذكر جملة أعمالها، وتفصيل نواحيها، وتحقيق أسماء ضياعها وكفورها[7]".

ب- التقسيم الإداري لمدن مصر في العصر الأيوبي

قسمت مصر في العصر الأيوبي إلى قسمين: الوجه البحري والذي عرف بذلك الاسم نظراً لأنه يبدأ من شمال القاهرة حتى البحر الرومي أو المتوسط[8] ويسمى الدلتا أو أسفل الأرض أي ما سفل

---

[1] تطور لفظ كورة والذي استعمل في العصر الأيوبي وقد أطلق عليها في العصر المملوكي عمل، وفي العصر العثماني ولاية، وفي عصر محمد علي مأمورية، وفي عصر الثورة محافظة (سعاد ماهر، محافظات الجمهورية العربية المتحدة وآثارها في العصر الإسلامي، القاهرة، ١٩٩٦م، ص٣-٤).

[2] صفي محمد عبد الله: مدن مصر في العصر الإسلامي، ص٤٦-٤٨.

[3] ابن ظهيرة: الفضائل الباهرة في محاسن مصر والقاهرة، تحقيق مصطفى السقا، القاهرة، ١٩٦٩م، ص٥٣، حاشية[1].

[4] ناجية عبد الله: المعايير المميزة للريف والحضر، ص٢٠٥.

[5] ياقوت الحموي: معجم البلدان، ج٤، ص٥٥.

[6] أميرة إبراهيم أحمد: "الأوضاع الإدارية والاقتصادية في الدولتين الفاطمية والأيوبية، دكتوراه غير منشورة، دار العلوم، جامعة القاهرة، ١٩٩٥م، ص١٤.

[7] ابن مماتي: قوانين الدواوين، تحقيق عزيز سوريال، مكتبة مدبولي، القاهرة، ١٩٩١م، ص٦٤.

[8] المقريزي: المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار، تحقيق محمد زينهم، مكتبة مدبولي، القاهرة، ١٩٩٨م، ج١، ص٢١١.

عن مصر الفسطاط[1] .أما القسم الثاني: المتمثل في الوجه القبلي: ويبدأ من جنوبي القاهرة إلى أسوان ويسمى الصعيد[2].

أما ما ذكره ابن مماتي عما يشتمل عليه الوجهين. فالوجه البحري يشمل (الشَّرْقِيَة- الدَّقَهْلِيَة والمرتَاحِيَة[3]–والبُحَيْرَة – الغَرْبِيَة – الدَّنْجَاوِيَة[4] – والمَنُوفِيَة – وفُوَه و المزاحمتين[5].وحُوف رَمْسِيس[6] – وجزيرة قُويسِنَا[7] – والنَّسْتَرَاوِيَة[8]جزيرة بني نصر[9]). بالإضافة إلى ثغري دمياط والإسكندرية[10] .

أما ما شملته أقاليم الوجة البحري من مدن لعبت دوراً في الصناعة و التجارة و سيتناولها البحث (القاهرة ، الفُسْطَاط ، الإسكندرية ، دِمْيَاط ، شَطَا ، تِنِّيس ، تُونَة ، المَنْصُورَة ، أشْمُوم طَنَاح ،

---

[1] ابن دقماق : الأنتصار لوساطة عقد الأمصار ، دار الآفاق الجديدة، بيروت ١٩٨٣م، ق٢ ، ص٤٢.

[2] عبد العال عبد المنعم: مدن مصر وقراها عند ياقوت ، ص١٧.

[3] إقليم المرتاحية : و هو ملاصق لإقليم الشرقية من جهة الشمال و أواخرة تنتهي إلى السباخ و بحيرة تنيس(القلقشندى : صبح الأعشى في صناعة الإنشا، وزارة الإرشاد القومي، القاهرة، د.ت ، ج٣ ، ص ٤٠٣، شلبي الجعيدى : إقليم الدقيلية و المرتاحية في الروك الصلاحي والروك الناصرى (مجلة كلية الآداب ، المنصورة ، ج٢ ، ع ٢٦ ، ٢٠٠٠م) ص ٣٩٥).

[4] هي تقع بين فرقتي النيل الشرقية و الغربية وأضيفت فيما بعد لإقليم الغربية.(القلقشندى، مصدرسابق،ج٣،ص٤٠٦).

[5] إقليم فوة و المزاحمتين : هو ما جاور خليج الإسكندرية من جهة الشمال إلى البحر الرومي و بعضه بالبر الشرقي من النيل و حاضرتة مدينة فوة . (نفس المصدر ، ج٣ ، ص ٤٠٣) .

[6] إقليم حوف رمسيس : يقع غربي فرقة النيل الغربية و دخل فيما بعد تحت إقليم البحيرة.(نفس المصدر والصفحة) .

[7] إقليم جزيرة قوسينا : يقع بين فرقتي النيل الشرقية و الغربية و أضيف فيما بعد لعمل الغربية(نفس المصدر ،ج٣، ص ٤٠٦) .

[8] إقليم النستراوية : مقر ولايتها مدينة نسترو وهى بلده بين البحر الملح (البحر الأبيض المتوسط)وبين البحيرة المعروفة بها ، وهى مدينة عامرة ، وكان بينها وبين النيل مسيرة نصف يوم ، والماء المجلوب بها يأتيهاعن طريق المراكب ، وعرفت بإنتجاها من الأسماك . (ابن دقماق : مصدر سابق ، ق ٢ ، ص١٣) .

[9] تقع بين فرقتي النيل الشرقية و الغربية وحاضرتها مدنية أبيار وأضيفت فيما بعد لعمل المنوفية(القلقشندى : مصدر سابق ، ج٣ ، ص ٤٠٥) .

[10] ابن مماتي : قوانين الدواوين ، ص٨٤-١٠٨ ، شلبي الجعيدي : مرجع سابق ، ص٣٩٤ .

دَقَيْلَه ، بِلْبَيْس ، فَاقُوس ، الصالحية ، قَطْيَا ، العَرِيش ، القُلْزُم ، الَمحلّة ، سَمَنُود ، فوه ، النحراويــة ، دَمَنْهُور) .

وما ذكره ابن مماتي عن الوجه القبلي يشمل: (الجيزة–الإطْفِيحية[1]–البُوصـيرية–الفيُوميــة–البَهْنَساوية–الأشْمُونية–المَنْفَلُوطِيَة–الإخْمِيمِيَة–القُوصـية–الأسْيُوطِيَة)[2].

و ما شملته أقاليم الوجه القبلي من مدن لعبت دوراً في الصناعة و التجارة و سيتناولها البحث أيضا (مدن الصعيد الأقصى : قُوص ، أسْوَان ، عَيْذَاب ، الأقْصُر ، قِفْط ، إدفو ، إسْنَا ، قِنَا ، البَلْيَنَا . أما الصعيد الأوسط : أُسْيُوط ، إخْمِيم ، مَنْفَلُوط ، ملوى ، واحه سنترية . أما الصعيد الأدنى : الفَيُوم ، البَهْنَسَا ، القَيْس ، دَلاَص ، الأشْمُونَيْن ، منيه ابن خصيب ، طَحَا ، أنْصِنَا ، إهْنَاس)

ومما يجدر ذكره أن التقسيم الإداري لأقاليم مصر يختلف من وقت لآخر، [3] ويرجع ذلك إلى أن حكام مصر قسموا البلاد إلى كور كانت تتسع أحياناً وتضيق على قدر اتساعها أو ضـيقها يتحـدد عدد الكور في مصر. فتارة تكون الكورة كبيرة تشبه في الوقت الحالي المحافظة، وتارة أخرى تقـل عن ذلك حتى تشبه في الوقت حالي المركز ثم تنقسم الكور بدورها إلى قرى ثم إلىنجوع[4].

كما كان قسمي مصر أو وجهيها مقسمين أيضاً إلىعدة أقاليم:وكان أكبر هذه الأقاليم [5]وأهمها ولاية قوص وصاحبها أكبر الولاة لأنه يحكم جميع بلاد الصعيد. إلى جانب ولاية البهنسا والأشمونيين. أما ما كان بالوجه البحري فولاية الشرقية . وتضم معها محافظة البحيرة الحالية.كما كانت أكبر أقاليم مصر وأكبر ولاياتها (قوص– الشرقية–الغربية–الإسكندرية) وهذا الترتيب من حيث الأهمية. حيث كانت تلك الولايات مقسمة إلىتقسيمات إدارية أصغر منها [6]وامتد ذلك التقسيم من العصر الفـاطمي

---

[1] إقليم الإطفيحية : يقع شرقي النيل جنوب الفسطاط (القلقشندى : صبح الأعشى،٣٩٣) .

[2] ابن مماتي : قوانين الدواوين ، ٨٤ـ١٠٨ .

[3] صفي محمد عبد الله: مدن مصر في العصر الإسلامي ، ص٤٩.

[4] أحمد موسى عبد العظيم: تاريخ محافظة قنا.من العصر الحجري إلىالعصر الحديث، قوص، ١٩٨١م، ص٢٠٨.

[5] محمود السيد: تاريخ القبائل العربية في عصر الدولتين الأيوبية والمملوكية،مؤسسة شباب الجامعة، الإسكندرية، ١٩٩٨، ص٣٨٤–٣٨٥.

[6] نعمان الطيب سليمان: منهج صلاح الدين في الحكم والقيادة ، مطبعة الحسن الإسلامية، ١٩٩١م، ص٣٨٤–٣٨٥.

حتى قيام الدولة الأيوبية إلى عهد السلطان الكامل (٦١٥-٦٣٥هـ/١٢١٨-١٢٣٨م) حتى تغير ذلك التقسيم إلى قسمين وجه قبلي عاصمته الإدارية مصر الفسطاط، والوجه البحري عاصمته الإدارية القاهرة [١].

وكان من حق كل والي معين أن يعين رؤساء على المدن والنواحي والقرى الداخلة في نظام ولايته، ويتخذ الإجراءات اللازمة للعناية بمرافق ولايته[٢]. أما مهمة الوالي الأساسية فكانت العمل على استتباب الأمن والنظام والمحافظة على أموال الناس وأرواحهم وخير مثال على ذلك أنه كان على القاهرة والي وعلى الفسطاط والي ولكن والي القاهرة كان في مرتبة أعلى من والي الفسطاط. وكانت الإدارة المركزية فيما دون الملك أو النائب موزعة على الدواوين التي تشبه في وقتنا الحالي الوزارات[٣].

---

[١] أميرة إبراهيم : الأوضاع الإدارية والاقتصادية ، ص٢٤.

[٢] نعمان الطيب: منهج صلاح الدين في الحكم والقيادة ، ٨٤-٣٨٥.

[٣] ناصر الأنصاري: المجمل في تاريخ مصر (النظم السياسية والإدارية) ، دار الشروق،بيروت ،١٩٧٠م،ط٢ ص١٥٢ - نعمان الطيب: مرجع سابق، ٣٨٤-٣٨٥.

﴿الفصل الأول﴾

أثر الأحوال السياسية والاقتصادية على مدن مصر الصناعية والتجارية

١-أثر الأحوال السياسية على مدن مصر الصناعية والتجارية

أ - أثر الحروب الصليبية على المدن الصناعية والتجارية

تعرضت مدن مصر و خاصة الثغرية منها لسلسلة من الحملات و الهجمات الصليبية و التى كان لها أثر كبير على حركة الصناعة و التجارة بها ، كما كان لها دوركبير فى إنشاء و تشييد بعض المدن كمدينة المنصورة ، و لها دور فى تدمير بعض المدن كمدينة تنيس ، و لها دور أيضاً فى محاولة تدمير بعض الموانئ التى كانت تلعب دوراً فى حركة النشاط التجارى بين الشرق و الغرب كمدينة عيذاب .

أما أثر الحروب الصليبية على مدينة دمياط : فقد تعرضت مدينة دمياط لسلسلة من الحملات و الهجمات الصليبية والتي كان لها أثر كبير على حركة الصناعة والتجارة بها. كما كان لموقعها على مصب فرع الدلتا الشرقي وساحل البحر المتوسط . أثر كبير حيث جعل منها سوقاً تجارياً دولياً تنقل إليها بضائع الشرق الأقصى عن طريق البحر الأحمر والنيل . كانت هذه التجارة تدر على سلطان مصر أرباحا طائلة لذا كان احتلال الفرنج لدمياط يضيع على الدولة موردا ماليا له أثره في توجيه السياسة العامة للدولة [١]. وخاصة أن دمياط اشتهرت في العصر الإسلاميبأنها مدينة صناعية هامة حيث كانت من أكبر المراكز الصناعية للنسيج في العصر الفاطمي والأيوبي. كما اشتهرت بتصدير منتجاتها إلى الأسواق الخارجية فلعل هذا قد أطمع فيها الفرنج[٢].

وترجع أهمية دمياط للصليبيين: هي أنها إلى جانب أهميتها الصناعية لها موقعها الممتاز من الناحية الجغرافية والتجارية. فمن الناحية الجغرافية كانت أقرب الموانئ المصرية إلى الصليبيين في بلاد الشام وفي بيت المقدس بصفة خاصة . حيث كانت تمثل أسهل الطرق للمواصلات التي تربطهم

---

[١] جوزيف نسيم يوسف : العدوان الصليبي على مصر ، مؤسسة شباب الجامعة ، الإسكندرية ، ١٩٨٤، ص٩٤ .

[٢] نفس المرجع و الصفحة .

بقواعدهم في بلاد الشام من جهة. وتمكنهم من غزو الدلتا كلها بل التقدم إلى القاهرة[1] رأس الحية كما وصفها روبرت كونت أرتوا شقيق لويس التاسع[2] للاستيلاء عليها من جهة أخرى.

أما الناحية التجارية فلكونها ثغر مهم يقع على البحر الأبيض المتوسط حيث كانت مرفأ تجارياً هاماً و لأنها أقرب الموانئ التجارية إلى بيت المقدس. و لأهميتها التجارية باعتبارها مدينة تجارية من الدرجة الأولى سعت المدن الإيطالية للمشاركة في الحروب الصليبية بهدف الحصول على امتيازات ومنافع تجارية بها[3].

تعرضت المدينة أيضا لهجمات الفرنجة سنة(٥٧٦هـ/١١٨٠م) والذين قطعوا السبيل على المسلمين برا وبحرا[4]. وكان من أثر ذلك أن استدعت السلطة الأيوبية على الفور نحو خمسين مركبا لمقاتلتهم[5]. الأمر الذي أرهق اقتصاد الدولة الأيوبية و حرصاً على الدور التجارى الذي تلعبه المدينة سواءا في التجارة الداخلية أو الخارجية قام السلطان صلاح الدين بزيادة تحصيناتها حفاظاً على مكانتها الصناعية والتجارية[6].

كما تعرضت المدينة لهجوم الفرنج سنة (٦٠٧هـ /١٢١٠م) حيث وصلوا إلى بر جيزة دمياط ومنها توغلوا إلى المدنية وخاصة إحدى قراها الصناعية واستباحوا أهلها قتلا وسبيا[7]. حيث استولوا على الكثير من المتاع والثياب وثياب الشرب[8]وهى المنسوجات التي عرفت واشتهرت بها

---

[1] محمد سهيل طقوش : تاريخ الأيوبيين في مصر والشام واقليم الجزيرة ، دار النفائس ، بيروت ، ١٩٩٩م، ص٢٩٤.

[2] جوزيف نسيم : العدوان الصليبي ، ص٩٣- ٩٤ .

[3] فايد عاشور : العلاقة بين البندقية والشرق الأدنى ، ص٢٥٨ .

[4] ابن كثير : البداية والنهاية ، ج١٢ ، ص٣٠٩ .

[5] نقولا يوسف: دمياط ، ص١٢٦.

[6] الحسن بن عبدالله : اثار الأول في ترتيب الدول ، ص١٦٦ ، العريني : مصر في عصر الأيوبيين ، ص١٧٢ .

[7] السيوطي: حسن المحاضرة في تاريخ مصر والقاهرة تحقيق أبو الفضل ابراهيم ، دار احياء الكتب العربية ،١٩٦٨م ، ج٢، ص٢٩٣.

[8] الشرب : نوع من القماش الشفاف chiffem تدخلة خيوط حريرية أو مذهبة و يوجد منة الشفاف جداً (عبد المنعم ماجد : تاريخ الحضارة الإسلامية في العصور الوسطى ، مكتبة الأنجلوالمصرية ، ١٩٧٣ م، ط٢ ، ص ١١٢ – ١١٤.

المدينة. وحصلوا على قطع ذهبية كانت تحمل للسلطان تقدر بخمسة آلاف دينار، وثياب شرب لقاضي بورة نفسيا. كما استولوا على أكياس مملوءة بالدنانير، ويذكر أنهم حصلوا على كيس ملئ بالدنانير كان على وسط امرأة القاضي فيه ألف دينار. ليس ذلك فقط بل إنهم بعد انتهائهم من السلب والنهب قاموا بإحراق المدينة. وذلك يدل على مدى تأثر اقتصاد المدينة بحركة السلب والنهب [1].

تعرضت مدينة دمياط لحصار الفرنج أيضاً و ذلك في أثناء الحملة الصليبيلة الخامسة سنة(٦١٥– ٦١٨ هـ/١٢١٨– ١٢٢١م) بهدف الاستيلاء على مصر[2]، وذلك بقيادة جان دى برين Jean de Brienne[3]. و قد أثرت الحملة على حركة الصناعة بالمدينة ، و مع طول حصار المدينة من قبل الفرنجة تأثرت تأثراً كبيراً حيث كان بها بخلاف أهلها عشرون ألف مقاتل ، ومع طول الحصار أنهكتهم الأمراض[4] ، بحدوث مجاعة الأمر الذي أدى إلى انتشار الأوبئة[5] و ذلك بدوره يؤثر على توقف حركة الصناعة لتعرض الأهالى بما فيهم الصناع للأمراض و المجاعة و عدم مقدرتهم على الانتاج و خاصة لصناعة المنسوجات [6].

كما تأثرت حركة التجارة الداخلية للمدينة حيث تسببت الحملة في حدوث غلاء الأسعار داخل المدينة حتى بيع السكر بمائة وأربعين دينار ، والدجاجة بثلاثين ، وراوية الماء بأربعين درهما ، وفقدت اللحوم ، ولم يبق لديهم سوى اليسير من القمح والشعير ، وعدمت الأقوات. واستمر حصار

---

[1] ساويرس : تاريخ بطاركة الكنيسة المصرية، مطبوعات جمعية الآثار القبطية،القاهرة ، ١٩٧٠م، م٢، ج٢ص١٣٢.

[2] نقولا يوسف : دمياط، ص١٣٤ .

[3] جان دى برين تزوج من ماريا وريثة مملكة بيت المقدس بنت زوجة عمورى سنة (٦٠٧ هـ / ١٢١٠ م) و كان فى الستين من عمره عند تولية المملكة ، كان زكياً و صليبياً متحمساً للفكرة الصليبية . عقب وفاة زوجته تولى الوصاية على إبنته ، ثم تزوج من إبنة ليو الثانى ملك أرمينيةوإستطاع بذلك أن يحكم مملكة بيت المقدس دون معارضة من أحد (محمود سعيد عمران : الحملة الصليبية الخامسة ، ص ١٠٧ – ١٠٩) .

[4] المقريزي : السلوك لمعرفة دول الملوك ، نشره محمد مصطفى زياده ، لجنة التأليف والترجمة والنشر ، القاهرة ، ١٩٥٧ م، ج١ ، ق١، ص٢٣٧ .

[5] قاسم عبده قاسم : تاريخ الأيوبيين والمماليك ، ص٩٥.

[6] المقريزي : مصدر سابق، ج١، ق١ص٢٣٧ .

المدينة ستة عشر شبيرا واثنين وعشرين يوماً[1] و زاد الأمر سوءاً كثرة القتلى والموتى والجرحى[2]، وتراكم الجثث بالأسواق والبيوت[3] ، الأمر الذي أدى بدوره إلى عرقلة حركة البيع والشراء داخل المدينة .

ولم يكتف الفرنج بما أحدثوه من القتل والفتك في أهالي المدينة بل قاموا بالاستيلاء على الخيام والأموال والأواني والدواب وشون القمح والشعير والحبوب والسلاح وكل ماكان للسلطان والأمراء والتجار، وتملكوا أموالاً لاتحصى، حملوها إلى خيامهم[4]. كل ذلك كان من شأنه أن يؤثر ليس فقط على توقف حركة التجارة بالمدينة بل أيضاً على توقف الصناعة بها . وذلك لانشغال أهلها بالدفاع عنها ، وتعرضهم للقتل والدمار من قبل الفرنج إلى جانب ارتفاع الاسعار كما تعرضت قرية بورا التابعة لمدينة دمياط للدمار من قبل الفرنج [5] .

ولم تؤثر الحملة الصليبية الخامسة على مدينة دمياط وما يجاورها من المدن فقط بل أثرت على مدن مصر وخاصة الصناعية والتجارية منها[6]، فبعد احتلال الفرنجة لدمياط أعلن النفير العام. واجتمع الناس من القاهرة ومصر الفسطاط وسائر النواحي بين أسوان والقاهرة وبدأ جمع الأموال من

---

[1] ابن العميد: أخبار الأيوبيين ، ص١٢، ابن إياس: نزهة الامم، ص٢٠٨- ٢٠٩.

[2] السيوطي : حسن المحاضرة ، ج٢ ، ص٢٩٤ .

[3] عصام محمد شبارو: السلاطين في المشرق العربي ، دار النهضة العربية ، بيروت ، ١٩٩٤م ، ص١٨٠ .

[4] ساويرس : سير بطاركة الكنيسة ، ص١٣٢ .

[5] المقريزي : السلوك، ج١، م١، ص٢٢٤ .

[6] فقد أخلى الملك الكامل امامه مدن الغربية مسيرة أربعة أيام ومن المدن التي اخلاها المحلة ، سنجار ، سنهور ، فوه . وكانت هذه خالية من الاهالي ولم يقدر أحد يخرج بأكثر من ثيابه التي عليه وتركوا ما لديهم من قمح وحبوب ومنهم من فضل الذهاب إلى القاهرة ومنهم من اتجه إلى مصر الفسطاط ، والبعض ذهب إلى دمشق وتفرقوا في جميع المدن. أما سمنود فبقى أهلها وبقيت عامرة (ساويرس : مصدر سابق ، ص١٣١ - ١٣٢) .

التجار[1] وذلك لما سببته الحملة من كثرة التكاليف[2] . إلى جانب توقف حركة الصناعة والتجارة بالمدينة وخاصة أنها كانت تمد الخزانة المصرية بما تجبيه من المكوس التجارية . إلى جانب سهولة التوغل عن طريقها إلى القاهرة [3].

لم تكن مشاركة المدن الإيطالية في الحملة على دمياط بهدف مساعدة الفرنج عسكرياً بل لتحقيق مكاسب تجارية وخاصة أن تجارها اعتادوا القدوم إلى دمياط بدلاً من الأراضي المقدسة. ففي عام(٦١٧هـ/١٢٢٠م) كان بميناء دمياط مالا يقل عن أربعين سفينة بندقية في تلك السنة[4].

كذلك اعترضت المدن الإيطالية على الصلح الذي قدمه الملك الكامل إلى جان دي برين ذلك لأنهم وجدوا في بقاء الفرنج بدمياط مكسباً تجارياً لهم يفوق بيت المقدس لذلك رفضوا الشروط التي تقضي بعدم بقائهم فيها وهي المدينة التجارية التي تخدم مصالحهم التجارية ولم يهتموا بإضافة الأقاليم الداخلية من مدن مصر إلى أملاك الصليبيين ذلك لاهتمامهم الكبير فقط بالمدن الساحلية التجارية والصناعية مثل دمياط[5].وخاصة أن المدينة اشتهرت بإنتاج الخمور،الزجاج،الخزف القيشاني، الأثاث، النسيج،العقاقير،العطور، والنبيذ وتلك الصناعات نقلها الصليبيون عنها[6].

وأثراشتراك المدن الإيطالية في الحملة الخامسة على العلاقة التجارية بين مصر والمدن الإيطالية ، حيث تعامل معهم سلاطين الأيوبيين بحذر شديد ، خاصة أنه كان بمدينة دمياط فندق للجنويين، تلك المدن التي كانت تمد مصر في السلم والحرب بالخشب والحديد والقار[7].

---

[1] ابن العميد : أخبار الأيوبيين، ص٦١٥- ٦١٦ .

[2] عبد الرحمن زكي : الجيش المصري في العصر الإسلامي، مكتبة الانجلو المصرية ، القاهرة ، ١٩٧٠م ، ص١٥٨-١٥٩ .

[3] جوزيف نسيم : العدوان الصليبي ، ص٩٥ .

[4] هايد : تاريخ التجارة في الشرق الأدنى،ج٢، ص٥٦ .

[5] محمد سهيل طقوش : تاريخ الأيوبيين، ص٣٠١ .

[6] اعتماد علام :الحرف والصناعات التقليدية بين الثبات والتغير، مكتبة الانجلو المصرية ، القاهرة ، ١٩٩١م ،ص٩٥.

[7] هايد : مرجع سابق ،ج٢ ، ص٥٦-٥٧ .

وكان من آثار الحملة قيام الفرنجة بسك عملة خاصة بهم للتعامل بها في أسواق دمياط ، وتحمل هذه النقود اسم دمياط باللاتينية Domiata حول شارة المسيحية الصليبية داخل دائرة[1]. حيث أنشأ الفرنجة داراً ضاربة لسك العملة. وتعتبر دمياط المدينة الوحيدة التي أنشأ بها الصليبيون داراً لسك النقود ذات الكتابات اللاتينية وعلى الرغم من قلتها إلا أنها كانت تعتبر دليلاً مادياً وأثرياً أكيداً على حقيقة نواياهم التوسعية التي تبدو واضحة في رغبتهم في البقاء وتكوين إمارة جديدة لهم بهذه المدينة كما حدث ببلاد الشام. كما أنهم وجدوا أن احتلالهم لمصر يضمن لهم بقاءهم ببلاد الشام[2].

لم تتعرض مدينة دمياط للحملة الصليبية الخامسة فقط بل تعرضت أيضا للحملة الصليبية السابعة (٦٤٧-٦٤٨هـ/١٢٤٩-١٢٥٠م)والتي كانت بقيادة لويس التاسع ملك فرنسا[3]، وكانت العلاقات الحميمة بين فردريك الثاني ملك صقلية النورماندي[4] ، سبباً في إبلاغ الصالح نجم الدين أيوب بقدوم الحملة ، الأمر الذي جعله يعود على الفور من دمشق إلى مصر لتجهيز الحملة[5].

و قد اختلف تأثير الحملة السابعة على دمياط عن الخامسة ففي السابعة امتنعت بعض المدن الإيطالية عن المشاركة في الحملة بخلاف ما كان في الخامسة . فلما استعان الملك لويس التاسع ملك فرنسا بالمدن الإيطالية و خاصة البندقية ، ماطلت و فضلت مصلحتها التجارية مع مصر ، فبالغت في عرض شروطها وخاصة أنها كانت تملك ترسانة حربية كبيرة ومن ضمن شروطها ، إعفاء تجارتها في الشرق من كل المكوس والضرائب والالتزامات . وكذلك الحال إزاء أحياء البنادقة وكنائسهم

---

[1] عبدالرحمن فهمي : النقود العربية ماضيها وحاضرها، وزارة الإرشاد والثقافة المصرية، القاهرة سنة ١٩٥٦، ص٨١ .

[2] رأفت النبراوي : النقود الصليبية في الشام ومصر، دار نهضة الشرق،القاهرة ، ١٩٩٦م ، ص٢٧١ .

[3] حسن حبشي : الشرق العربي بين شقي الرحى، دار الفكر العربيني، القاهرة، د.ت ، ص١٢٦ .

[4] فريدريك الثاني : ملك ألمانيا ، لقب بأعجوبة الدنيا ، كان صقليا تربى على القيم الثقافية العربية عرف حقائق الحياة ، ونبذ النظام الاخلاقي الغربي ، وجاء إلى الشرق سنة ٦٢٦هـ / ١٢٢٨م بجيش بري من ٦٠٠ فارس واستطاع ان يحصل علي مدينة بيت المقدس دون نزاع و قتال من الملك الكامل لإرتباطة بعلاقة صداقة معة الأمر الذى أغضب البابوية مما دفعهم إلى إصدار قرار الحرمان ضده (قاسم عبد قاسم :تاريخ الأيوبيين والمماليك ، ص٩٧-٩٩).

[5] نقولا يوسف : تاريخ دمياط منذ أقدم العصور ، مطبعة التحرير ، القاهرة ، ١٩٥٩, ص١٤١ .

وحماماتهم وفنادقهم ، و كل ذلك رغبة من البندقية في بقاء مصالحها التجارية مع مدن مصر و بـذلك لم تتوتر العلاقات التجارية بينها[1].

كما أثرت الحملة السابعة على مدينة دمياط في هجرة أهليا بما فيهم الصناع إلى بـاقي مـدن مصر . فبعد محاصرة الفرنج للجيش المصري بدمياط و رؤية الأهالي انسحابه فروا وتركوا دمياط ولحقوا بالعسكر في أشموم طناح . ويذكر أن أهالي دمياط خرجوا منها طوال الليل على وجـوههم . حتى لم يبق بها أحد من النساء أو الرجال أو الأطفال[2] . ومنهم من اتجه إلى القاهرة أيضـاً . وفـي طريقهم تعرضوا لحركة من النهب والسلب والسرقة . تلك المدينة التي كانت فخر الصناعة والتجـارة ومركزاً كبيراً للصناعة سواء صناعة النسيج الذي كان يصدر إلى الخارج ليس ذلك فقط بـل كانـت ميناءاً تجارياً كبيراً .كل ذلك كان من شأنه أن يؤثر على تعرض الصناعة و التجارة بها للتوقف لهجرة أهليا واكتظاظ المدن الكبرى كالقاهرة بسكانها الذين كان منهم الصناع سواء في مجال المنسوجات أو غيرها من المنتجات [3].

أما أثر الحملة على حركة التجارة فعقب استيلاء الفرنجة على المدينة استولوا على ما بها من الذخائر[4] وقتلوا خلقاً كثيراً أثر ذلك تأثيراً كبيراً على حركة اقتصاد المدينة و زاد الأمر سوءاً بحرق الأهالي لسوق المدينة قبل خروجهم منها منعاً من وقوع ما به من المنتجات والسلع في يـد الفرنجـة وخاصة أنها من الموانئ التجارية الهامة[5].

وقد كانت المنقولات التي أحضرت إلى مقر المندوب البابوي كثيراً ، وأخـذ رجـال الملـك يؤجرون الدكاكين إلى الأهالي بإيجارات باهظة ليبيعوا نصيبهم بها ، وذلك مما يدل على عرقلة حركة

---

[1] حسن حبشي: الشرق العربي بين شقي الرحى ، ص١٢٦ ،هايد : تاريخ التجارة في الشرق الادنى،ج٢،ص٦٠-٦١.

[2] حسن حبشي: مرجع سابق، ص٤١ .

[3] المقريزي : السلوك ، ج١ ، ق١ ، ص٣٣٥ .

[4] ابن الوردي: تاريخ ابن الوردي المعروف بتتمة المختصرفي أخبار البشر، مطبعة الحيدريةبالنجف بغداد،١٩٦٩م،ط٢،ج٢،ص٢٥٩، المقريزي: الخطط ،ج١، ص٥٥٤،ابن الوردي: مصدر سابق ، ص٤٧.

[5] سهيل طقوش : تاريخ الأيوبيين ، ص٢٨٢ .

Francesco Gabriell : Arab Historical of the crusado, London . 1969 ; p.285 .

البيع والشراء لأن ذلك من شأنه أن يرفع الأسعار لارتفاع إيجارات المحلات والدكاكين بها ، وبدوره يؤدي إلى عرقلة التجارة[1]. أما تأثير الحملة على التجارة الخارجية لدمياط فتوقفت حركة التجارة طوال فترة الحملة لاستيلاء الفرنجة على شواطئها[2].

أما أثر الحروب الصليبية على مدينة المنصورة : فتأثرت مدينة المنصورة بحملتين الحملة الصليبية الخامسة و الحملة الصليبية السابعة على مصر .

إنشاء مدينة المنصورة كان من أكبر الآثار التي ترتبت على الحملة الصليبية الخامسة على مصر حيث اقيمت في هذه المدينة الأسواق ، والحمامات ، والدور لخدمة الجيوش[3] وأحاط بها سوراً على النيل محاطاً بالآلات الحربية [4]. وكان اختيار مدينة المنصورة كحصن تجاه الفرنجة اختياراً موفقاً ويرجع ذلك إلى عدة أسباب منها أنها محصنة تحصيناً طبيعياً ولا يتيسر للصليبين الوصول إليها إلا تحت حراسة برية وبحرية مكثفة نظراً لبعدها عن قواعدهم في دمياط مما سيعرضهم لهجمات المصريين ، كما تعد أقرب المواقع لاستقبال النجدات القادمة من بلاد الشام عبر شبه جزيرة سيناء ، كما أنها أقرب طريق للمواصلات الرئيسية إلى القاهرة [5] إلى جانب قربها من ميناء سمنود[6] التجاري ذي المحاصيل الوفيرة ، والمركز الجغرافي المتصل بمختلف مدن الدلتا[7] .

---

[1] نقولا يوسف : دمياط ، ص١٤٢-١٤٣ .

[2] مصطفى زيادة: حملة لويس التاسع،القاهرة،١٩٦١م،ص٣٠،جوزيف نسيم :العدوان الصليبي،ص٩٥.

[3] المقريزي : السلوك ، ج١ ، ق١ ، ص٢٢٤ ، ٢٣٧ .

[4] عبد الرحمن زكي : الجيش المصري ، ص٨٦ .

[5] سهيل طقوش : تاريخ الأيوبيين ، ص٣١٣ .

[6] سمنود : مدينة صغيرة من أعمال الغربية ، تقع على ضفة فرع دمياط الغربي ، و بينها و بين المحلة ميلان (الأدريسي : نزهة المشتاق فى اختراق الأفاق ، عالم الكتب ، بيروت ، ١٩٨٩ م ، ص ٣٣٥ ، القزويني : آثار البلاد و أخبار العباد ، دار صادر ، بيروت ، ١٩٠٧ م ، ص ٢٠٣ ، القلقشندى : صبح الأعشى ، ج٣ ، ص ٣٨٣، عبد العال عبد المنعم : مدن مصر و قراها عند ياقوت ، ص ٤٨) .

[7] سهيل طقوش مرجع سابق ، ص٣١٣ .

و قد لعبت مدينة المنصورة دوراً في حماية المدن التجارية والصناعية باعتبارها كانت الحاجز بين دمياط التي استولى عليها الفرنجة وباقي مدن مصر الداخلية وخاصة القاهرة العاصمة في ذلك الوقت[١]. فحالت المدينة دون توغل القوات الصليبية نحو الداخل ، الأمر الذي يعجل بإحتلال مدن مصر الصناعية والتجارية كلها ، ويؤدي إلى نكسة الاقتصاد المصري في ذلك الوقت [٢]. و ذلك في أثناء الحملتين الصليبيتين الخامسة و السابعة على مصر .

و قد أثرت الحملة الصليبية السابعة على مدينة المنصورة والتي لم يمض على نشأتها ثلاثين عاما . فقد ازدادت المدينة بالحركة و النشاط خاصة أنها اكتظت بعدد كبير من أرباب الصناعات الذين التحقوا بالجيش : مثل الحدادين ، والنجارين ، والسيوفيين ، والنفاطين ، الذين كانوا يرمون بالنفط لاحراق حصون الأعداء بالمنجنيق ، والنقابين الذين ينقبون الأسوار[٣] إلى جانب صناع السفن الذين لعبوا دوراً في الحرب وخاصة في صناعة السفن والتي كانت تحمل مفككة من الفسطاط والإسكندرية ، ويتم إعادة تركيبها في بحر المحلة ومنها إلى المنصورة [٤]. ليس فقط بل أنشأ بالمدينة العديد من الأسواق و الحمامات و الفنادق و التي كان لها أثر كبير في زيادة بناء وتشييد المدينة[٥] .

وكان لتواجد الصناع والمتطوعين [٦] والأهالي في مدينة المنصورة أثناء الحملة دور في زيادة النشاط التجاري بالمدينة والتي اكتظت بالأسواق لخدمة الجيوش والمتطوعين إلى جانب نقل صناعة السفن بها لتركز عدد كبير من صناع السفن والحدادين بها لخدمة الجيش المصري[٧] .

---

[١] سهيل طقوش : تاريخ الأيوبيين ، ص٣١٢.

[٢] جوزيف نسيم : العدوان الصليبي ، ص٩٠ .

[٣] شلبي إبراهيم الجعيدي : طبقة العامة في مصر في العصر الأيوبي ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، القاهرة ، ٢٠٠٣م ،ص٢٣٨-٢٣٩ .

[٤] المقريزي : السلوك ، ج١ ، ق١ ، ص٣٥٣ .

[٥] شلبي الجعيدي : مرجع سابق ، ص٢٣٨-٢٣٩ .

[٦] قاسم عبده قاسم : تاريخ الأيوبيين والمماليك ، ص١٠٨-١٠٩ .

[٧] المقريزي :مصدر سابق، ج١ ، ق١ ، نص٣٥٣ .

أما أثر الحروب الصليبية على مدينة الإسكندرية : فقد تعرضت مدينة الأسكندرية لسلسلة من الهجمات الصليبية أثرت على حركتها التجارية و الصناعية.

تعرضت المدينة سنة(٥٧٠هـ/١١٧٤م) للغزو من قبل وليم الثاني ملك صقلية بناء على خطة دبرها جماعة من أنصار الفاطميين في مصر لإحياء الخلافة الفاطمية بالاتفاق مع أعداء صلاح الدين من الفرنجة و الإسماعيلية الحشيشية ببلاد الشام[١]. وقدم وليم الثاني بأسطول كبير العدد والعدة وانقض على مدينة الإسكندرية [٢].

و أثر ذلك الهجوم على الجانب التجارى للمدينة حيث كان بالميناء مراكب وسفن تجارية راسية معدة للإقلاع، وأخرى مقاتلة. وعندما فطن المسلمون لمجيء الفرنجة خافوا على مراكبهم من وقوعها في أيدى الفرنجة غنيمة فسبقوهم إليها.وقاموا بإغراق وإحراق بعض منها. الأمر الذى أثر على توقف حركة التجارة الخارجية للمدينة [٣].

كما أثر الهجوم الذى أحدثه الفرنجة سنة (٦١٢هـ/١٢١٥م) على العلاقات التجارية بين الإسكندرية و البندقية حيث اجتمع بها ثلاثة آلاف من تجار الفرنجة على أثر قدوم بطسة [٤]من السفن التجارية بها ملكان من ملوك الفرنج ، ترتب على ذلك أن ثار هؤلاء التجار وهموا بمقاتلة أهالي المدينة ليس ذلك فقط بل الاستيلاء عليها[٥] . وكان لقيام أعمال العنف التي ارتكبها هؤلاء التجار بالغ الأثر على توقف حركة النشاط والرواج التجاري بالمدينة وخاصة بين مدينة الإسكندرية والبندقية لقيام

---

[١] ابن الأثير : الكامل ، ج١١ ، ص٤١٤ .

[٢] الشيزري : المنهج المسلوك في سياسة الملوك ، تحقيق على عبدالله المرسي ، مكتبة المنار ، الاردن ، ١٩٨٦م ، ص٣٨ .

[٣] السيد عبد العزيز سالم : الاسكندرية وحضارتها في العصر الإسلامي، مؤسسة شباب الجامعة ، القاهرة ، ١٩٨٢م ، ص٢٣٣-٢٣٤ .

[٤] البطسة أو البطشة : سيأتي تعريفها و هي عبارة عن مراكب كبيرة الحجم تشتمل على عدة طبقات (أحمد عبد الرازق : الحضارة الإسلامية في العصور الوسطى ، دار الفكر العربى ، القاهرة ، ١٩٩٠م ، ص ٢١٦) .

[٥] المقريزي: الخطط ، ج١ ، ص٤٩١.

الملك العادل بسجن هؤلاء التجار ومصادرة أملاكهم [1] وسجن الملكان[2] . حتى جرت مفاوضات بين الملك العادل والبندقية[3] عادت بعدها العلاقات التجارية بين مدينة الإسكندرية والبندقية[4] .

أما مدينة تنيس : فقد تأثرت تلك المدينة بالحروب الصليبية وبهجماتها[5]. تلك الهجمات التي لم تؤثر على حركة الصناعة و التجارة بها فقط . بل كانت السبب في تدمير و نقل سكانها و صناعها إلى دمياط .

حيث تعرضت سنة(٥٧١هـ/١١٧٧م) لهجوم النورمان على المدينة والذين حاولوا أن يستردوا خسائرهم عقب هزيمتهم في هجومهم على مدينة الإسكندرية سنة(٥٦٩هـ/١١٧٥م)فجهزوا نحو أربعين مركبا من شواني صقلية ووصلت إلى مدينة تنيس و أعادوا نفس الهجوم سنة(٥٧٣هـ/١١٧٩م) واستمر القتال يومين . ودارت معركة قتل فيها من الفرنج نحو السبعين وما لبث أن ترك الفرنج المدينة بعد أن أشعلوا النار فيها و امتلأت أيديهم بالغنائم والأسرى[6].

كما تأثرت المدينة سنة (٥٧٦هـ/١١٨٠م) بنزول فرنج عسقلان في عشرة [7]حراريق[8] وتم أسر جماعة من أهالي المدينة ،و زاد الأمر سوءاً تعدى العربان في نفس السنة على مراكز تجارية

---

[1] هايد : تاريخ التجارة في الشرق الادني ،ج٢، ص٥٥ .

[2] الشيال : الاسكندرية ، ص٧٦ .

[3] المقريزي : الخطط، ج١ ، ص٤٩١ .

[4] Mavkenzie : Ayyubid cairo ,cairo ,the Amreican university, 1992 , p.24.

[5] الشيال : مرجع سابق ، ص٦٦-٦٧ .

[6] ناصر خسرو : سفرنامة ، ص٧٧ ، المقريزي : الخطط ، ج١ ، ص٥٠٨ ابن اياس ، بدائع الزهور ، ج١ ، ق١ ، ص٢٦ .

[7] المقريزي : الخطط ، ج١ ، ص٥٠٨ .

[8] الحراريق: جمع حراقة وهي سفن حربية متوسطة الحجم تتسع لمائة مقاتل وتجدف بحوالي مائة مجداف وكانت تستخدم لحمل الأسلحة النارية كالنار الإغريقية وتشمل على مرام لرمي النفط على سفن العدو لإحراقها ، كما كان هناك نوع من الحراقات تستخدم لحمل الأمراء ورجال الدولة في الاستعراضات البحرية والحفلات الرسمية (ابن مماتي: قوانين الدواوين،ص٣٣٩-٣٤٠،المقريزي: السلوك،ج١، ق١، ص٣٠٦، أحمد عبد الرازق: الحضارة الإسلامية ، ص٢١٥).

بمدينة تنيس[1] كل تلك الأحداث من شأنها أن تؤثر على الرواج الصناعي بمنتجاتها وعلى حركة تجارتها وخاصة الخارجية التي تكلفت تمد الدولة بما تجلبه من ضرائب.

وفي سنة(٤٦٧هـ/١٠٧٢–١١١١م) تعرضت مدينة تنيس للإغارة من قبل الفرنجة ، والذين استولوا على مركب للتجار[2]، ونتيجة لهذه الاعتداءات المتكررة من قبل الفرنجة على تنيس أمر السلطان بإخلائها ونقل أهلها إلى دمياط في سنة (٥٨٨هـ/١١٩٢م)[3] . ثم أمر الملك الكامل بتخريبها سنة (٦٢٤هـ/١٢٢٦م) ، فخربت أركانها[4] الخفية وعمائرها وقلاعها وهجرها أهلها وتبددت مصانعها ودور طرازها، حتى لا تقع في يد الصليبيين في الوقت الذي كان فيه الصليبيون على أهبة الاستعداد للمجيء إلى مصر بالحملة الصليبية الخامسة سنة(٦٣٠هـ/١٢١٩م) وبذلك زالت من الوجود مدينة كانت من أكبر المدن الصناعية، كما كانت ثغرا من أقوى ثغور مصر. حيث كان يعمل بها الثياب الثرية. وتصنع بها كسوة الكعبة[5].

كما كان للحروب الصليبية أثر كبير على عيذاب[6]: فقد حاول الفرنجة ضرب حركة تجارة مصر بين الشرق و الغرب عن طريق الميناء الثغرى البحرى عيذاب الذى يقع على البحر الأحمر .

لم يكتف الفرنج بالسطو على القوافل التجارية بين مصر وبلاد المشرق في أثناء مرورها فى المدن الواقعة تحت الحكم الصليبى[7] ، و خاصة ريتالد شاتيون أو البرنس

---

[1] المقريزى : الخطط ، ج١ ، ص٥٠٨ ، المقريزي : السلوك ، ج١ ، ق١ ، ص٩٥ .

[2] المقريزي : الخطط ، ج١ ، ص٥٠٨ .

[3] ابن بسام: أنيس الجليس ، ص١٧٣ ، سلام شافعي محمود : أهل الذمة في مصر في العصر الفاطمي الثاني والعصر الأيوبي، دار المعارف ، الاسكندرية، ١٩٨٢م ، ص١٥٠ .

[4] ستيفن رنسمان : تاريخ الحروب الصليبية ، دار الثقافة ، بيروت ، ١٩٨٢م، ط٢،ج٢ ، ص٧٠٦ .

[5] ابن بسام: مصدر سابق ، ص١٨١، المقريزي: الخطط،ج١، ص٥٠٨ .

[6] عيذاب:هى مدينة على ساحل البحر الأحمر وتقع فى أعلى الصحراء المنسوبة إليها والمعروفة بصحراء عيذاب (ابن جبير:رحلة ابن جبير، دار صادر،بيروت، ١٩٠٧م،ص ٤٥،البغدادي: مراصد الإطلاع، ج٢، ص ٩٧٤) .

[7] كان لكثرة تعرض القوافل التجارية بين مصر و بلاد المشرق وخاصة مكة والمدينة الأمر الذى جعل صلاح الدين يسعى إلى عقد اتفاقيات مع الصليبيين لتأمين سير تلك القوافل حتى أنه كان فى بعض الأوقات يخرج بنفسه لتأمينها كما حدث سنة(٥٦٨هـ/١١٧٢م) (عبدالرحمن زكي: الجيش في العصر الإسلامي، ص١٢٣– ١٢٤) .

أرناط[1] صاحب إمارة الكرك[2] الصليبية و خاصة بعد أن سمع بتوغل صلاح الدين نحو الشمال ومحاولاته الاستيلاء على أملاك الصليبيين سنة(٥٧٨هـ/١١٨٢م)، فأراد تنفيذ مشروعه القائم ليس فقط بالسطو على القوافل البرية ، بل تراءى له سنة(٥٧٧هـ/١١٨١م) أن يحقق خطته الجريئة لغزو بلاد المسلمين ومنها بلاد الحجاز مكة و المدينة المنورة،و أخذ الحجاج و منعهم من زيارة بيت الله الحرام إلى جانب نبش قبر الرسول (ص) [3].

كما كان يهدف أرناط أيضا إلى تنفيذ ما أعلنه البابا أوربان الثاني في مجمع كليرمونت سنة(٤٨٩هـ/١٠٩٥م) من ضرب حركة التجارة في البحر الأحمر و التي كان يتركز أغلبها في ميناء عيذاب التجاري وخاصة تجارة الكارم أوالتوابل القادمة من الهند ، وهي تجارة مزدهرة إلى مدى بعيد في ذلك العصر. والتي غنم من ورائها الفاطميون ومن بعدهم الأيوبيون الكثير[4]. كما ساهمت تلك التجارة في إمداد الدولة الأيوبية بالأموال اللازمة لدعم المجهود العسكري ، والتي كانت تجبى من الرسوم والضرائب المفروضة على السلع الشرقية والتي يحتاجها الغرب الأوروبي[5].

---

[1] ريناالد شاتيون أو البرنس أرناط: سبق وقام بحرب عصابات ضد نور الدين سنة (٥٥٥هـ / ١١٦٠ م) وفي عام (٥٥٦هـ / ١١٦١ م) وقع أسيراً في يد حاكم حلب، وفي سنة (٥٨٢هـ / ١١٨٦) تعرض لقوافل مصرية ونهب ماكان بها وغدر بالاتفاقيات التي عقدها معه صلاح الدين ويذكر أنه من بين الأسرى كانت أخت صلاح الدين. وكان أرناط من بين الأسرى في موقعة حطين(٥٨٣هـ / ١١٨٧ م) وقام صلاح الدين بقتله بنفسه(ابن سعيد: النجوم الزاهرة ، ص٩٥ ، مجهول: الاستبصار في عجائب الأمصار ، تحقيق سعد زغلول عبد الحميد ، الإسكندرية ، ١٩٥٨م ، ص١٠٥) .

[2] الكرك : هي أحد الإمارات الصليبية و التي تقع في جنوب شرق البحر الميت و التي حصل عليها أرناط بعد زواجه من وريثة إمارة الكرك و كانت تقع على طول القوافل التجارية بين مصر و بلاد الحجاز (مصطفى زيادة : حملة لويس التاسع ، ص ٣٠ ، محمد مؤنس: الحروب الصليبية ،عين للدراسات والبحوث ، القاهرة ، ١٩٩٦م ، ص٢١٢).

[3] ستيفن رنسمان: تاريخ الحروب الصليبية ، ج٢ ، ص٧٠٦ .

[4] محمد مؤنس : مرجع سابق ، ص ٢١٢ .

[5] عصام شبارو: السلاطين في المشرق ، ص٢١٢- ٢١٣.

و لكي يحقق أرناط هدفه في الاستيلاء على حركة التجارة الممتدة من عدن إلى مصر خاصة في ميناء عيذاب في البحر الأحمر[1] قام بجمع أسطول مفكك إلى قطع وحمله براً إلى القلزم[2] وسارت قواته نحو البحر الأحمر حتى وصلت إلى عيذاب وكان في ذلك الوقت الميناء الرئيسي للتجارة المصرية الدولية بين الشرق والغرب على البحر الأحمر[3] . حيث قام بأسر وحرق نحو ستة عشر مركباً في بحر القلزم (البحر الأحمر) كما أخذ بعيذاب مركباً يأتي بالتجار والحجاج من جدة ، إلى جانب إستيلائه على قافلة كبيرة من الحجاج والتجار كانت في طريقها من قوص إلى عيذاب قتل جميع من كان فيها كما أخذ مركبين فيهما بضائع جاءت من اليمن واستولى على أطعمة كثيرة بالساحل كانت معدة لميرة الحرمين وأحدث حوادث لم يسمع بها في الإسلام[4] .

و كانت تلك محاولة لعرقلة و ضرب حركة تجارة مصر بين الشرق و الغرب و ذلك بمينائها التجاري الثغري بعيذاب الذي لم يسلم من تلك الهجمات .

لكن سرعان ما جهز الملك العادل، وهو نائب السلطان صلاح الدين على مصر، حملة بقيادة الحاجب حسام الدين لولو إلى القلزم وسار إلى أيلة [5]، وظفر بمراكب الفرنجة فحرقها وأسر من فيها، وسار إلى عيذاب وتتبع مراكب الفرنجة فأوقع بها بعد أيام واستولى عليها ، وأطلق من فيها من التجار المأسورين ورد عليهم ما أخذ منهم[6].

---

(1) محمد مؤنس: الحروب الصليبية ، ص٢١٥.

(2) القلزم : بلدة تقع على الساحل الغربي في شرقي أرض مصر على البحر الأحمر (المقريزي : الخطط ،ج١ ، ص ٥٩٦ ستيفن رنسمان : مرجع سابق ، ج٢ ، ص٧٠٦) .

(3) ابن الأثير : الكامل ، ج١١ ، ص٤٩٠ ، محمد مؤنس : الحروب الصليبية ، ص٢١٢ .

(4) ابن كثير : البداية والنهاية ، ج١ ، ص٣٠٩ ، المقريزي : السلوك ، ج١ ، ق١ ، ص١٠٢ .

(5) أيلة : تقع على ساحل بحر القلزم مما يلي الشام و هي آخر الحجاز و أول الشام ، و كانت ثغراً تجارياً على خليج العقبة و فيها مضارب و تقع على بعد من طور سيناء (، بنيامين التطيلي : رحلة بنيامين ، تحقيق عزرا حداد ، بغداد ، ١٩٤٥ ، ص ١٨٠، ابن دقماق : الانتصار ، ق٢ ، ص ٥٣) .

(6) المقريزي : السلوك ، ج١ ، ق١ ، ص١٠٢ .

وبذلك استطاع حسام الدين لؤلؤ أن يقضي على حملة أرناط الذي كان عازماً على الدخول إلى الحجاز ومكة والمدينة وأخذ الحجاج ومنعهم من زيارة البيت الحرام[1].

ب - النزاع بين أبناء البيت الأيوبي وأثره على مدن مصر الصناعية والتجارية (٥٦٧_٦٤٨هـ/١١٧١_١٢٥٠م)

أثر النزاع بين أبناء البيت الأيوبى على بلبيس و القاهرة :

قام السلطان صلاح الدين الأيوبي بتقسيم أملاكه على أولاده وكان ذلك سببا في قيام النزاع بينهم والذي أدى بدوره إلى تأثر مدن مصر الصناعية والتجارية من جراء الحروب والنزاعات التي نشبت بينهم[2] .

كان لتطلع العزيز عثمان (٥٨٩-٥٩٥هـ/ ١١٩٣-١١٩٨م) الذى كان حاكماً على مصر للإستيلاء على أملاك أخيه الأفضل الذى كان حاكماً على بلاد الشام و عرف بسوء حكمه الأمر الذي جعل العزيز عثمان يجهز جيشاً وعزم على المسير نحو بلاد الشام في الوقت الذي لجأ فيه الأفضل لعمه العادل الذي عرف بدهائه وقوة سياسته ومكيدته وقد أتاحت تلك الخلافات الفرصة للعادل للتدخل والاستيلاء على أملاك أولاد أخيه[3].

و على أثر هذا النزاع جاء الأفضل و عمه العادل بجيش وحاصر بلبيس بقواتيما[4] التي استولت على بعض السفن التي كانت متجهة في بحر أبو المنجا أحد أفرع النيل ببلبيس ، وأحرقوا بعض السفن الأخرى وسلمت ثمانية مراكب وعادت إلى القاهرة . ولما شدد الحصار على بلبيس وكادت أن تسقط ، الأمر الذي جعل العزيز عثمان يسارع بطلب الصلح ، واتفقوا أن تكون مصر للعزيز

---

[1] ابن الاثير : الكامل ، ج١١ ، ص٤٩٠ .

[2] ابن إياس : بدائع الزهور ، ج١ ، ق١ ، ص٢٥٠-٢٥١ .

[3] قاسم عبده قاسم : الأيوبيون والمماليك ، ص٨٥ .

[4] نفس المرجع والصفحة.

عثمان ، ويعود الأفضل إلى دمشق ويبقى العادل بجوار ابن أخيه العزيز بمصر يعاونه في الحكم[1].

و أثر ذلك النزاع على حركة الصناعة و التجارة بمدينة بلبيس و التي كانت مركزاً تجارياً على طول الطرق التجارية بين مصر والشام ،حيث تقع على مدخل حدود مصر الشرقية ، وتعد عاصمة لإقليم الشرقية ولأهميتها التجارية أقيم فيها مركز للبريد[2]. وكان لتوقف أهلها للدفاع عنها أثر على توقف حركتها الصناعية والتجارية [3].

كما كان لتطلع الملك الأفضل و عمه العادل للإستيلاء على ملك مصر مستغلين في ذلك صغر سن المنصور محمد (٥٩٥-٥٩٦هـ/ ١١٩٨-١١٩٩م) [4] و الذى استمرت مدة حكمه سنة وشهر[5]. و الذى كان الملك العادل وصياً عليه [6]. الأمر الذى جعل الأفضل يلجأ إلى أخيه الظاهر غازي صاحب حلب لمحاصرة دمشق التي كانت تحت حكم العادل في حين يفرض الأفضل سيطرته على مصر. وبالتالي تتقهقر قوات العادل . في الوقت الذي وفدت قوات الكامل بن العادل والتي كانت بمثابة نجدة له[7].

و أثرت تلك الأحداث على مدينتي بلبيس و القاهرة . حيث دخل الملك الأفضل بلبيس و تحصن بها وأخلاها من النساء والقوم ، ولم يبق بها سوى الباعة والتجار[8]، وما لبث أن أحرقها حتى يسد الطريق أمام العادل ، وانتقل إلى القاهرة و تحصن بها و استمر الملك العادل في الضغط على الأفضل في القاهرة وذلك سنة(٥٩٦هـ/ ١١٩٩م). ولكن نظرا لخوف العادل على مدينة

---

[1] المقريزي : السلوك،ج١ق١،ص١٥٥.

[2] محمد فتحي الشاعر : الشرقية في عصر سلاطين الأيوبيين والمماليك ، دار المعارف ، القاهرة ، ١٩٩٧م، ص٢٧.

[3] رزق الله منقريوس : تاريخ دول الإسلام ، طبعة الهلالي، الفجالة ، القاهرة، ١٩٠٧، ج٢ ص٢٥٥ .

[4] الملطي : نزهة الأساطين فيمن ولي مصر من السلاطين، تحقيق محمد كمال الدين ، مكتبة الثقافة الدينية ، القاهرة، د.ت، ص٥٣- ٥٤ .

[5] القرماني : أخبار الدول وآثار الأول في التاريخ ، بغداد ، ١٩٨٢م، ص١٩٥.

[6] ابن سعيد: النجوم الزاهرة ، ص١٩٧- ١٩٩.

[7] قاسم عبده قاسم : تاريخ الأيوبيين والمماليك، ص٨٧- ٨٨.

[8] ساويرس: سير بطاركة الكنيسة، ص١٠٥.

القاهرة[1]، ضيق الخناق على الملك الأفضل حتى فضل الاستسلام . وانتهت تلك الحرب بين العادل وابن أخيه الأفضل على أن يتولى العادل مصر(٥٩٦-٦١٥هـ/ ١٢٠٠-١٢١٨م)، ويتولى الأفضل دمشق[2].

وكان لتلك الحروب و الظروف الإقتصادية السيئة التي تعرضت لها البلاد نتيجة لإنخفاض مياه الفيضان سنة(٥٩٦هـ/ ١١٩٩م)، وما ترتب عليه من شدة الغلاء ، وارتفاع الأسعار ،وتكاليف الحرب كل ذلك كان له أثره البالغ على مدينتي بلبيس والقاهرة ، بل على كافة مدن مصر الصناعية والتجارية[3].

كما كان للنزاع بين العادل الثاني(٦٣٥-٦٣٧هـ/ ١٢٣٨-١٢٤٠م) والصالح نجم الدين أيوب الذي تطلع لحكم مصر نظراً لما كان يعرف به العادل الثاني من صغر سنه وتهوره وعدم خبرته في تولي زمام الحكم [4] ، تعرض لمؤامرة خلع على أثرها و تولى الصالح نجم الدين أيوب . وانتهى النزاع باستعانة العادل الثاني بفلول الخوارزمية فأشاع روح الانقسام في الجيش[5] الأمر الذي سبب اضطراباً في الشئون المصرية خاصة في مدينة القاهرة التي شهدت تلك الصراعات والإنقلابات وأثر ذلك على حركة التجارة والصناعة بها . و على الأسواق حيث نهبت الحوانيت . فكان التجار يغلقون حوانيتهم ويسرعون إلى منازلهم خوفا من سرقة بضائعهم [6].

---

[1] علي إبراهيم حسن : مصر في العصور الوسطى ، ص١٥٤ .

[2] الذهبي : العبر في خبر من غبر، ج٣ ، ص١١٥.

[3] قاسم عبده قاسم : تاريخ الأيوبيين والمماليك، ص٨٨.

[4] زكي محمد حسن وآخرون: مصر الإسلامية مطبعة المقتطف والمقطم ، ١٩٣٧م،ص٢٥.

[5] عصام شبارو : السلاطين في المشرق، ص١٨٧- ص١٨٨.

[6] المقريزي : السلوك، ج٢، ق١، ص٢٩٠.

٢- أثر الأحوال الاقتصادية على مدن مصر الصناعية والتجارية

أ- المكوس :

المكوس: جمع مكس ، ومن معانيه في اللغة العربية هي ما يؤخذ من بائعي السلع في الأسواق،والمكوس في مصطلح مؤرخي مصر الإسلامية كل ما يحصل من الأموال لديوان السلطان أو لأصحاب الاقطاعات أو موظفي الدولة خارجا عن الخراج الشرعي[١]. و قد أجازها فقهاء المسلمين لقلة موارد بيت المال و ازدياد النفقات والمرتبات ، فلذلك كان لابد من إيجاد موارد جديدة لسداد هذا العجز عن طريق تلك المكوس ، والتي اتسمت بالكثرة والتنوع وعدم الثبات على حال دائم حسب أهواء المسئولين . وقد شملت أغلب المتاجر الواردة من الخارج ، كما شملت أغلب السلع التي كانت تباع وتشترى في الأسواق[٢].

وقد اختص بالإشراف عليها في العصر الأيوبي ديوان الثغر، الذي يهتم بموارد ومصاريف الدولة[٣]. وخاصة الرسوم التي كانت تجبى على البضائع سواء في المدن المطلة على البحر الأحمر مثل عيذاب ، أو على ما يجري تحصيله في الفسطاط، والقاهرة، أو على المدن المطلة على البحر المتوسط مثل الإسكندرية ودمياط[٤] ، وقد اختص بجبايتها ديوان الخراج أو الهلالي[٥] .

كما كانت تلك الضرائب التي فرضتها الدولة على التجار أو على السلع في المدن الصناعية بمصر لم تكن في كثير من الأحوال تدفع مالا ، وإنما تدفع أرضا أو عقارا أو محاصيل. ثم إن الحكومة كانت تحتكر جزءا من التجارة ،وكانت كثيرا ما تبيع حق الإحتكار لبعض التجار فيرفعون

---

(١) المقريزي : السلوك، ص٢٦٧ .

(٢) العبادي : الحياة الاقتصادية ، ص٣١٤.

(٣) عصام شبارو : السلاطين في المشرق، ص٢٠٠ .

(٤) المقريزي : مصدر سابق، ج١، ق١، ص٢٦٧.

(٥) ابن الفرات : تاريخ ابن الفرات ، ج١، ق٤،ص١٤٩.

الأسعار ، فتعلو صيحات الشعب من الغلاء ، فتعود الحكومة إلى الضرب على أيدي أولئك التجاركما كان يحدث طوال العصر الأيوبي [1].

المكوس في مدن مصر الأيوبية و أثرها على المدن :

اهتم صلاح الدين وخلفاؤه من بعده بالنشاط التجاري بالمدن وبحركة التجارة الداخلية [2]، ورغبة منه في تسهيل حركة التجارة بالمدن والعمل على تشجيعها وتسهيل سبلها من جهة ، فأجازها مع الفرنجة على الرغم من حروبه معهم [3]، لما كان لحركة التجارة والتبادلات التجارية من دور مهم في دعم النشاط العسكري[4] .

لذلك قام صلاح الدين الأيوبي بإلغاء المكوس غير الشرعية في مدن مصر و الشام أيضا .حيث ألغى معظم المكوس الفاطمية سنة(٥٦٧هـ/ ١١٧١م)[5] وقيل سنة(٥٦٦هـ/ ١١٧٠م)[6] وقيل سنة(٥٦٤هـ/ ١١٦٨م)[7] و كان ذلك في الوقت الذي كان لا يزال فيه نائبا عن نور الدين في مصر[8]. حيث سار على نهج نورالدين في رفع المظالم والمكوس التي تتنافى مع الشريعة الإسلامية إلى جانب رغبته في إزالة كل أثر للنظام الفاطمي[9].

---

[1] عبداللطيف حمزة : الحركة الفكرية ، ص٦٥.

[2] سلام شافعي : أهل الذمة في مصر، ص٢٠٠.

[3] احمد البيلي : حياة صلاح الدين الأيوبي ، مطبعة السعادة ، القاهرة ، ١٩٢٢ ،ص٢٠٠.

[4] إبراهيم زكي خورشيد : دائرة المعارف الإسلامية ، دار الشعب،القاهرة، د.ت، م٥، ص٤٤٨.

[5] حسنين ربيع : النظم المالية ، ص٨١.

[6] المقريزي : اتعاظ الحنفا بأخبار الائمة الفاطميين الخلفا، المجلس الاعلى للشئون الاسلامية ، القاهرة ، ١٩٧٣م ، ج٣ ص٣١٩.

[7] المقريزي : الخطط ، ج١، ص٣٠٢.

[8] المقريزي : اتعاظ الحنفا، ج٣، ص٣١٩.

[9] قاسم عبده قاسم : تاريخ الأيوبين والمماليك، ص٤٠، إبراهيم خورشيد: مرجع سابق، ص٤٤٨.

و خاصة أن المكوس التي كانت مفروضة في العصر الفاطمي عرفت بشناعتها و يرجع ذلك إلى تنافس الوزراء الفاطميين[1] ولشراء السوء منهم في فرضها [2] ولهذا كثر الظلم وعمت الشكوى والفتن في الأسواق ،و التصقت طرق جباية المكوس بالعنف و سوء المعاملة و ليس أدل على ذلك من شكوى ابن جبير من قسوة الإجراءات الجمركية وسوء معاملة التجار والحجاج القادمين إلى البلاد والخارجين منها[3]. حتى لقد وصل بهم الحال في العصر الفاطمي إلى أن المآصر وهي السلاسل الحديدية التي كانت تمتد في البحر عند مدخل الموانئ لحمايتها من غارات السفن المعادية صارت تستخدم أيضا بغرض جمع المكوس [4].

وكتب القاضي الفاضل مرسوماً عن السلطان صلاح الدين الأيوبي بإلغائه المكوس، وقرئت نسخة أو منشور على المنابر ووزع رسم بمسامحة أهل القاهرة ومصر[5]. وجميع التجار المترددين عليهما ، وعلى ساحل المقس والمنيه بإلغاء المكوس وصادرها وواردها[6] .

أ- المكوس التي ألغاها صلاح الدين بمدن مصر:

ومن بين المكوس التي ألغيت والتي وصل عددها إلى ثمانية و ثمانين مكساً من المكوس ،وكانت جملة حصيلتها تقدر بمائة ألف دينار سنويا[7]. وكان الهدف من إلغائها تيسير حركة التجارة الداخلية والخارجية للمدن ، حيث كان صلاح الدين لا يأخذ من التجار سوى الزكاة ، وعلى ما يأتون به من متجر حال عليه الحول. أما ما قام بإلغائه فمنه :مكس البهار، ومكس صناعة القماش ،ومكس الصادر ، ومكس البضائع والقوافل ، والمكس المفروضة على البائعين مقابل استخدام الأماكن المخصصة لهذا الغرض كأسواق الغنم والدواب والسمك والرقيق وغيرها. كما ألغى الرسوم على

---

[1] شوقي ضيف : عصر الدول والإمارات،دار المعارف ، القاهرة ،١٩٨٤م، ص٢٨.

[2] محمد كرد : الإسلام والحضارة العربية ، مطبعة دار الكتب، القاهرة، ١٩٣٤،ص٢٩١.

[3] ابن جبير : رحلة ابن جبير، ص٣٨-٣٩ .

[4] نفس المصدر والصفحة.

[5] ابن اياس : نزهة الامم، ص١٤١، بدائع الزهور، ج١ق١،ص٢٣٨.

[6] ابو شامه : الروضتين ، ج١ ، ص١٦٠ .

[7] حسنين ربيع: النظم المالية،ص٥٠-٥١.

أعمال البيع والشراء على المتاجر والمصانع والمخازن ، والتفتيش على السفن بساحل النيل ، ورسوم حراسة الغلات وغيرها من السلع التي كانت تصل إلى شاطئ النيل ، ورسوم السمسرة على البيع والشراء ورسوم المعديات من وإلى مصر من الجهات المجاورة[1] ، ورسوم استعمال الميزان المسمى بالقبان[2] .

إلى جانب العديد من الرسوم مثل رسوم الخشب ، والملح ، مكس الصوف ، وسوق وردان ، وسمسرة الكتان ، وسوق السمك بالقاهرة والفسطاط ، وسوق الدواب بالقاهرة ومصر ، والفاخور بمصر والقاهرة وغيرها[3] . وأراد صلاح الدين بذلك أن يخفف عن المسلمين هذه الرسوم ويقيم العدل ويزيل علل الناس ، وييسر حركة التجارة ، كما كان مشجعا للتجار الأجانب على التعامل مع مدن مصر[4].

و قد كان لذلك أثره على نشاط حركة الرواج التجارى بمدن مصر ، حيث كان لإلغاء صلاح الدين المكوس الفاطمية دور فى إطلاق حرية التجارة للتجار فى المدن ليس فقط بل منحوا حرية التنقل و ليس أدل على ذلك مما ذكر أن أصبح التاجر يرد ويسافر إلى المواني ويغيب عن ماله ويحضر ويتاجر في البر والبحر سرا وجهرا ولا يسأل عما أورده وصدره ، ولا يؤخذ منه طعمه ولا يستباح حرمه[5]. و ترتب على ذلك أن وصل معظمهم (أى التجار) لدرجة من الثراء إلى قيامهم بتقديم خدمات للمدن بجانب الخدمات التى تقدمها الدولة لها مثال على ذلك : بنائهم لبعض المنشآت الخاصة بالمدن كالمدارس مثل مدرسة ابن الأرسوفى بالبزازين فى الفسطاط و التى نسبت لصاحبها التاجر عفيف الدين عبد الله الأرسوفى العقلانى (٥٩٠ هـ / ١١٧٤ م)[6] .

---

[1] فايد عاشور العلاقة بين البندقية والشرق الأدنى ص٢٦٩ـ٢٧٠، ياسر حلمي: طبقة التجار، ص١٦-١٧.

[2] حسنين ربيع: النظم المالية ، ص٥٢.

[3] نفس المرجع و الصفحة.

[4] فايد عاشور: مرجع سابق ، ص٢٦٩-٢٧٠.

[5] ابو شامه : الروضتين ، ج١ ، ص١٦٠ .

[6] منى محمد بدربهجت :أثر الحضارة السلجوقية في دول شرق العالم الأسلامى على الحضارتين الأيوبية والمملوكية،مكتبة زهراء الشرق،القاهرة،٢٠٠٢م،ص٥٥.

ب – المكوس التي أعادها صلاح الدين في مدن مصر

في سنة(٥٧٧هـ/ ١١٨١م) أعاد صلاح الدين مكس تجار الكارم . وكان يؤلف هذا النوع من المكوس جانبا كبيرا من الموارد المالية واختص بها الديوان السلطاني وكان يجبي معظمها من مدن مصر بالوجه القبلي حيث كانت تفرض رسوم على البضائع التي يجلبها التجار الكارمية في البحر الأحمر من جهة الحجاز واليمن[١]. والشرق الأقصى وزنجبار[٢] ويتم تحصيلها في أربعة مواضع ، عيذاب ، والقصير ، والفسطاط ، وقوص . أما ميناء عيذاب فكان أكثر الموانيء نشاطا لرغبة رؤساء السفن في العبور من جدة إليها حيث تنقل منها البضائع إلى قوص ثم تحمل عن طريق النيل إلى فندق الكارم بالفسطاط . أما القصير فلم تكن في نشاط عيذاب ، كما تعرض كل من القصير وعيذاب في العصر الأيوبي لأخطار الصليبيين بعكس كل من قوص والفسطاط[٣].

وكانت لأهمية مكوس الكارمية في مدن مصر في العصر الأيوبى دور فى إمداد الدولة بالمال فقد لجأ صلاح الدين سنة(٥٧٧هـ/ ١١٨١م) وخاصة بعد هجوم الصليبيين على ميناء عيذاب ، إلى تحصيل مكوس أربع سنوات من تجار الكارم دفعة واحدة لحاجته للمال في ذلك الوقت لمجاهدة الصليبيين الذين هاجموا عيذاب والبحر الأحمر في نفس العام[٤] .

ومن المكوس التي فرضت في العصر الأيوبي على مدن مصر ضريبة الخمس وهي ضريبة كان يدفعها التجار البيزنطيون وغيرهم من الأجانب غير المسلمين على متاجرهم التي تصل إلى تلك الموانيء على أن الضريبة تراوحت من الناحية العملية زمن صلاح الدين ٢٠% ، ٣٥%من قيمة البضائع المجلوبة مع أولئك التجار ، وكانت تفرض على موانيء الإسكندرية، ودمياط ، وتنيس[٥].

---

[١] حسنين ربيع : النظم المالية، ص٥٠.

[٢] الحويري: أسوان، ص١٠٥.

[٣] العريني: مصر في عصر الأيوبيين، ص١٩٤.

[٤] محمد عبد الغني الأشقر: تجار التوابل في مصر في العصر المملوكي، الهيئة العامة المصرية، القاهرة، ١٩٩٩، ص٥٦ ، حسنين ربيع :مرجع سابق ، ص ٥١.

[٥] ابن مماتي : قوانين الدواوين ، ص٣٢٦-٣٢٧ .

وكانت أكبر المدن التي يجبى منها ضريبة الخمس مدينة الإسكندرية . والتي تقررت على التجار القادمين لها أو إلى دمياط على أن يدفعوا ضريبة الخمس عن تجارتهم مرة واحدة[1] . ولم يكن يسمح لحركة التنقلات بين الموانئ والدول بعضها البعض إلا بدفع التاجر أو المسافر براءة أو قدمها في الموانئ التي يمر عليها ، والتي تدل على أنه دفع أو سدد ضرائبه وأخذ منها براءة[2] ، والتي تمكنه من حرية نقل بضائعهم داخل وخارج أقطار عالم البحر المتوسط . وخير مثال على ذلك انه كان لا يسمح للسفن الإيطالية أن تبرح ميناء الإسكندرية إلا إذا دفعت الضريبة المقررة عليها[3].

وكان ما يزيد على الخمس المدفوع من السفن التجارية والذي يصل إلى العشر رتبه صلاح الدين لفقهاء الثغر وعرفت هذه الرسوم بصادر الإفرنج[4] . وقد ساهمت ضريبة الخمس في دعم المجهود العسكري لدى صلاح الدين[5] . و أثرت تلك الضريبة على انتعاش حركة الرواج التجارى بمدينة الأسكندرية حتى قد وصل متحصلها بالإسكندرية سنة(٥٨٧هـ/ ١١٩١م) مقدار ٢٨٦١٣ دينارا وتقابل تلك الضريبة في وقتنا الحالي (الضرائب الجمركية)[6].

وكان الديوان السلطاني هو المسئول عن تلك الضريبة[7]، وخاصة أنواعها الصادرة والواردة على البضائع التي تباع فعلاً ، أما التي لم تجد لها سوقا في البلاد فلا يدفع عنها أربابها ضريبة وارد،ويجوز لهم أن يعيدوا تصديرها دون دفع رسوم على أن يستثنى من ذلك : الحديد ، والخشب، والقار. والتي تحتم عليهم أن يبيعوها للحكومة بسعر السوق . أما ضريبة الصادر ، فيجري تحصيلها

---

[1] ابن مماتي : قوانين الدواوين ، ص٣٢٦-٣٢٧ ، العريني: مصر فى عصر الأيوبيين ، ص١٩٣.

[2] صابر دياب: دراسات فى عالم البحر المتوسط، (المجلة التاريخية المصرية للدراسات التاريخية ، مج ٢٤، ١٩٧٧م) ص٧٠-٧١.

[3] عصام شبارو: السلاطين فى الشرق، ص٢٠٠.

[4] عبد العزيز سالم: الإسكندرية، ص٢٦٠-٢٦١.

[5] الشيال: تاريخ مدينة الإسكندرية، ص٦٦.

[6] ابن ظهيرة: الفضائل الباهرة، ص١٢٦-١٢٧.

[7] العريني : مرجع سابق ، ص٢٠٨.

عن جميع السلع التي يشتريها التجار الأجانب من مصر ، وعن الأموال التي تجبى من البلاد وإلى جانب هذه الضرائب كانت هناك ضرائب أخرى مثل رسوم السمسرة ،ورسوم عن الترجمة[1].

كما كان هناك أيضاً ضريبة المتجر بالإسكندرية زمن الأيوبيين ،وكان بها ديوان خاص بالمتجر السلطاني، والمختص بشراء البضائع اللازمة للدولة الأيوبية من التجار الواردين مما تدعو إليه الحاجة من الأخشاب ، والحديد ، والأجواخ ، والأقمشة صوفية ، وما يستلزمه الجيش[2].

وكانت للمكوس التي وضعها صلاح الدين أثر كبيرأيضاً في تشجيع التجار الأجانب ومنحهم البضائع بسعر رخيص وخاصة البنادقة والجنويين ومما أثر في تقديمهم للعديد من الخدمات للحكومة الأيوبية . وخير مثال على ذلك إبلاغهم لصلاح الدين بحملة فردريك بارباروسا سنة(٥٨٩هـ/ ١١٩٣م) . كما اعتمد عليهم صلاح الدين كجواسيس[3].كما لجأ صلاح الدين إلى التجار المحليين بمدينة الإسكندرية ،واقترض منهم سنة(٥٩٠هـ/ ١١٩٣م) وأرسل لهم العزيز عثمان في هذة المهمة[4].

وساوى صلاح الدين بين التجار اليهود ، وبين بقية التجار غير المسلمين حيث خفض رسوم الضرائب الجمركية لهم سواء كانوا وطنيين أم أجانب إلى النصف[5]. ففرض عليهم ضريبة الخمس طوال فترة حكمه . في حين كانوا قبله يؤدون غير الخمس ضريبة تسمى جعلية . وكانت تؤديها جماعات اليهود حتى أثناء تواجدهم خارج مصر [6].

وكانت المكوس أيضا تؤخذ على انتقال القوافل على طول الطرق وليس أدل على ذلك ما كان يحدث في إقليم الشرقية عبر بلبيس إلى بلاد الشام والحجاز. فكان على كل تاجر من تجار القوافل أن يدفع ضرائبه إذا انتقل من مركز إلى آخرداخل إقليم الشرقية وهو في طريقه إلى بلاد الحجاز . وكان

---

[1] العريني: مصر في عصر الأيوبيين ، ص ٢٠٨.

[2] ابن مماتي : قوانين الدواوين ، ص٣٢٧، المقريزي: الخطط،ج١، ص٣١٣.

[3] فايد عاشور: العلاقة بين البندقية والشرق الأدنى، ص١٨٢.

[4] ياسر حلمي: طبقة التجار، ص١٢.

[5] سلام شافعي: أهل الذمة في مصر، ص١٨٨.

[6] عطيه القوصي: صلاح الدين واليهود، مقال بالمجلة التاريخية المصرية، م٢٤، ١٩٧٧م، ص٥٣.

من بين المدن التي كان يدفع فيها رسوم جمركية[1] مدينة قطيا[2]، وخاصة أثناء قدوم القوافل من بلاد الشام عبر إقليم الشرقية[3].

ومن المدن أيضا التي كان يحصل منها مكوس خاصة بصيد الأسماك، مدينة تنيس، و يجبى منها في السنة الواحدة ما يقدر بخمسين ألف دينار من صيد الأسماك . وقد نالت اهتمام الدولة لدرجة أنهم أنشأوا لصيدها ديواناً خاصاً بصيد الأسماك عرف بديوان الأسماك[4]. وكان مقدار ما يتحصل يوميا في خزينة الدولة من تنيس في بعض الأيام يقدر بألف دينار مغربي[5].

كما كان يحصل مكوس على مصايد بحيرة نستروه[6]، والتي كان يتحصل منها زمن صلاح الدين ما يقدر سنويا ١٧٥٠٠ دينار وقفه صلاح الدين على الأيتام و الأرامل[7] .

ومن الرسوم التي قام صلاح الدين بإلغائها وأعيدت مرة ثانية رسوم الخمور بالقاهرة والإسكندرية حيث أبطلها صلاح الدين وأراد بذلك القضاء على صناعة الخمور، ولكن أرباب النبيذ والخمور سعوا إلى نجم الدين والد صلاح الدين لإعادتها فأعيدت[8].

ومما سبق يتضح مدى الأثر الكبير الذى أحدثة صلاح الدين على المدن بالغاءه للمكوس الفاطمية و أثر ذلك على إنتعاش حركة التجارة و الصناعة بالمدن و خاصة المدن الثغرية كمدينة الأسكندرية ، و دمياط ، و تنيس إلى جانب العاصمة القاهرة و المدن الواقعة على طول الطرق

---

[1] حسنين ربيع: النظم المالية، ص٥٢.

[2] مدينة قطيا : تقع فى طريق الشام إلى الديار المصرية ، و لا يمكن الوصول إلى الديار المصرية إلا منها و تقع على بعد ٢٦ ميلاً من القنطرة إلى العريش (القلقشندى : صبح الأعشى ، ج ٣ ، ص ٣٦٦) .

[3] على السيد على: طريق القوافل، ص٤٧٨-٤٧٩.

[4] ابن بسام: أنيس الجليس، ص١٨٦.

[5] ناصر خسرو: سفرنامة، ص٧٩.

[6] بحيرة نستروة : هى جزيرة تقع بين دمياط و الأسكندرية و تقع بالقرب من بحيرة البرلس (البغدادى : مراصد الإطلاع ، ج ٣ ، ص ٣٠٤) .

[7] حسنين ربيع: مرجع سابق ، ص٥٢.

[8] نفس المرجع والصفحة .

التجارية كبلبيس و غيرها . و زادت عائدات مكوس المدن و التي كانت تسهم في الدعم الحربي لمدن مصر .

جـ - المكوس في مدن مصر في عهد خلفاء صلاح الدين

أعاد العزيز عثمان والذي تولى عقب وفاة والده صلاح الدين المكوس وزاد في شناعتها ، حيث حميت بيوت المزر(الخمر) ، وأقيمت على تلك الأماكن الضرائب الثقيلة ،وقرر عليها في كل يوم ستة عشر دينار[1]. حتى يذكر أنه أخذ من رجل فقير باع حمل ملح بخمسة دنانير ذهبية أخذ زكاتها خمسة دراهم[2]. وأعاد رسم القبان (استعمال الميزان) .

ولما جاء بعده الملك العادل ألغاه[3].أما الملك الكامل والذي أمر بإخراج زكاة الأموال وصرفها في أمورها الشرعية ورتب منها للفقراء والمساكين ، ورتب معاليم للفقهاء وأهل الخير، فاستحسن منه ذلك[4].

و قد أثرت المكوس على المدن: فقد ساهمت تلك المكوس التي كانت الدولة تجمعها بنصيب[5]، بجانب ما يتم تجميعه من الأموال الخراجية . وكل ما يتم تجميعه في بيت المال المركزي . في الإنفاق على شئون الدولة ومرافق المدن ، كحفر الترع والقنوات وبناء المستشفيات وغيرها[6] . و من الخدمات التي قدمتها الدولة للمدن سواء الصناعية أو التجارية ،من دخل المكوس : الاعتناء بالأسواق ، وتكلفة الموظفين المختصين بذلك كالمحتسب للإشراف على ضبط الأسواق وضبط السلع والموازين والمكاييل . كما كان تحت إشرافه

---

(1) ابن اياس: بدائع الزهور،ج١، ق١، ص٥٢١.

(2) المقريزي: الخطط،ج١، ص٣١٢.

(3) حسنين ربيع: النظم المالية ، ص٥٢.

(4) المقريزي: مصدر سابق، ج١، ص٣١٢.

(5) كان نصيب المدينة من المكوس والتي كانت تقوم الدولة بجبايتها في اغلب الحالات اقل نسبيا عما كانت تساهم به المدينة من أموال في ميزانية الدولة . كما أن نسبة الاستفادة منها كانت تتفاوت من مدينة إلى أخرى،وقد جرت العادة أن العواصم الكبرى كانت تستأثر بالنصيب الأكثر من الخدمات الحكومية(العبادي:الحياة الاقتصادية ، ص ٣١٥).

(6) نفس المرجع والصفحة .

أناس يكنسون الأسواق من الأزبال والأتربة ورشها بالماء ، وإزالة الأوساخ من المسالك والأنابيب ، وترتيب الخفراء والعسس لحراسة الأسواق ، ومراقبة الأمن في المدينة طوال الليل[1] .

كما قامت الحكومة بإنشاء الوكالات[2]، والقيساريات[3] ، والفنادق[4] اللازمة لتسهيل سبل التجارة وخاصة مع التجار الأجانب . وليس أدل على ذلك في العصر الأيوبي من تنافس السلاطين في بناء الفنادق والتي كانت من أهم المراكز التجارية . وخير مثال على ذلك ، الفندق الذي أقامه صلاح الدين

---

[1] الشيزري : نهاية الرتبة في طلب الحسبة ، نشرة السيد الباز العريني ومحمد مصطفى زيادة ، لجنة التأليف والترجمة ، القاهرة ، ١٩٤٦ م ، ص١١-١٨ .

[2] الوكالات : وهي أشبه بالفندق عبارة عن فناء أوسط مستطيل يحف به مبان من عدة طوابق: الطوابق السفلية خاصة بتخزين بضائع التجار، والطوابق العليا خاصة لسكن التجار، ولحق بها مخابز وحمامات وغيرها مما يخدم التجار. وكان المحتسب المشرف على تلك المنشآت ويقوم بتأمينها والضرب على أيدي اللصوص(حسن الباشا : الآثار الاسلامية ، ص١٥١ ، سعيد عبد الفتاح عاشور : الحياة الاجتماعية في مصر الاسلامية (بحث ضمن كتاب دراسات في تاريخ الحضارة الاسلامية ، دار المعرفة الجامعية ، الأسكندرية ، ١٩٩٩م ، ص٣٠٠).

[3] القيساريات : هي كلمة مأخوذة عن اللاتينية نسبة إلى قيصر وهي عبارة عن فندق كبير أشبه للسوق . مسقوفة ، ومخصصة للتجار الغرباء حيث كانوا يضعون بضائعهم بحوانيتها أو مصانعها أو مخازنها في أسفلها وفي أعلاها كانوا يسكنون فيها ، وكان في بعض القيساريات مساجد للتجار (ابن سعيد : النجوم الزاهرة ، ص٢٧ ،ابن جبير: رحلة ابن جبير ، ص١٦ ، عبد المقصود عبد الحميد : السياسة الداخلية ، ص٢٤٧).

[4] الفنادق: مفرد فندق وهي كلمة من أصل يوناني (pando keion) عبارة عن أبنية ضخمة أشبه ما تكون بالحصون، وتحيط بها الأسوار والحدائق، وتتكون من عدة طوابق يقام بالطابق الأول المخازن والحوانيت، أما الطوابق العليا فكانت لسكن التجار وكانت تغلق أثناء صلاة الجمعة، لعدم حدوث الشغب أو المشاجرات.وذلك لأن التعصب الديني كان على أشده زمن الحروب الصليبية. ولم تكن تلك الفنادق ملكاً للجاليات بل كانت ملكاً للحكومة والتي كانت تقوم بحمايتها. وكان لكل فندق مشرف يتولى النظر في أمور جاليته، وقنصل يرعى مصالحهم، وكاتباً يتولى الإرشاد عن السلع التجارية وملاحظتها (الشيال : مصر الاسلامية ، ص٧٢ سعيد عاشور : مرجع سابق ، ص٣٠٠، العريني : مصر في عصر الأيوبيين ، ص٢٠٧ ، فايد عاشور : العلاقة بين البندقية والشرق الادنى ، ص٢٨٦ ، عبد المنعم ماجد : تاريخ الحضارة الاسلامية ، ص٩٦).

بالفسطاط ، والفنادق التي أنشئت في الإسكندرية . ليس ذلك فقط بل حرصت الدولة على توفير كافة سبل الراحة للأجانب في فنادقهم[١]، فأنشأت لهم الحمامات والأفران والكنائس[٢] ، كما نصب لهم مارستان لعلاج من مرض منهم ووكل بهم أطباء يتفقدون أحوالهم[٣].كما انشأت الدولة للفقراء التكايا[٤].

كما وفرت الدولة عمال البريد الذين يتم استخدامهم لإتمام عمليات تجارية ، ليس ذلك فقط بل وفرت الدولة محطات للراحة على طول الطرق سواء الداخلية بين المدن المصرية بعضها وبعض أو بين المدن المصرية والمدن غير المصرية[٥] والمتمثلة في الخانات[٦] .

كما عنيت الدولة في عهد سلاطين الأيوبيين ليس فقط بالعواصم كالقاهرة والفسطاط بل اهتموا بالثغور كدمياط ، الإسكندرية، وتنيس وعيذاب، وأطراف البلاد رغم حصانة تلك الأطراف في جهاتها الأربع حيث في الشمال البحر المتوسط ، وشلالات النيل وجنادله من الجنوب ، وصحراء ليبيا من

---

[١] ياسر حلمي أحمد :طبقة التجار في مصر في عصر دولة المماليك وأثرها في المجتمع المصري ، رسالة ماجستير غير منشورة ، آداب طنطا ، ١٩٩٦م ، ص٢٢.

[٢] العويني : مصر في عصر الأيوبيين ، ص٢٠٧.

[٣] سعيد عبدالفتاح عاشور : الأيوبيون والمماليك في مصر والشام ، دار النهضة العربية ، القاهرة ، ١٩٩٢م، ص١٥٦.

[٤] التكايا : وهي بيوت معدة خصيصا للمسافرين والمرضى ليقيموا بها بالمجان (جومار : وصف لمدينة القاهرة وقلعة الجبل مع مقدمة عن التطور العمراني لمدينة القاهرة منذ انشائها حتى سنة ١٨٠٠م نقلها عن الفرنسية : ايمن فؤاد السيد ، مكتبة الخانجي ، القاهرة ، ١٩٨٨م ، ص٧٣ .

[٥] صابر دياب : دراسات في عالم البحر المتوسط ص٧٠-٧١ .

[٦] الخانات: هي بيوت تقام خارج المدن وعلى امتداد الطرق التجارية وقد لعبت دوراً في نقل التجار من مكان لآخر كما كان لها دور في تسهيل نقل الخامات، والأخبار، والمعلومات، والمصنوعات. كما كان للخان دوره في توفير الراحة للمسافرين، وذلك بتوفير أماكن مخصصة لخزن البضائع، وإيداع الأموال، وللراحة والنوم فضلاً عن وجود الأغذية اللازمة إلى جانب ذلك كان بها أماكن مخصصة لاستراحة الأنعام والدواب (منى محمد بهجت : أثر الحضارة السلجوقية في دول شرق العالم الإسلامي في عصر الدولتين الأيوبية والمملوكية ، مكتبة زهراء الشرق ، ٢٠٠٢م ، ص٣٧.

الغرب، وسيناء من الشرق، ومع كل ذلك اهتموا أيضا بإقامة التحصينات والقلاع وزودوها بالرجال والسلاح[1].

ب- أثر الأزمات الاقتصادية على مدن مصر

من الأزمات الاقتصادية التي تعرضت لها مدن مصر وأثرت تأثيراً كبيراً على مدنها اقتصادياً وتجارياً أزمتين أزمة سنة (٥٩١هـ-٥٩٢هـ/م١١٩٤-١١٩٥م)، وأزمة سنة (٥٩٦-٥٩٨هـ/١١٩٩-١٢٠١م) وقد أثرت تلك الأزمتين تأثيراً كبيراً على مدن مصر أكثر من غيرهما من الأزمات و الكوارث الأخرى التي قد تكون أخف وطأة من تلك الأزمتين

أما أزمة سنة (٥٩١هـ-٥٩٢هـ/م١١٩٤-١١٩٥م)[2] فكانت في عهد العزيز عثمان. كانت تلك الأزمة نتيجة لقلة مياه النيل، وعدم بلوغه الزيادة اللازمة لري الأراضي الزراعية[3]. وغمرها بالمياه والذي مثل خطراً على الزراعة بمصر وقد ترتب على ذلك حدوث أزمة أسفر عنها كثرة الأمراض الحادة والحميات المحرقة، وشمل الوباء جميع المدن المصرية مدة سنتين،ونتج عنها كثرة عدد الموتى ولم تستطع الدولة الأيوبية[4] أن تجبي الخراج[5].

أما أثر تلك الأزمة على أسواق القاهرة و الفسطاط و الأسكندرية. فقد ارتفعت الأسعار فغلت أسعار السكر و السلع الأساسية و الضرورية كالعقاقير و الأدوية، و عدمت السلع الترفيهية كالطيب والتي لم يقدر عليها أحد أما سعر القمح فقد انتهى سعره إلى مائتي دينارلكل مائة أردب واشتد الزحام على طلب الخبز لقلته في الأسواق ووقع الحريق في عدة مواقع في القاهرة مما أثر على عمران المدينة[6].

---

[1] نظير حسان سعداوي: التاريخ الحربي المصري في عهد صلاح الدين، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، ١٩٥٩م، ج٢، ص٢٠- ٢١.

[2] حسنين ربيع: النظم المالية، ص٥٦.

[3] عبد المقصود عبد الحميد: السياسة الداخلية للأيوبيين، ص٢٧٦.

[4] المقريزي: السلوك، ج١، ق١، ص١٦٠.

[5] حسنين ربيع: مرجع سابق، ص٥٦.

[6] المقريزي: مصدر سابق، ج١، ق١، ص١٦٠-١٦٦، ١٨٦.

و قد أثرت تلك الأزمة على الأسكندرية خاصة على العمالة و كثرة الموتى و تزايد وجود المطروحى على الطرقات . فلم يوجد بها من العمال و الصنائع ما يقدر على الإنتاج و الصناعة . و زاد الأمر سوءاً برفع المكوس على ثغور مصر : مثل دمياط والإسكندرية. حيث صار مال الثغور والجوالي يؤخذ إلى من لا يبالي من أين أخذ المال[1].

أما مدينة البحيرة فأحدثت تلك الأزمة بها وباء والذى تسبب فى حدوث آفة فى البقر والجمال والحمير و هلك منها الكثيرمما أثر على تجارة الحيوانات، و على حركة التنقل و خاصة داخل أسواق المدينة كما تعرضت مدن الصعيد هى الأخرى لكثرة الموتى، وإرتفاع الأسعار و خاصة فى السلع الأساسية مثل القمح [2].

و قد تحسنت الأوضاع فى أواخرسنة (٥٩١هـ/١١٩٥م) حيث بدأت الأسعار تنحل ونزلت أسعار الغلة كل مائة أردب بثمانين دينار، وبيع الخبز سبعة أرطال بدرهم. كما جلب من قوص فراريج بيع العشرة بسبعة دنانير، ولم يسمع بمثل ذلك فى مصر والقاهرة[3].

وتعرضت مدن مصر فى عهد العادل الكبير (٥٩٦-٦١٥هـ/١٢٠٠-١٢١٨م) إلى مجاعة تكسحت مدن مصر [4]. واستمرت ثلاث سنوات (٥٩٦-٥٩٨هـ/١١٩٩-١٢٠١م) [5]. وكانت نتيجة لنقص مياه النيل [6]. و عدم كفاية مياهه لزراعة الأراضي مما سبب انتشار القحط وشملت مدن مصر كلها[7].

---

(1) المقريزى : السلوك ، ج١ ، ق١،ص١٦٠ ، ١٦٣ .

(2) نفس المصدر ، ج١ ، ق١ ، ص١٥٩ .

(3) نفس المصدر،ج١،ق١، ص١٥٥، ١٦٣.

(4) الذهبي : دول الإسلام، تحقيق فهيم شلتوت و مصطفى زياده ، الهيئة المصرية العامة ، القاهرة ، ١٩٧٤م، ج١،ص١٠٥.

(5) ابن اياس: بدائع الزهور،ج١، ق١، ص٢٥٠-٢٥٤.

(6) الذهبي: العبر في خبر من غبر،ج٣، ص١١٥.

(7) حسنين ربيع: النظم المالية، ص٥٧.

أثرت تلك الأزمة على العمالة فى مدن مصر حتى يذكر أن النيل كان يطلع ولم يجد من يزرع عليه الأرض حتى أن الأتراك كانت تخرج بنفسها ويحرثون ويزرعون وذلك لعدم وجود الفلاحين حيث ترك بعضهم القرى وانتقلوا إلى المدن[١]. لتصدق كبار الأغنياء عليهم [٢] ليس ذلك فقط بل كان يموت على المحراث الواحدة عدة فلاحين. و يذكر أن المسافر يسير فى كل جهة أيام لا يصادف حيواناً إلا الرمم و تزايد عدد الموتى حتى هرب الناس إلى بلاد المغرب و بلاد الروم و اليمن و الموصل و بغداد ، و خراسان و مزقوا فى كل البلاد كل ممزق و خاصة بمدن قوص و الأشمونيين ، أخميم ، المحلة ، دمياط ، والإسكندرية [٣].

و قد وصل الأمر من انتشار القحط و تفشى الأوبئة و المجاعات نتيجة لنقص الغلال و اشتداد الغلاء بمدن مصر [٤] أن العادل كفن من ماله فى مدة شهر فى سنة (٥٩٧هـ/١٢٠١م) مائتان وعشرو ن ألف ميت ، و انتشر أكل البشر [٥]. حتى يذكر أنه قد مات ثلاث أرباع الإقليم فى تلك السنة[٦]. حيث دخل تحت قلم الحشرية ذلك الديوان الذى يسجل فيه أسماء من هلك بالطاعون أو الوباء في مدة أثنين وعشرين شهراً نحو مائة ألف وأحد عشر ألف ميت [٧]. و قد ترتب على كثرة الوفيات ، و هجرة أهالى المدن ندرة العمالة اللازمة للإنتاج الصناعى مما أثر على حركة الصناعة ليس فقط بل و التجارة ، و لم يقتصر ذلك على مدينة القاهرة و الفسطاط بل إمتد إلى مدن : الإسكندرية ، قوص ، الأشمونيين ، أخميم ، المحلة ، دمياط ، أسوان ، و مدن الغربية ، و تنيس ، و غيرها من المدن[٨] .

---

[١] ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة ، ج٦، ص١٧٤.

[٢] ساويرس: سير بطاركة الكنيسة،ص١٠٨-١٠٩

[٣] البغدادي:الافادة والاعتبار في الامور المشاهدة والحوادث المعاينة بأرض مصر، دار كتيبة،دمشق، ١٩٨٣م، ص ٩٠ – ٩٧ .

[٤] الذهبي: دول الإسلام، ج١ ، ص ٤٧ .

[٥] ابن كثير: البداية والنهاية، ج٣،ص٣١١.

[٦] الحنبلي: شذرات الذهب فى أخبار من ذهب، دار الكتب، بيروت ،د.ت،ج٤ ، ص٣٢٣-٣٢٨.

[٧] اليافعي : مرآة الجنان وعبرة اليقظان ،ج٣ ، ص٣٨٨.

[٨] البغدادي: مصدر سابق ، ص ٩٠ – ٩٧ .

أما مدينة الفسطاط فقد أثرت أزمة سنوات (٥٩٦-٥٩٨هـ/١٢٢٩-١٢٠١م) على الصناعات بها حتى يذكر أنه كان فيها تسعمائة منسج للحصر، فلم يبق إلا خمسة عشر منسجاً[١]. كما كان بها أربعمائة نول للحياكة فلم يبق بها نافخ طارة و أغلقت المناسج مثل مناسج الحصر وجرت العادة أن يكون بالمدينة باعة، وخبازين وعطارين وأساكفة وخياطين وغير ذلك من الأصناف. فإنه لم يبق من كل صنف إلا القليل[٢]. كما أثرت تلك الأزمة على عمران مدينة الفسطاط و على خرابها[٣] حتى يذكر أن جميع الأفران بالأسواق كانت توقد بأخشاب الدور الخالية[٤].

و تأثرت الطرق التجارية بتلك الأزمة حيث انتشر على طول الطريق التجارى الممتد بين بلبيس وقطيا عبر الشرقية إلى مدينة غزة وبلاد الشام الأموات و الرمم من أهالى مصر الذين اعتادوا تركها و الهروب إلى بلاد الشام . و فى مثل تلك الأحوال يمرون بمدن إقليم الشرقية فينقلون المرض إليهم . ليس ذلك فقط بل تعطلت حركة النقل على طول تلك الطرق لكثرة الأموات الملقاة عليها [٥].

كما تأثرت الطرق التجارية الداخلية حيث تعرض المارين بها لحركة السلب و النهب وخاصة بطريق الفيوم الإسكندرية حيث يذكر أنه كان بطريق الفيوم ناس فى مراكب يرخصون الأجرة على الركاب فإذا توسطوا بهم الطريق ذبحوهم وتساهموا أسلابهم[٦].

و أثرت تلك الأزمة على حركة النقل التجارى النهرى الذى كان يلعب دوراً فى حركة التبادل التجاري بين مدن الوجه القبلى و البحرى[٧].حيث تعرضت المراكب خاصة تلك التى تحمل الغلال من مدن الوجه القبلى إلى مدن الوجه البحرى لحركة نهب. لذلك كانت تربط تلك المراكب بعد

---

[١] السيوطي: حسن المحاضرة، ج٢، ص٢٩٥-٢٩٦.

[٢] نقولا يوسف: الرحالة لعرب، دار الهلال ، القاهرة ، ١٩٥٦م ،ص١١١.

[٣] عبد اللطيف البغدادي: الإفادة والإعتبار، ص٩٠-٩٧.

[٤] قاسم عبده قاسم:النيل والمجتمع المصري في عصر سلاطين المماليك ، دار المعارف، القاهرة ، ١٩٧٨م ، ص ١٦.

[٥] ساويرس: تاريخ بطاركة الكنيسة، ص١٠٦-١٠٨ ، محمد الشاعر: الشرقية، ص٨٥.

[٦] البغدادي: مصدر سابق ، ص٩٠-٩١.

[٧] ابن مماتي : مصدر سابق ، ص٣٤٤ ، حسنين ربيع: النظم المالية: ص٩١.

وصولها بساحل بولاق بالمرسى بعيداً عن الشاطىء خوفاً من النهب و يتوجه من يريد الشراء إليها بقوارب صغيرة [١].

و قد أثرت أزمة سنوات (٥٩٦ – ٥٩٨ هـ / ١١٩٩ – ١٢٠١ م) على أسواق المدن . حيث عدمت الأقوات و ارتفعت الأسعار مما أدى إلى حدوث غلاء وأثر ذلك على السلع الأساسية كالحبوب، فعدم القمح و الشعير إلا القليل حتى بيع أردب القمح إن وجد بثمانية دنانير و الشعير و الفول بستة دنانير[٢]. و قل المطروح من الحبوب فى الأسواق و ذلك للجوء التجار إلى تخزين الحبوب رجاء ارتفاع أسعارها وهو ما عرف في وقتنا الحالى باسم السوق السوداء[٣].حتى أثرى بعض الفقراء بسبب متاجرته فى القمح أو بسبب مال انتقل له بالإرث[٤].

و كان لعدم ضبط الأسعار و اختفاء السلع الأساسية الأمر الذى جعل الدولة تهدد كل من عنده حبوب و لم يبعها بتعرضها للمصادرة[٥] و ذلك بواسطة المحتسب. ووصل الأمر فى تلك الأزمة إلى الإعتداء على موظفى الدولة كالمحتسب من قبل الأهالى [٦] ذلك لإرتفاع أسعار السلع و خاصة لإرتفاع للمكوث على أرباب الدكاكين من قبل السلطان[٧].

و بلغ الحال سوءاً لجوء الناس إلى أكل بذر الكتان و الذى إنتشرت زراعته فى جميع أنحاء مدن مصر و لجوء الناس إلى بيع الأثاث ، القنايا ، الدور ، الجوارى ، العبيد ، و باع الكثير من الناس بنساتهم و

---

[١] قاسم عبده قاسم: النيل والمجتمع ، ص ٥٨ .

[٢] المقريزي: السلوك، ج١، ق١، ص١٩٤،١٩٠.

[٣] قاسم عبده قاسم: مرجع سابق ، ص ١٧ .

[٤] البغدادى: الإفادة والإعتبار ، ص٩٤، ٩٧.

[٥] سهام مصطفى : الحسبة فى الإسلام فى مصر الإسلامية من الفتح إلى نهاية العصر المملوكى ، الهيئة المصرية العامة ، القاهرة ، ١٩٨٦ م ، ص ٢٠ .

[٦] عبد المقصود عبد الحميد : السياسة الداخلية للأيوبيين ، ص ٣٤٣ .

[٧] قاسم عبدة قاسم : مرجع سابق ، ص ١٦ .

بنيهم كمماليك للخدمة و ذلك فراراً من الموت و الجوع [1]. الأمر الذي جعل السلاطين يأمرون بفتح شونهم و بيع ما فيها من القمح بأسعار رخيصة حتى تزول الأزمة [2].

كما تعرضت مدن مصر لعدد من الكوارث و الأزمات الأخرى أثرت على الصناعة و التجارة بمدنها كزلازل سنة (٥٩٧هـ / ١١٩٨م)[3] و سنة (٦٠٠هـ/١٢٠٣م) [4] ، و سنة (٦٠٨هـ/١٢١١م) وهذه أثرت على عمران المدن و أحدثت وفيات كثيرة في مدن مصر كقوص ، القاهرة ، الفسطاط ، و الأسكندرية . و تعرضت سنة (٥٦٧هـ/١١٧١م) لسقوط برد على أراضي الدقهلية والمرتاحية أتلف المحاصيل [5].و تكرر ذلك سنة[6] (٥٦٨هـ/١١٧٣م) مماأدى إلى خراب ما صادفته من العمران و الزروع . و وباء سنة (٥٨١هـ/١١٨٥م) و الذي تفشى في الدجاج[7]و تزايدت مياه النيل سنة (٥٨٧هـ/١١٩١م) مما أحدث غرق المزارعين و الغلاء و زاد الأمر سوءاً بحدوث زلزال و إعصار بنفس السنة أتلف المحاصيل و أحدث غلاء[8].و تكررت الأزمات سنة (٦٣٣ هـ / ١٢٣٥ م) و سنة (٦٣٩ هـ / ١٢٤١ م)[9].و سنة (٦١٥ هـ / ١٢١٨م)[10] تلك الأزمات التي كانت أقل وطأة من أزمتي (٥٩١ - ٥٦٢ هـ / ١١٩٤ - ١١٩٥ م) ، و سنة (٥٩٦- ٥٩٨ هـ / ١١٩٩ - ١٢٠١ م) .

---

(1) المقريزي : السلوك ، ج ١ ، ق ١ ، ص ١٨٩ - ١٩٠ ، عبد المقصود عبد الحميد : السياسة الداخلية للأيوبيين ، ص ٢٧٨، العبادي : الحياة الإقتصادية ، ص ٣٣٤.

(2) سهام مصطفى : الحسبة ، ص ١٨١ - ١٨٣ .

(3) اليافعي: مرآة الجنان وعبرة اليقظان، ج١، ص٤٨٨.

(4) السيوطي: حسن المحاضره، ج٢، ص٢٩٣.

(5) المقريزي: مصدر سابق، ج١، ق١، ص ٦٨ ، ١٩٦ .

(6) حسنين ربيع: النظم المالية، ص٥٦.

(7) المقريزي: مصدر سابق، ج١، ق١، ص١٠٧ ، ١١٦ .

(8) نقولا يوسف: دمياط، ص١٢٦-١٣٩.

(9) المقريزي : مصدر سابق ، ج ١ ، ق ١ ، ص ١٩١ ، ٣١٨ .

(10) على السيد على : طريق القوافل ، ص ٤٨٣ .

ج- السكة ودروها فى حركة اقتصاد مدن مصر

تأثرت مدن مصر الصناعية والتجارية بسك العملة وتغيراتها وخاصة أنه فـي أواخر العصـر الفاطمي وبداية العصر الأيوبي واجهت البلاد ضائقة مالية بسبب هروب الذهب منهـا نتيجـة لعدم إستقرار الأوضاع من سوء الأحوال واتجاه الفاطميين لقمع الفـتن فـي أواخرأيامهـا. إلـى جانـب المصروفات الباهظة التي تقدر بآلاف الدنانير والتي تكلفتهـا العمليـات الحربيـة بـين المصـريين والصليبيين من ناحية وبقايا الفاطميين من ناحية أخرى فى بداية الدولة الأيوبية[١]. إلى جانب انخفاض صادرات مدن مصـر من الشب والنطرون وغيره ، ونفاد مناطق استخراج الذهب القريبة[٢]. إلى جانب خطورة الطرق المؤدية إلى مناطق الذهب السوداني بسبب سيطرة الموحدين عليها[٣].

كما كان لاتجاه صلاح الدين لمهاداة نور الدين محمود والخليفة العباسي وتفريقه لمصـادرات الفاطميين على أهله وحسبه إلى جانب قيام دولة جديدة ، وأخيراً نشاط الصليبيين الزائد فـي تهريـب الذهب إلى البندقية ومرسيليا وبرشلونة[٤].

و قد أثرت تلك الأزمة المتمثلة فى اختفاء كميات كبيرة من الذهب أو كادت أن تختفي علـى المعاملات اليومية و الأسواق في مدن مصر الصناعية و التجارية ليس فقط بل اضطربت معها أثمان السلع [٥].

ولكن تغلب صلاح الدين على تلك الأزمة بأن جعل الفضة (الدراهم الفضية) قاعدة للتعامل. ثم قام بسك عملة جديدة ذهبية (دنانير ذهبية) [٦] حازت ثقـة المتعامليـن مـن

---

[١] ابن بعرة : كشف الاسرار العلمية ، ص٣٨-٣٩.

[٢] حسنين ربيع: النظم المالية، ص٩٦-١٠٢.

[٣] إبراهيم خورشيد: دائرة المعارف الاسلامية ، ج٥، ص٤٤٨.

[٤] حسنين ربيع: مرجع سابق ، ص٩٦-١٠٢.

[٥] نفس المرجع، ص ٩٦.

[٦] نفس المرجع والصفحة.

التجار[1] وسوق المال بالمدن[2] ففي سنة (٥٦٧هـ/١١٧١م) أصدر عملة ذهبية نقش على أحد وجهيها اسم نور الدين والآخر الخليفة العباسي. وقد سكت طوال مرحلتين مرحلة التبعية لنور الدين ثم سك عملة نقش فيها اسمه بدلاً من نور الدين والوجه الأخر للخليفة العباسي[3].

كما كان لوجود الدنانير الصورية[4] أو التي استخدمت في التعامل بين المسلمين و الصليبيين. و استخدامها في التعاملات المالية في أسواق المدن الأثر الكبير على طرح الدنانير الأيوبية الجيدة من الأسواق. و يبدو أن السلطان صلاح الدين تدخل بمنع التعامل بالنقود التي وقع الاختلاف فيها و تضرر الناس بها و أن يكون ما يضرب من الدنانير من الذهب المصري الخالص، و ما يضرب من الدراهم من الفضة الخالصة . و خاصة أن تلك الدنانير الصورية كانت أقل جودة من الدنانير المصرية[5].

ولكن نتيجة للظروف الاقتصادية السيئة ومحاربة الصليبيين أمر صلاح الدين سنة (٥٨٣هـ/١١٨٨م) بضرب دراهم من خليط معدني نصفها من الفضة ونصفها الآخر من النحاس. وعرفت بالدراهم الناصرية واستمر التعامل بها في مدن مصر والشام إلى وفاته. وعرفت تلك الدراهم برداءتها في التعاملات المالية في أسواق المدن تلك لأن نسبة النحاس فيها تصل إلى النصف ، وخاصة أن ميزانية الدولة في عهده كانت مقدرة بالدنانير الذهبية ، وكانت المصروفات بالدراهم الفضية[6].

---

[1] سعيد عبدالفتاح عاشور ، عبد الرحمن الرافعي : مصر في العصور الوسطى من الفتح العربي حتى الغزو العثماني ، دار النهضة العربية ، القاهرة ، ١٩٩٢م ، ص٤١، سلام شافعي: أهل الذمة في مصر، ص١٧٨.

[2] عاشور: الأيوبيون والمماليك ، ص١٦٣.

[3] رأفت النبراوي: النقود الصليبية، ص٨٤-٨٧ ، حسنين ربيع: النظم المالية ،ص٩٦-١٠٢ .

[4] الدنانير الصورية : تذكر بأنها دنانير إسلامية فاطمية قديمة كانت مضروبة بمدينة صور في فترة تبعية تلك المدينة للفاطميين أو أنها دنانير صليبية مصورة أي منقوش عليها صور ملوك مملكة بيت المقدس الصليبية (حسنين ربيع : مرجع سابق ص ٩٨ ، إبراهيم خورشيد : دائرة المعارف الإسلامية ، م ٥ ، ص ٤٤٨) .

[5] حسنين ربيع : مرجع سابق ، ص ٩٨ ، إبراهيم خورشيد : مرجع سابق ، م٥ ، ص ٤٤٨ .

[6] ابن سعيد : النجوم الزاهرة ، ص٢٨، عبد الرحمن فهمي: النقود العربية ماضيه وحاضرها، ص٧٣-٧٦.

و أدى عدم ضبط العملة إلى عدم استقرار معيار الدينار والدرهم ، وخاصة أنه تم سك دراهم تحتوي على كميات متفاوتة من خليط المعادن إلى جانب أن الدرهم المصري الشرقي كان يحتوي على ٣٠٪ من وزنه فضة أي ما يعادل الربع من قيمة الدينار. نشأ عن ذلك بطبيعة الحال إختفاء العملة السليمة في أسواق المدن و ظهور العملة المزيفة . الأمر الذي جعل صلاح الدين ثم العزيز عثمان يلجأ في بعض الأوقات إلى القروض كالتي حصل عليها صلاح الدين من التجار والأمراء أثناء الحملة الصليبية الثالثة (٥٨٦ – ٥٨٨ هـ / ١١٩٠ – ١١٩٢ م)[1].

واستمر الحال في ضرب نقود صلاح الدين حتى عهد العادل والتي كانت سبباً في سوء الأحوال الاقتصادية بمدن مصر. حتى أقام العادل[2] القراطيس السوداء[3] سنة (٦١١هـ/١٢١٤م) والتي كانت من الفضة الناقصة المخلوطة بالنحاس ثم أبطلها العدل[4].

وكانت لتلك الحالة من عدم ضبط العملة وتزييفها[5]. و ضيق الناس بتلك الدراهم الرديئة في مدن مصر الصناعية والتجارية[6]. الأمر الذى جعل السلطان الكامل يلغي التعامل بالدراهم الفضية النقرة (العتق) [7]والتي يدعونها بالورق في مصر[8]. وأمر حامل الدراهم الناصرية (الزيوف)[9] أن يتوجهوا إلى الصيارفة لاستبدالها بدراهم كاملية[10]. الأمر الذي جعل السلطان الكامل يصدر الدراهم

---

[1] إبراهيم خورشيد: دائرة المعارف الإسلامية، ج٥، ص٤٤٨.

[2] المقريزي: السلوك،ج١، ق١، ص١٢٥.

[3] القراطيس السوداء أو الدراهم السوداء: هي أسماء على غير مسميات كالدينار الأسطولي والدينار الجيوشي كل درهم منها معتبرة في الصرف بثلث درهم نقرة أي مطبوعة (نفس المصدر والصفحة) .

[4] نفس المصدر و الصفحة.

[5] Mackenzie: Ayyubid cairo, p.25.

[6] عاشور، الرافعي: مصر في العصور الوسطى، ص٤١٣.

[7] عبد الرحمن فهمي: النقود العربية، ص٧٣-٧٦.

[8] المقريزي: الخطط، ج١، ص٣١٥-٣١٦.

[9] رأفت النبراوي: النقود الإسلامية،مكتبة زهراء الشرق، القاهرة، ٢٠٠٠م، ص٨٤-١٠٧.

[10] عبد الرحمن فهمي: النقود المالية ماضية وحاضرها، ص٧٣-٧٦.

المدوره والتى قيل لها كاملية، جعلها ثلاثة أثلاث، ثلثي فضة وثلث نحاس[1]. ولم تزل تضرب بالقاهرة إلى أن أكثر الأمير محمود الأستادار من ضرب الفلوس بالقاهرة والإسكندرية فبطلت الدراهم من مصر، وصارت معاملة أهلها بالفلوس[2].

وقد استخدمت الفلوس وهى ذات قيمة بسيطة و تعرف أيضاً بالزيوف فى شراء الأشياء البسيطة كالمأكولات وأجور الحمامات وشراء الثياب والعطر، وكثرت هذه الفلوس وراجت وتبع ذلك ارتفاع فى الأسعار وتأثرت الناس على اختلاف رتبهم من موظفين وتجار وأرباب الحرف، وأجراء وخدم وحاكة وبناة وغيرهم لوطأة الغلاء ونتج عن ذلك رواج الفلوس نتائج خطيرة أدت إلى حدوث بعض الأضرار وإغلاق الحوانيت والقبض على البعض وضربهم بالمقارع وشنق رجل بسبب ذلك . و ذلك لتواجد سلع محقرات و محرمة أتيح لها و انتشر بيعها بأقل من الدرهم أو بجزء منه أى بالفلوس حتى قيل أنها كانت أى الفلوس لايشترى بها شيء من الأمور الجليلة إنما هى لنفقات الدور و ما بها من مفاسد[3] .

ونتيجة لازدياد الفلوس وكمياتها (٦٣٠هـ/١٢٣٢م) فى أسواق المدن، أصبحت العمليات التجارية لا تجد ما يكفيها من الدراهم الفضية الأيوبية. فانفتح المجال أمام المسكوكات الفضية للظهور فى أسواق القاهرة مثل نقود البندقية والتى بدأ ضربها سنة (٦٠٠هـ/١٢٠٣م) مما كان عاملاً هاماً فى اختفاء الفضة من مصر حيث تنافس الأوروبيون على امتصاصها وتهريبها إلى دور السك الإيطالية[4].

وأصبحت وحدة التعامل فى أسواق مدن مصر فى عهد الكامل النقود الذهبية والدراهم سواء الناصرية والكاملية [5]. وكانت الفلوس فى مصر نوعين فى عهدالكامل : إحداهما المطبوع بدار الضرب وخاصة أنه كان بمصر دورللضرب و بالإسكندرية والقاهرة ، وبقوص. ولا يتولى ذلك

---

[1] عبد الرحمن فهمي: النقود المالية ماضية وحاضرها، ص٧٣-٧٦.

[2] المقريزي:الخطط،ج١، ص٣١٥-٣١٦.

[3] سهام مصطفى: الحسبة فى الإسلام ، ص١٧٤-١٧٦ ، فايد عاشور: العلاقة بين البندقية و الشرق الأدنى ، ص ٢٤٢ .

[4] عبد الرحمن فهمي: المسكوكات (بحث ضمن أبحاث القاهرة تاريخها وفنونها وآثارها، القاهرة، ١٩٧٠) ص٥٤٤.

[5] نفس المرجع ، ص٧٣-٧٦.

المنصب إلا قاضي خاص[١]. وثانيهما غير المطبوع وكان الصنف الثاني عبارة عن قطع مكسرة من النحاس الأحمر أو الأصفر ويعبر عنه بالعتق[٢]. وكان يتم استبدال الدرهم الفضي (النقرة المطبوعة) بستة من الفلوس النحاسية. وكان من يخالف ذلك يتعرض للعقوبات البدنية[٣].

وظلت أحوال النقد مضطربة أيام الأيوبيين[٤]. ولم يمنع ذلك من أن العزيز وبعده المنصور محمد، والعزيز عثمان ثم العادل الأول، والملك الكامل، والملك العادل الصغير ثم الملك الصالح نجم الدين أيوب جميعاً أصدروا عملة منها الذهبية والفضية وغيرها، وكانت تسك باسمهم. ولكن لم يذكر أن وصلت نقود باسم الملك المعظم تورانشاه[٥].

ومما هو جدير بالذكر أنه كان لإضطراب أحوال النقد في العصر الأيوبي. والذى كان نتيجة للحروب الصليبية أكبر الأثر على الأحوال الاقتصادية لمدن مصر الصناعية والتجارية حتى أن البعض يميل إلى اعتبار العصر الأيوبي عصر سيادة العملة الفضية كما قال ميشيل دي بورد M.d Bourd .[٦].

ولكن ذلك لم يمنع أن حركة التجارة الخارجية كانت نشطة، وكان بعض معاملتها تتم عن طريق المدن المصرية بالمقايضة مثال ذلك أن المدن الأوروبية كانت تأخذ الشب فى مقابل السلع الإستراتيجية بالنسبة لمصر مثل الخشب والحديد اللازمة للصناعات الحربية كالسفن وغيرذلك مما سيشرح فيما بعد[٧].

وكانت حركة المعاملات بين المدن الأوربية والمدن المصرية تتم بالمقايضة أيضاً حتى فاضت القصور الأوربية بالدنانير الذهبية والمصاغ والجواهر بشكل كبير . فيذكر أن ما خلفه الملك الكامل

---

[١] ابن بعرة : كشف الأسرار العلمية ، ص٣٣ – ٤١ ، المقريزي: الخطط ، ج١ ، ص٣١٥-٣١٦ .

[٢] ابن بعرة : مصدر سابق ، ص٤١ ، المقريزي: السلوك ، ج١ ، ق١ ، ص١٨٧ .

[٣] عبد الرحمن فهمي: النقود العربية، ص٧٣-٧٦.

[٤] عاشور ، الرافعي: مصر فى العصور الوسطى، ص٤١٣.

[٥] رأفت النبراوي: النقود الإسلامية، ص٨٤-١٠٧.

[٦] ابن بعرة : مصدر سابق ، ص٣٨ ،عاشور : الأيوبيون والمماليك ، ص١٦٣.

[٧] عاشور: مرجع سابق ، ص١٦٣.

الأيوبي من الذهب وحده بلغ ستة ملايين من الدنانير المصرية [١]. ولكن ذلك الرقم يبدو أنه مبالغ فيه ولكن يمكن القول أن ما خلفه كان يحقق التوازن للخزانة الأيوبية . والدليل على ذلك أن ما أهداه الملك الكامل للملك فريدريك الثاني ملك ألمانيا كان يشمل إلى جانب تحف الهند واليمن والعراق والشام سرج من الذهب وفيه جوهر بعشرة آلاف دينار مصري رداً على هدية قد أرسلها له الملك فريدريك كانت عبارة عن عدة خيول منها فرس للملك بمركب ذهبي مرصع بجوهر فاخر. ودب أبيض وطاووس وذلك سنة (٦٣١هـ / ١٢٣٣م) [٢].

د- الموازين والمكاييل فى مدن مصر الصناعية والتجارية

أدت الموازين والمكاييل دوراً مهماً في مدن مصر الصناعية والتجارية ذلك لأنها كانت من وسائل البيع والشراء فى الأسواق المصرية للمدن وقد اختلفت من مدينة لأخرى.

١-الموازين

كانت وحدة الميزان الرطل: ويزن اثنا عشر أوقية ، والأوقية: اثنى عشر درهماً. كما كان الرطل يزن مائة وأربعين درهماً[٣]. وما كان يستعمل فى القاهرة والفسطاط يساوي ١٤٤ درهماً[٤]. وقد اختلفت قيمة الرطل من بلد لأخرداخل مدن مصر ففي الإسكندرية بلغ الرطل ٣١٢ درهما ويساوي رطل دمياط رطلين وثلاثة أرباع الرطل المصري،ورطل المحلة رطلاً وثلث بالمصري ، ورطل بلبيس رطلاً وربع بالمصري، مع العلم أن القنطار يساوي مائة رطل[٥].

وقد اختلف الرطل حسب نوع السلعة المراد وزنها فهناك رطل خاص بوزن الفلفل وآخربوزن الحرير. ويرجع الاختلاف لرخص ثمن السلعة أو ارتفاع ثمنها أو ندرتها. وكان لكل بلد رطلها الخاص، والذى كان يعرفه جيداً المحتسب والتجار على الرغم من تضاءل عناية التجار بمراعاة الدقة

---

[١] ابن بعرة : كشف الأسرار العلمية ، ص٣٩ .

[٢] المقريزي : السلوك ، ج١ ، ق١ ، ص٢٦٠ ، السيوطي : حسن المحاضرة ، ٢٩٣ .

[٣] العمري: مسالك الابصار في ممالك الامصار ، المعهد الفرنسي للاثار الشرقية ، القاهرة ، د.ت،ص١٥.

[٤] عبد المقصود عبد الحميد: السياسة الداخلية، ص٢٢٨.

[٥] محمد فتحى الشاعر: الشرقية، ص٧٩.

والأمانة وكثرة غشهم فى أنواع الصناعات وفى كمياتها وفى التلاعب بالموازين والمكاييل والتى كان المسئول عن ضبطها المحتسب[1].

كما كان معروفاً أيضاً فى العصر الأيوبي الموديوس (modius) وهو مكيال روماني للحبوب يساوي الآن جالونين من الجالونات الإنجليزية. وقد استخدم الإيطاليون القنطار، والطن، رطل،الذراع كوحدة لقياس القماش،المثقال لوزن المسك[2].

كما استخدم المن [3] لوزن الزعفران والبنفسج وغيره،واستخدم المصري وهو وسيلة من وسائل الوزن أيضاً ويستخدم لوزن النحاس الأصفر،والقطن المحلوج،والزيبق ويقدر ب ١٤٤ درهماً. واستخدم الجروي وهو وسيلة من وسائل وزن الأشياء، كالسكر، والفستق، الجوز،وعسل النحل،والقصب والسمسم، والكتان، والزفت، والقطران، وعرق السوسن، والحديد، والنحاس الأحمر، الكتان المغزول،المنفوض، والقنب المقطع،والصوف المنقوش[4].

٢- المكاييل

كانت المكاييل إلى جانب الموازين معروفة لدى التجار من اختلافها أحياناً فى مدن مصر، حتى بعد مجئ الصليبيين إلى مدن الشرق ومنها مدن مصر[5].

أستخدمت المكاييل فى شراء أو بيع الغلال التى عرفت فى أسواق المدن والقرى. و منها القدح: ويزن ٢٣٢ درهماً،والأردب و يزن ٩٦ قدحاً، والويبه و تزن١٦ قدحاً ، ومن المكاييل[6] أما الكيل فقد اختلف فى مدن مصر والأردب عرف بأنه ست ويبات[7].

---

[1] سهام مصطفى: الحسبة فى الإسلام،ص١٦٦-١٦٧.

[2] على السيد على: طريق القوافل، ص٤٦٨.

[3] المن هو وسيلة من وسائل الوزن وكان يستخدم في وزن الطيب ويقدر ب ٢٦٠ درهماً (القلقشندي : صبح الأعشى ، ج ٣ ، ص ٤٤١) .

[4] ابن مماتي: قوانين الدواوين، ص٣٦١-٣٦٢.

[5] على السيد على: مرجع سابق، ص٤٦٨.

[6] العمري: مسالك الأبصار،ص١٥.

[7] العمري: مسالك الأبصار ، ص١٥.

أما في أرياف مصر فقد اختلفت المكاييل عن القدر السابق حيث كان ينتهي الأردب إلى ثمان ويبات ومن ذلك يتضح أنه كان هناك نوعان من المكاييل خاصة بالسلع السائلة مثل العسل والدهن ومكاييل أخرى خاصة بالسلع اليابسة كالحبوب والشعير والملح[1].

وقد ارتبطت الموازين والمكاييل بالأسواق في المدن الصناعية والتجارية. كما كان هناك دار عرفت بدار العيار[2]، وهي مخصصة للرعية للاستبدال وتصليح موازينهم وسنجهم ومكاييلهم. وكان المحتسب يشرف على المكاييل والموازين للتأكد من صحتها وسلامتها في مدن مصر الصناعية والتجارية[3].

---

(1) سهام مصطفى: الحسبة في الإسلام، ص١٦٦-١٦٧.

(2) ابن مماتي: قوانين الدواوين، ص٣٣٣، نعمان الطيب: مليح صلاح الدين، ص٤١٦-٤١٧.

(3) ابن مماتي: مصدر سابق، ص٣٣٣، المقريزي: الخطط، ج١، ص٣١٦.



مدن مصر الصناعية والتجارية بالوجه البحري

مدينة القاهرة

هي عاصمة مصر في العصر الأيوبي [١]، وقد أصبحت في القرن (٦هـ/١٢م) ، المركز الرئيسي للحضارة الإسلامية[٢]. وعقب حريق الفسطاط تحولت الزعامة الاقتصادية إليها وانتقل أهالي الفسطاط إليها [٣]، وأصبحت منذ سنة (٥٦٤هـ / ١١٦٨م) تموج بكافة فئات الشعب حيث بدأ الأهالي يتحولون إليها ويبنون مساكنهم بأنقاض مدينة الفسطاط [٤]، وصارت ليس فقط قاعدة الملك والخلافة ، بل المركز الرئيسي من الناحية الاقتصادية والفنية [٥].

ونمت القاهرة واتصلت بالفسطاط التي تحولت إلى جزء من العاصمة [٦]، ولم يمنع انضمامهما أنهما تطورتا بطريقة منفصلة ومتباينة [٧]. ما بلغته من الجانب الاقتصادي . فيرجع إلى اهتمام سلاطين الأيوبيين وعلى رأسهم صلاح الدين . الذي اهتم بالزراعة ، والصناعة ، والتجارة فأقام الدور الضخمة والأسوار والمنازل [٨].

وكان للنشاط الصناعي والتجاري بالمدينة أثره في اكتظاظ المدينة بالسكان من كافة الفئات والطوائف وساعد على ذلك رخص الأسعار وخاصة بالنسبة للطبقات الفقيرة [٩].

---

[١] محمد عبد الله عنان: مصر الإسلامية (تاريخ الخطط المصرية)،دار الكتب المصرية، القاهرة، ١٩٣١م،ص٢٠-٢٢.

[٢] جومار : وصف مدينة القاهرة وقلعة الجبل . نقله عن الفرنسية أيمن فؤاد السيد ، مكتبة الخانجي ، القاهرة ، ١٩٨٨، ص ٢٥-٢٦

[٣] المقريزي : الخطط ، ج١ ، ص٧٨٩ ، Joan Wucher : Historical Dictionary , P.219

[٤] المقريزي : مصدر سابق ، ج٢ ، ص٦٠ – ٦١.

[٥] محمد عبد الله عنان : مرجع سابق ، ص ٢٤-٢٥.

[٦] عصام شبارو : السلاطين في المشرق العربي ، ص٢١٩.

[٧] أندريه ريموند : القاهرة تاريخ و حاضرة ،ترجمة لطيف فراج ،دار الفكر والتوزيع والنشر،القاهرة،١٩٩٣م ، ص ٩١- ٩٢.

[٨] عصام شبارو : مرجع سابق ، ص ٢١٩.

[٩] ابن سعيد : النجوم الزاهرة ، ص٢٩ ، المقريزي : مصدر سابق ، ج٢ ، ص٦٧ – ٦٨.

ولحماية المدينة أحاطها صلاح الدين، هي والعواصم السابقة لها بسور من حجر[1]، وذلك سنة (٥٧٢هـ/ ١١٧٦م) [2]. ولم يكتف ببناء السور بل قام بتشييد القلعة[3] وقد أثر بناء القلعة على الجانب الاقتصادي حيث تحولت المنطقة التي حولها إلى سوق للخيل والحمير والجمال[4].

صناعة المنسوجات

جمعت القاهرة بين الصناعة والتجارة، وقد اعتمدت في بعض صناعاتها على الخامات الزراعية ومنها صناعة المنسوجات [5].

وعلى الرغم من أن الدولة الأيوبية كانت دولة حربية كرست كل مواردها لسلعها الاستراتيجية، والتي تخدم الحرب إلا أنها شجعت صناعة المنسوجات [6]. وخاصة المنسوجات الحريرية، والتي نالت شهرة عالمية كبيرة كما جرى تقليدها وصناعتها في مدن أوروبا مثل البندقية، وصقلية وغيرها من المدن الأوروبية وذلك عن طريق تصديرها إليها أو عن طريق الأسرى من المسلمين والذين عملوا كصناع هناك، كما كانت تلك الصناعات تفرض عليها ضرائب تمد بيت المال بما يجبى عليها[7].

وليس أدل على اهتمام الدولة بصناعة المنسوجات الحريرية بالقاهرة، من وجود دار الديباج[8] والتي خصصت لصناعة المنسوجات الحريرية، إلى جانب توفير الدولة للعديد من المناسج المصرية بالقاهرة. وتوفيرها للمواد الخام اللازمة لها مثل مادة النيلة التي تستخدم في تلك الصناعة وتشجيع

---

(1) سعيد عاشور، والرافعي : مصر في العصور الوسطى، ص٤١٨.

(2) ابن تغري بردي : النجوم الزاهرة ، ج٦ ، ص٧٨.

(3) الذهبي: العبر في خبر من غبر، ج٣ ، ص٦١.

(4) أندريه فولكوف: القاهرة مدينة ألف ليلة وليلة ، ترجمة أحمد صليحة ، الهيئة العامة للكتاب، القاهرة ، د.ت ، ص٨١.

(5) عبد اللطيف حمزة :الحركة الفكرية في العصرين الأيوبي والمملوكي ،دار الفكر العربي القاهرة ، ١٩٤٧م ، ص٦٤.

(6) محمود الحويري: مصر في العصور الوسطى، ص٢٣٠، العريني: مصر في عصر الأيوبيين، ص١٩٨.

(7) عبد الرحمن عمار: النسيج، ص٣٩٣، سلام شافعي : أهل الذمة في مصر ، ص١٤٨.

(8) الديباج : هو قماش لامع أو ملون رقيق يعتبر تقليداً للحرير الصيني . وهي كلمة فارسية تعني لباس الروح (عبد المنعم ماجد: تاريخ الحضارة الإسلامية ، ص١١٢).

الدولة لزراعتها فى الصعيد[١]، كما كان يتواجد بدار الديباج من الصناع ما يزيد علـى ثلاثـة آلاف صانع لصنع أفخر أنواع الثياب[٢] وعرفت زخارف تلك المنسـوجات بتعـددها فمنهـا الزخـارف الهندسية، والنباتية ، والحيوانية ، والكتابية . حيث كان يكتب عليها بالخط الكوفي فى ق٦هـ/١٢م، وكان يطرز عليها بأنواع متعددة[٣]. كالرسم بالقلم البسط بلون بلى به بعض التذهيب، وقد استعملت أختام خشبية لهذا الغرض، وكتب عليها أيضاً بعض الجمل الدعائية بخط النسخ وعرفت تلك الزخارف بالبساطة والرونق، وخاصة في الأقمشة المطرزة بخيوط الذهب والحرير[٤].

كما كان بالقاهرة إلى جانب دار الديباج دار الطراز[٥]، وهى دار خاصة بالسلاطين والحكومة وينتج بها سائر أنواع المنسوجات والملابس وغيرها[٦] وتشرف الحكومة عليها، وكان بالقاهرة دارين للطراز، دار للطراز الخاصة والتى تنسج الأقمشة الفاخرة وطراز العامة و تنتج الأقمشة العادية، وكان يكتب على تلك المنسوجات اسم المصنع أو السلطان أو تكون مشتملة على أدعية الطـراز، وكلمـات تجرى مجرى الفأل[٧].

وحرصت الحكومة على الإشراف على دور الطراز ويرجع ذلك إلى أنها كانـت تمتلـك مـن الوسائل المادية ما لا يملكه الأفراد، كهيئة خاصة من العمال والموظفين و وسائل النقل مـن مراكـب ودواب. ولم يمنع احتكار الدولة ومراقبتها لتلك الصناعة أنها احتكرتها احتكاراً خاصاً بل كان هنـاك

---

[١] سلام شافعي : أهل الذمة في مصر ، ص١٤٨.

[٢] عبد المنعم ماجد: تاريخ الحضارة الإسلامية، ص ١١٢.

[٣] سعيد عاشور : الأيوبيون والمماليك ، ص٢٧٢.

[٤] أبو صالح الألفي: الفن الإسلامي، ص٢٩١.

[٥] دار الطراز: تعني التطريز أو الملابس وهى كلمة فارسية ويرجعها ابن خلدون إلى بلاد فارس بإيران والبعض يرجعها إلى بيزنطة(عبد الرحمن عمار: تاريخ فن النسيج ، الفجالة، القاهرة، د.ت، ص٥٣) .

[٦] ابن سعيد: النجوم الزاهرة ، ص٢٧.

[٧] أبو صالح الألفي: مرجع سابق ، ٢٨٩.

بفئات من الصناع يملكون الأنوال والوسائل لعمل المنسوجات المختلفة ولكن ليس بمثل امكانيات الحكومة [1].

لم تقتصر دور الطراز على المنسوجات الحريرية بل كانت تنتج المنسوجات القطنية ولكنها كانت قليلة بسبب قلة القطن[2]. والتى كان يتم مزجه بالكتان ، وصبغها بأنواع صبغات مختلفة كان منها ما يعتمد في صبغه على الشب[3]. كما أنتج بدور الطراز المنسوجات الصوفية[4]، وكان من بين المنسوجات التى تنتجها هذه الدور السرادقات التى كانت تصنع من الديباج الرومي[5]، والبوقلمون[6] ، إلى جانب السرادق التى كانت تقام فى فتح الخليج ،وكانت تصنع من الديباج الرومي الموشى بالذهب والمكلل بالجواهر[7]، وعرفت هذه الطراز بجودة أقمشتها التى بلغت شهرتها الآفاق ، ليس فى الدول الأوروبية فحسب بل فى دول المشرق. وانتسب لها خيوط عرفت باسمها مثل الخيط المصري[8].

وكانت تلك المنسوجات التى تصنعها الدولة فى مصانعها الخاصة تقوم بخلعها على رجال الحاشية مرة أو مرتين فى كل عام ، فضلاً عن التشاريف والخلع وما يخلع على الوزراء والأمراء فى عيد الفطر والذى سمي بعيد الحلل ، إلى جانب ما تستهلكه الطبقة الحاكمة والتى عرفت بأنها تملك المصانع الخاصة بها، والتى كانت تنسج كميات كبيرة أوقات العروس. كما كان هناك وسطاء كوسطاء المستهلكين. أما ما كان ينقل إلى الأسواق من الثياب المنسوجة فى المصانع الحكومية، برسم الخزانة

---

(1) عبد المنعم ماجد : تاريخ الحضارة ، ص١١١-١١٢ ، عاشور : الأيوبيون والمماليك ، ص١٧٢.

(2) عبد الرحمن عمار: فن النسيج ، ص٥٣.

(3) جرجس طنوس: الدر المكنون في الصنائع والفنون، ط٢ ، القسطنطينية ، ١٣٠١هـ ، ص٨٨ ، حجاجي إبراهيم: أصباغ مصر وأخبارها عبر العصور ، ص٢١.

(4) عبد اللطيف حمزة: الحركة الفكرية ، ص٦٤-٦٥.

(5) ناصر خسرو: سفرنامة ، ص١٠٤ .

(6) البوقلمون: هو قماش يتغير لونه بتغير ساعات النهار وهى كلمة تبدو يونانية الأصل (Kalimum) وقد اشتهرت صناعته في مصر (عبد المنعم ماجد: مرجع سابق ، ص١١٤).

(7) ناصر خسرو: مصدر سابق ، ص٩٣ ، أبن مماتي: قوانين الدواوين ، ص٣٣٠ ، .

(8) عبد المنعم ماجد: مرجع سابق ، ص١١١-١١٢.

كان مصدرها رجال الدولة الذين جرى التشهير بهم وتجريسهم[1] كما كانت دار الطراز تنسج كسوة الكعبة[2]. ليس ذلك فقط بل كانت الحكومة تمنح طلاب الحلقة واليتامى ومؤدبيهم كسوة خاصة بهم إلى جانب ما كان يهديه السلاطين[3]، وما كانت تخلعه الدولة على الفقراء في الأعياد والمناسبات لاجتذاب قلوب الرعية[4].

الصناعات المعدنية

أ- صناعة الأسلحة

وقد نالت صناعة الأسلحة اهتماماً كبيراً من قبل السلاطين الأيوبيين، و ذلك لمواجهة متطلبات الحروب الصليبية، حيث خصص في العصر الأيوبي ديوان لصناعة الأسلحة بالقاهرة وسمي بديوان خزائن السلاح ، وقد أوضح النابلسي مهام هذا الديوان في تصنيع ما يحتاج إليه من الأسلحة اللازمة للجيش [5].

كما كان يقوم ديوان خزائن السلاح بتوفير المواد الخام اللازمة لتصنيع الأسلحة وتجهيزها، ويقول ابن مماتي عن خزائن السلاح كان " أبدا مستخدمون يستدعون ما يحتاج اليه من خشب وحديد وسلوخ وأصباغ والالات يعملون فيها ما يؤمرون به من آلات السلاح على اختلاف أوصافها ، وتباين

---

[1] العريني: مصر في العصر الأيوبي ، ص١٩٩ ، عبد اللطيف حمزة: الحركة الفكرية ، ص٦٤-٦٥.

[2] محمد عبد العزيز مرزوق: الفن الإسلامي في العصر الأيوبي ، ص١١٨-١١٩.

[3] عبد الغني عبد العاطي: التعليم في مصر زمن الأيوبيين و المماليك، دار المعارف ، القاهرة ، ١٩٨٤ ، ص١٤٦.

[4] محاسن الوقاد: الطبقات الشعبية في القاهرة المملوكية ، الهيئة المصرية العامة ، القاهرة ، ١٩٩٩م ، ص٣٠.

[5] النابلسي : لمع القوانين المضية ، ص٤٥-٤٦ ، مصطفى حسن الكناني : العلاقات بين جنوه والشرق الادنى، ص٢٣٢-٢٣٣.

أصنافها ، ولها ضرائب مستقرة في أجرة الصناع وغيرها "[1] وفي سنة (٦٣٨هـ / ١٢٤٠م) أمر السلطان الصالح نجم الدين بتجهيز زردخانة (دار السلاح) بالقاهرة [2].

ونظراً لأهمية صناعة الأسلحة بالقاهرة وخاصة أنها كانت من الصناعات الاستراتيجية بمصر الأيوبية سعى صلاح الدين وغيره من سلاطين الأيوبيين لإقامة المعاهدات التجارية مع المدن الإيطالية بالأخص للحصول على المواد الخام اللازمة للسلاح سواء كان الحديد أو الأخشاب أو غيرها [3].

وقد تعددت الأسلحة التي أنتجت بخزائن السلاح بالقاهرة وتم استخدامها خلال الحملة الصليبية السابعة على دمياط منها(السيوف والسهام والرماح والنشاب والدبابيس والقسي والدروع والمتاريس والمجانيق ومكاحل البارود وقوارير النفط والستائر والنيران الإغريقية)[4] إلى جانب الأسلحة التي ارتبطت بالسفن كالمقاليع التي تقذف بالنفط على سفن الأعداء[5] ، ويذكر جوانفيل (أحد الكتاب الذين اشتركوا في الحملة السابعة على دمياط):أنه كان لدى المسلمين ستة عشر آلة من الآلات التي تقذف الأحجار والنقوط [6] في أثناء الحملة الصليبية السابعة[7].

وقد تم تصنيف الأسلحة إلى : أسلحة هجومية ، وأسلحة دفاعية للوقاية ، وآلات للحصار ، والنار اليونانية ، والبارود ، والنفط ، والأسلحة النارية الثقيلة والخفيفة.

---

[1] ابن مماتي : قوانين الدواوين ، ص٣٥٤.

[2] زردخانة : هي كلمة فارسية مركبة زرد تعني سلاح ، وخانه تعني دار أي دار السلاح وأطلقها المقريزي على السلاح نفسه كما أنها تعني أيضا السجن المخصص للمجرمين من أصحاب الرتب والأمراء (المقريزي : السلوك ، ج١، ق١، ص١٨٢.

[3] مصطفى الكناني : العلاقات بين جنوه والشرق الأدنى ، ص٢٣٢-٢٣٣.

[4] جوزيف نسيم يوسف : العدوان الصليبي على مصر ، مؤسسة شباب الجامعة ، الإسكندرية ، ١٩٨٤م ، ص٤٢.

[5] عصام شبارو : السلاطين في المشرق ، ص٢٠٤.

[6] النفوط : جمع نفط وهي تتكون من مواد ملتهبة تستخدم للاحراق والنفط قد يرمى باليد ، ومنه ما يرمى عن المنجنيق ، وكذلك من النفط ما يستخدم لحرق المراكب وهذا النوع لا يؤثر فيه الماء (نفس المرجع، ص١٥٥)

[7] نفس المرجع و الصفحة .

ومن الأسلحة الهجومية: **الرمح والحربة**: و هي من أسلحة العرب[١] ، ويقال أنه لا يتكامل ويحسن الفارس في دفاعه إلا بالرمح[٢] ولختلف رأسه بين المشعب ، العريض ، الرفيع ، المموج. وقيل أنه في الفروسية كالرأس على البدن. أما الحربة: فهي الرمح القصير[٣] ويصنعان من معدن الحديد[٤].

ومن الأسلحة الهجومية أيضاً: **الدبوس**: جمع دبابيس ، وهو آلة أو عمود من حديد له رأس مقوس ذات أضلاع ، ويقاتل بها لابسوا البيضة (الخوذة) وهو آلة من آلات الحرب في العصور الوسطى تشبه الإبرة، وكانت تصنع من الخشب الغليظ في أحد طرفيه رأس من الحديد[٥].

الخنجر: هي آله تشبه السكين الكبير المستقيم[٦] ، وعرفت بالصلت أي السكين الكبير[٧].

القوس والسهم: يصنع من الخشب والحديد ، ويصنع من قضيب من الخشب شد طرفه بخيط أقصر من القضيب فيقوسها أما السهم فهو قطعة مدببة من الحديد ذات نصول مثلثة الأركان كما كان يصنع كل من القوس والسهم من الخشب[٨].

السيف: لعب السيف[٩] دوراً رئيسياً حيث كانت له الغلبة والسيادة على غيره من أسلحة الهجوم، ولذلك أطلقوا عليه أمير الأسلحة البيضاء[١٠]. وتنوعت أشكاله ما بين المستقيم.

---

[١] عبد الرحمن زكي:الجيش المصري في العصر الإسلامي، مكتبة الأنجلو المصرية ، القاهرة، ١٩٧٠م، ص٩٤-٩٥.

[٢] محمد نديم أحمد فهيم: الفن الحربي للجيش المصري في العصر المملوكي البحري، الهيئة المصرية العامة،القاهرة ، ١٩٨٣م، ص٣٩-٤٠.

[٣] عبد الرحمن زكي: مرجع سابق، ص٩٥ ، محمد نديم: مرجع سابق، ص٤٠.

[٤] ابن اياس: النجوم الزاهرة ، ج١ ، ق١ ، ص٤٥.

[٥] محمد نديم : مرجع سابق ، ص٤٠.

[٦] نفس المرجع ، ص٣٩-٤٠.

[٧] عبد الرحمن زكي:مرجع سابق ، ص٩٤-٩٥.

[٨] نفس المرجع و الصفحة

[٩] السيف: في اللغة مشتق من ساف أو هلك وتجمع على سيوف وأسياف وأسيف والسياف هو صاحب السيف أوحامله حسين عبد الرحيم عليوه: الأسلحة الإسلامية بمتحف قصر المنيل ، القاهرة ١٩٨٤م ،ص٤)

[١٠] عبد الرحمن زكي: مرجع سابق ، ص٩٤-٩٥.

والمقوس[1] ،وعرفت القاهرة بصناعته،وكان يصنع من الحديد ويطلق عليه سيف أنيس، وصنع من الصلب سيف فولاذ. وكان أفخر الأشياء، التي يقدمها السلطان إلى المقربين إليه أولى سلطان مثله، وكان يحمل فى مواكب السلاطين، ويتخذ للسيف الأغماد المصنوعة من الخشب المغطاه بالجلد الثمين. وللسيف حامل يكون على وسط الجند[2].

الطبر (البلطة أو الفأس): جمعها أطبار وهى لفظ فارسي معناها الفأس[3] ، وتشبه الفأس أو البلطة، وله رأس نصف مقوس، ويركب فى قضيب من حديد أو خشب متين ،ويحفر عليه النقوش الإسلامية أو العبارات الدينية ، وحملة الأطبار بمثابة الحرس الخاص للسلطان[4].

أما الفأس أو البلطة: يعرف بامتداد سلاحه الذى يتعارض مع يده ، وكان يستعمل فى قطع الأخشاب وتمهيد الطرف أمام الجيوش حيث تكثر الأشجار، أما البلطة: تختلف عن الفأس فى أن امتداد سلاح البلطة مع يدها[5].

ومن الأسلحة الدفاعية

الخوذة: تعد أهم آلات الدفاع تلبس مغنية من الخشب لوقاية الرأس.

الترس: من أسلحة الدفاع وهو مصفح من الفولاذ المستدير أحياناً ويحمل فى اليد، ويتلقى به المقاتل ضربة السيف ونحوه ، وكان يصنع من الخشب المغطى بالجلد.

الدرع: هو ثوب ينسج من زرد الحديد ويلبس فى الحرب.

القفع: هى حتيةمن الخشب يدخل تحتها المشاه ويمشون بها فى الجبهة حتى لايتعرضوا للضرب من جدارات الحصون ، وقد استخدمها العرب وغيرهم حتى نهاية العصور الوسطى.

---

[1] حسين عليوة : الأسلحة الإسلامية ، ص٤ .

[2] عبد الرحمن زكى: الجيش المصري ، ص٩٥ ، محمد نديم: الفن الحربي ، ص٣٩-٤٠.

[3] محمد نديم: مرجع سابق ، ص٣٩-٤٠.

[4] عبد الرحمن زكى: مرجع سابق ، ص٩٥. ، محمد نديم: مرجع سابق ، ص٣٩-٤٠.

[5] محمد نديم : مرجع سابق ، ص٤٠ .

ومن آلات الحصار

برج الحصـــار: وكانت تصنع من الخشب المتين، وتغطى بالحديد والجلد، وكانت تستخدم للاقتراب من حصون العدو ، والأسوار لاقتحامها وتقذف السهام والأحجار أو غير ذلك من القذائف.

العرادة: وهي آله أصغر من المنجنيق يلقي بها الأحجار على مسافات بعيدة من المعادن التى يصنع فيها الحديد[1].

المنجنيق: كلمة فارسية وهي آلة من آلات الحرب لها أنواع مختلفة يمنيا ما يشد بلوالب وأقواس، أو ما يدور كمقلاع لقذف الأحجار والسهام أو قوارير النفط[2]، وتصنع المجانيق من الخشب وتستخدم فى إطلاق السهام، وهي عبارة عن ثمان وعشرين قطعة من الخشب[3]، كما كانت تستخدم فـي رمـي العقارب، وفي رمي الكرات المشتعلة بالنار اليونانية[4]، والتي كانت توضع في أنابيب من النحـاس مليئة بالنفط والزيت والكبريت المجمد بنوع من الصمغ القابل للاشتعال، وكان لتلك الانابيب مـؤخرة بها قوس يدفعها حين توتره إلى الأمام ، وكانت تلك الأنابيب بدورها توضع [5]في اسـطوانة هائلـة مستديرة [6]توضع في مدافع المنجنيق [7]ثم تقذف على العدو فتصليه نارا حامية، ووصفها جوانفيل أحد

---

[1] عبد الرحمن زكي : الجيش المصري ، ص٩٥ .

[2] نقولا يوسف : تاريخ دمياط منذ أقدم العصور ، مطبعة التحرير ، القاهرة ، ١٩٥٩م ، ص١٤٤-١٤٥ .

[3] محمد نديم : الفن الحربي ، ص٤٠ .

[4] عبد الرحمن زكي : مرجع سابق ، ص٩٥-٩٧ .

[5] جوزيف نسيم : العدوان الصليبي على مصر ، ص١٥٦ .

[6] كانت تلك الاسطوانة تعرف بالقذيفة أو القنبرة . وأصلها كلمة تركية (قانوبور) نقلها العرب منهم ونطقوها بقنبر ثم قنبره وكانت تطلق على حشوة المدفع ثم توسعوا بها . وأطلقوها على كرته الحديدية . واستخدمت في العصر الأيوبي قذيفة ، وتعددت ما بين النحاسية ، والحجرية ، والزجاجية (عبد الرحمن زكي : مرجع سابق، ص٩٥-٩٧)

[7] المدافع : مفرد مدفع كان أول مدفع صنع في القاهرة ومصر عامة كان صالح للعمل في ق(٦ هـ/ ١٢م)وكانت صناعته من الخشب الذي تربطه دعائم معدنية ، ويقذف أحجار مستديرة وفي منتصف ق(٩ هـ/ ١٥م)ادخل تحسينات عليه أمكن معها استخدامه في حصار القسطنطينية ، (ستانوودكب : المسلمون في تاريخ الحضارة ، ترجمة محمد عثمان ، الدار السعودية للنشر ، الرياض ، ١٩٨٢م ، ١٠١ .

المشاركين في الحملة السابعة على دمياط والذين كتبوا عن طبيعة هذه النار متعجباً اندفاعها عليهم أثناء تواجدهم في أشموم طناح " أنها أي النار اندفعت على هيئة دائرة كبيرة أو كبرميل من الخمر لها دوي مزعج كدوي الصاعقة المنقضة من السماء ،ولها صوت يهزم كالرعد القاصف ، وهي أشبه ما تكون بتنين هائل طائر في الجو ، وكانت هذه النار تلقي ضوءً متوهجاً ، حتى أن الرؤيا كانت واضحة في المعسكر كما لو كان نهارا من جراء النار المنبعثة من هذه الكتلة الهائلة من اللهيب " ، حتى لقد استولى الذعر على الفرنج أمام هذا السلاح الجديد[1] ، وكان يطلق على من يلقيها نفاط[2] وكان العصر الذهبي للمجانيق من ق (٦- ٨ هـ / ١٢ - ١٤ م) قبل استخدام المدفعية [3].

الجرخ: وهى آله حربية لرمى السهام ، النفط والحجارة ويقال لمستخدمها من الجند جرخي وهو ما يصح أن يطلق عليه السهم[4].

إلى جانب الأسلحة السابقة ، فكان يصنع أيضاً الحسك (الأسلاك الشائكة) وهو نبات تعلق ثمرته بصوف الغنم وورقه كورق الرجلة ، وهو من الأدوات الحربية حيث يطرح حول المعسكرات أو أمام الجيش لعرقلته[5].

تعددت أيضاً الأسلحة التى صنعت فى دار السلاح بالقاهرة مثل : الكلاليب ، والباسليقات ، واللجام[6].

أما الكلاليب: وهى نوع من الخطاطيف الحديدية مربوطة فى نهاية سلاسل قوية كانت تلف على مراكب العدو لشدها والعبور إليها عن طريق السلالم.

الباسليقات: هى عبارة عن سلاسل حديدية تنتهي بروؤس رومانية الشكل متخذة من الحديد أيضاً كانت تستخدم فى القتال أثناء الالتحام بين البحارة على سطح السفن.

---

[1] جوانفيل : سيرة القديس لويس ، ترجمة وتعليق حسن حبشي ، دار المعارف ، القاهرة ، د. ت. ، ص١١٠.

[2] نقولا يوسف : دمياط ، ص١٤٤- ١٤٥.

[3] عبد الرحمن زكي : الجيش المصري في العصر الإسلامي، ص٩٥-٩٧ .

[4] محمد نديم : الفن الحربي للجيش ، ص٤٠ .

[5] عبد الرحمن زكي : مرجع سابق ، ص٩٦ .

[6] أحمد عبد الرازق : الحضارة الاسلامية ، ص ٢١٦.

النجام: هي عبارة عن آلة طويلة من حديد ذات رأس محدد للنقب مجوف، والنجام كان يثبت عادة في مقدمة المركب في خشبة يقال لها الأسطال حتى يصير النجام كأنه رمح بارز، يستخدم في ضرب جوانب السفن العدو بهدف إحداث ثقوب بها[1].

وليس أدل على صناعة الأسلحة في القاهرة أنه كان بها سوق تخصص بالسلاح سمي بسوق السلاح، والذي يقع بجوار مدرسة الظاهر بيبرس. وعرف هذا السوق في العصر الأيوبي بحي بين القصرين ، وتباع فيه لوازم الجنود من الأسلحة والنشاب ، من آلات السلاح والقسي والخناجر والخوذات ، وبلط القتال ونحوها مما كان ينقش ويكفت، إلى جانب سوق السيوفيين الذي خصص لبيع مختلف أنواع السيوف [2].

ب- سك العملة بالقاهرة

حرصت الدولة على ضبط الصناعات الأساسية أو الإستراتيجية والتي تخص اقتصاديات الدولة والمجتمع والمنتشرة فيها مثل صناعة سك العملة، وخصص بالقاهرة دار لسك العملة ، وقد أشرف سلاطين الأيوبيين منذ عهد صلاح الدين على هذه الدار إشرافاً دقيقاً، وذلك لأهميتها في حياة الناس الاقتصادية، فعينوا الصناع والأجراء المتخصصين في هذه الصناعة، وحرصت الدولة على ضبطها من حيث الوزن[3]، وكان المشرف على هذه الدار رئيس ديني كأحد القضاء لضمان شرعية الدنانير والدراهم التي تصدر من دار السكه بأسمائهم من حيث الوزن والعيار[4].

كما ساعد القاضي : متولى دار الضرب والذي كان له أيضاً سلطة إدارية على العمال ، أما المشرف من الناحية الفنية فكان المقدم : ويقوم بحفظ عيار الذهب والفضة كما يقوم بختم ما في قوالب السباك حتى لا يحدث بها غش في العملة وفي سكها ، ويعاونه السباك والذي يختص بوزن النحاس

---

[1] عبد الرحمن زكي : الجيش المصري في العصر الإسلامي، ص٩٦

[2] محاسن الوقاد : الطبقات الشعبية ، ص٣٤، شحاته عيسى ابراهيم : القاهرة ، الهيئة المصرية العامة ، القاهرة ، ٢٠٠٢م ، ص٢١٦-٢٢٠.

[3] ابن مماتي : قوانين الدواوين ، ص٣٣٢ .

[4] ابن بعرة : كشف الأسرار العلمية ، ص٣٣ .

والفضة في حالة السبك ، ومتى اختل العيار فعليه ، والضراب : والذي كان مهمته ليس فقط الضرب على السبيكة لانتاج سكة مضروبة فقط بل أيضاً الختم على السكة المضروبة[1] .

وتعددت طرق إنتاج وصناعة السكة سواء كانت الدنانير الذهبية أو الدراهم الفضية أو الفلـوس النحاسية . فمنها طريقة الطرق حيث يوضع الذهب المسبوك أو غيره في قوالب طويلة لتشكيله علـى هيئة أسياخ ثم يطرق حتى يتم تشكيله . أو عن طريق الصب : وهي طريقة أسرع باسـتخدام قـالبين مخصصين لسك ولصب السبيكة المدورة في أحد وجهي القالب بعد أن تنصهر فيأخذ المعدن شكل أحد القالبين وهيئة النقوش الغائرة فيه وبمجرد صبه يوضع القالب الثاني للسبيكة بالقالب الأخرفينطبع وبعد برده ينتج قطع متماسكة[2] .

وكان إذا تساوى الوزن أجازه النائب فى الحكم و ضرب دنانيراً أو غيرها، وإذا نقص الـوزن أعيد إلى أن يتساوى أو يصبح بالتعليق ، وكان يؤخذ على أجرة كل ألف دينار تضرب بالدار بالقاهرة ثلاثون دينار ويخرج من ذلك أجرة الضرابين ثلاثة دنانير. واستمرت الأجرة إلى آخرسنة(٥٨٦هـ / ١١٩٠م)أربعة وثلاثين دينار وربع دينار و رسم المشارفة (المشرفين) ربع وسدس وثمن حبة (أى ما يعادل دينار وثلثى دينار)[3].

وكان من يقوم بمزاولة ضرب العملة سواء كان من المتخصصـين أو غيـره يحصـل علـى ترخيص من الحكومة التي كانت تتولى ضبط العملة حرصاً على أموال الناس ومصالحهم ، وخاصـة أنه لو وجد من يخرج بالعملة عن الوزن أو الشكل المخصص لها يتعرض للعقوبة [4] .

ونتيجة للأزمة المالية التى حدثت فى بداية حكم الأيوبيين و التى كانت مترتبة على نفاد الذهب، لجأ صلاح الدين إلى ضرب دارهم من خليط معدنى نصفه من الفضة ونصفه من النحاس.فلما ضـاق أهالي القاهرة بتلك الدراهم الرديئة فى تعاملاتهم،وزاد الأمر سوءاً خاصة أنه كان قبل ذلك يصـرف للجنود مرتباتهم بالدنانير الذهبية، فأصبح يصرف لهم بما يعادلها من الدراهم، الأمر الذى جعل الملك

---

[1] ابن بعرة : كشف الأسرار العلمية ، ص٣٣-٣٥ .

[2] نفس المصدر ، ص١٨-٢٨ .

[3] ابن مماتي : قوانين الدواوين ، ص٣٣٢ .

[4] نفس المصدر و الصفحة ، جستين ربيع : النظم المالية ، ص ٩٨ – ٩٩ .

الكامل بضرب عملة قل فيها النحاس وذلك سنة(٦٢٢هـ/ ١٢٢٥م)، وهناك يذكر أن الملك الكامل أنشأ داراً جديدة للسكة بالقاهرة[١].

ومن أمثلة العملات التي صنعت بدار الضرب بالقاهرة وهي الآن بمتحف الفن الإسلامي رقمها(٢ / ١٠٨١١)، على هامشها " بسم الله الرحمن الرحيم، ضرب هذا الدينار بالقاهرة سنة سبع وأربعين وستمائة "[٢].

د- صناعة الحلي

اشتهرت القاهرة بإنتاجها للصناعات الذهبية والفضية والتي عرفت بصناعة الحلى وخاصة بسوقها المشهور بسوق الصاغة في حي الجمالية بالقاهرة، و الذي كان يضم عدداً كبير من الصاغة و الصناع الذين يقومون في حوانيتهم المتجاورة بأعمال البيع والشراء للمنتجات الذهبية المختلفة، والأحجار الكريمة، و كان الصاغة يتعاملون مع مصانع أو ورش تقوم بتصنيع المصنوعات الذهبية والفضية و تشكيلها ، و تحليتها بالزخارف المختلفة، وبالفصوص المتعددة الألوان والأشكال والأحجام، ومن تلك المنتجات الخواتم، والأقراط الذهبية والتي كانت تتخذ شكل الدلايات كما كانت على أشكال مختلفة تضم آيات قرآنية ، وأساور، وخلاخيل[٣].

---

[١] ابن بعرة : كشف الأسرار العلمية ، ص٤٠، حسنين ربيع : النظم المالية ، ص١٠٢-١٠٣ .

[٢] ابن بعرة : مصدر سابق ، ص٤٦ .

[٣] حسين عبد الرحيم عليوة : الحلي (بحث ضمن أبحاث القاهرة وفنونها وتاريخها ، القاهرة ، ١٩٧٠م) ص٥٧٦ .

ومن الصناعات التى عرفتها القاهرة أيضاً الصناعات النحاسية وعلى الرغم من الحروب التى شغلت القاهرة فى العصر الأيوبي، إلا أن ذلك لم يوقف عجلة الإنتاج الصناعي والفني[1]،فقد اتسمت التحف المعدنية فى العصر الأيوبي بتنوع أشكالها،ودقة صناعتها ، وكثرة زخارفها بصفة عامة [2] .

صنع فى القاهرة العديد من الأواني النحاسية حتى إنه يذكر أن السلطان الصالح نجم الدين أيوب نظراً لشغفه بلعب الكرة لم يقم بتشييد ميدان لها بأرض اللوق فقط بل أمر صناع التحف بنقش صورها على الأواني التى كانت تصنع خصيصاً له وبرسمه. وخير مثال على ذلك ما عثرعليه فى المتحف الإسلاميمن آنية على شكل النحاس المكفت بالفضة والذهب وترجع للسلطان نفسه[3].

ومن أهم التحف المعدنية التى انتشرت فى العصر الأيوبي،بعض الأواني النحاسية التى كان يعتقد فى قدرتها على شفاء بعض الأمراض العصبية والتى كثر استعمالها (طاسة الخضة) كما يسميها العامة. وقد حفظ لنا متحف الفن الإسلامينموذجاً من هذه الطاسات المؤرخة فى العصر الأيوبي والمؤرخة سنة(٥٨٠هـ/١١٨٤ م). وتضم نقوشاً وصلت إلى درجة عالية من الإتقان والجودة[4]. وهذه الطاسات يعتقد أنها تستخدم للشفاء من لسعة الحية، والعقرب، وعضة الكلب، ولإبطال السحر والمغص، والنظرة، ونكد الأطفال[5].

---

[1] عبد الرحمن عمار : النسيج ، ٣٧٤-٣٧٧ .

[2] سامية محمد إبراهيم : التطور التاريخي لصناعة النحاس في مصر الإسلامية ، ماجستير غيرمنشور، آداب الزقازيق ، ١٩٩٣م ،ص٦٤-٦٥ .

[3] أحمد عبد الرازق : وسائل التسلية عند المسلمين (بحث ضمن ندوة التاريخ الإسلاميوالوسيط ، م٣ ، دار المعارف ، القاهرة ، ١٩٨٥م) ص٧٧.

[4] سامية محمد إبراهيم : مرجع سابق، ص٦٤-٦٥ .

[5] محمد مرزوق : الفن الإسلامي، ص٣٥ ، عبد الرحمن فهمي : فن النسيج ، ص٣٧٤-٣٧٧ .

ومن الصناعات النحاسية أيضاً: الصواني المكفتة بالفضة[1] والقدور النحاسية [2]،ومقابض السكاكين[3]، والأباريق ،والتي عرفت بزخارفها النباتية والآدمية و الكتابية و الشمعدان، وفيها ما يرجع إلى عهد الملك الكامل، ويرجع تاريخه لسنة(٦٤٤هـ/١٢٢٥م) بالمتحف الإسلامي، والمباخر النحاسية، كما كانت الأبواب تصفح بطبقة من النحاس المزخرف بشتى أنواع الزخارف النحاسية الإسلامية مثال ذلك مافى قبة الإمام الشافعي[4].

كما عرفت القاهرة بإنتاجها من **الصناعات البرونزية** من بين تلك المنتجات البرونزية التى صنعت فى القاهرة فى العصر الأيوبي والتى فيها العلم بالصناعة والفن أيضاً الإسطرلاب وهو يصنع من مادة البرونز ويعد الإسطرلاب من أهم الأدوات الفلكية[5].

صناعة الزجاج

ازدهرت هذه الصناعة فى القاهرة حيث دخلت صناعة الزجاج لأول مرة فى عهد الفاطميين[6]. ويرى المتخصصون أن نهاية القرن (٦ هـ/١٢م) هى بداية العصر الذهبي لهذه الصناعة، حيث بلغت ذروتها فى القاهرة فيما بين القرنين السادس و التاسع الهجرى بفضل رعاية سلاطين الأيوبيين[7]، حيث بلغت أجمل صورها[8]،

---

[1] أحمد فكرى: مساجد القاهرة ومدارسها ، دار المعارف ، القاهرة ، ١٩٦٩م،ج١ ، ص١٧ .

[2] نبيل محمد عبد العزيز : المطبخ السلطاني زمن الايوبين والمماليك ، مكتبة الانجلو المصرية ، القاهرة ، ١٩٨٩م ، ص٨٢

[3] ناصر خسرو : سفرنامه ، ص١٠٣ .

[4] أحمد فكرى : مرجع سابق ، ج٢ ، ص١٧ ، سامية محمود : التطور التاريخي لصناعة النحاس ، ص٦٤-٦٥.

[5] سامية محمود نصار: مرجع سابق، ص٦٥.

[6] عبد المنعم ماجد : تاريخ الحضارة الإسلامية ، ص٢٦٣ .

[7] سعيد عاشور : الايوبيون والمماليك ، ص١٧١ ، الحويري : مصر في العصور الوسطى ، ص٢٣٢ .

[8] أحمد فكري : مرجع سابق، ج٢ ، ص١٧ .

وقد أسهمت مدينة القاهرة[١] برصيد وافر في انتاج الزجاج المحلي .مثلما أسهمت العراق وفارس أيضاً [٢]، ومن بين ما أنتجته القاهرة من مصنوعات الزجاج: الزجاج الشفاف بالغ النقاوه والذى يشبه الزمرد ، والزجاج المسمي بالفسيفساء[٣]، فأنتجت الكئوس، والأواني[٤]، والقوارير[٥]،والقنان، كما استخدم الزجاج الملون فى الشبابيك الجصية[٦]. وعرفت المصنوعات الزجاجية بزخرفتها بالرسوم الآدمية والحيوانية [٧].

صناعة الخزف فى القاهرة

عرفت القاهرة فى العصر الأيوبي بصناعة الخزف الأيوبي، و تميز الخزف فى العصر الأيوبي بامتداد زخارفه من العصر الفاطمي ، وأنه كان تقليداً للخزف الصيني، وعرف برقة طينته وجمال تزججه وأرضيته الخضراء أو الضاربة إلى الخضرة وزخارفه السوداء، وزخارفه المنحوته أو المحددة بخطوط محزوزة بصور آدمية ورسوم طيور وحيوانات وأشكال هندسية، وتأثر الخزف بأنواع السيلادون التى امتد التأثر به حتى (٩ هـ/١٥م)[٨].

---

[١] وقد ساهم صناع الشوام خاصة في حلب ودمشق في ارتقاء صناعة الزجاج في القاهرة وخاصة بعد تعرض بلادهم للغزو المغولي وانتقالهم إلى مصر (سعيد عاشور :، الايوبيون والمماليك ص١٧١ ، محمد عبد العزيز مرزوق : الفن الإسلامي في العصلا الأيوبي ، ص٦٨-٦٩).

[٢] سعيد عاشور : مرجع سابق ، ص١٧١ .

[٣] عبد المنعم ماجد : تاريخ الحضارة الإسلامية ، ص٢٦٣ .

[٤] محاسن الوقاد : الطبقات الشعبية ، ص٣٠ .

[٥] المقريزي : الخطط ، ج١ ، ص١١٩.

[٦] أحمد فكري : القاهرة ، ج٢ ، ص١٧، محمد صدقي الجباخنجي : الفن والقومية العربية ، المؤسسة المصرية العامة للتاليف والترجمة والنشر ، القاهرة ، ١٩٦٣م ، ص٨٠ .

[٧] نعمت اسماعيل علام : فنون الشرق الاوسط ، دار المعارف ، القاهرة ، ١٩٨٤م ، ص١٤٠.

[٨] سعيد عاشور ، الرافعي : مصر في العصور الوسطى ، ص٤٢ .

كما عرفت زخارفه (الخزف) بالبساطة وعدم المغالاة وبالوقار نظراً للصبغة التي اصطبغت بها الدولة الأيوبية من كونها دولة جهاد[١]. وقد ازدهرت صناعته وانتشرت لكثرة صناعته في القاهرة ورخصه كان البائعون يضعون فيه ما يبيعونه ويأنف المشترون بالمجان[٢]، وقد أقبل الفنانون المسلمون على صناعته حتى يصلح من حيث الفخامة والجمال لأن يكون بديلاً لأواني الذهب والفضة وذلك باستعمالهم للبريق المعدني ذلك لان الاسلام لا يفضل استخدام الأواني المصنوعة من الذهب[٣] . و جاءت الصناعات الخزفية ورسومها انعكاساً لما كان في البيئة في العصر الأيوبي[٤].

وقد شمل إنتاج الخزف جوانب متعددة من المتطلبات الناس اليومية سواء كانت هذه الاحتياجات عامة أو خاصة ككسوة الجدران، والمحارب، صنع منه الفناجين والأقداح،الكئوس،والصحون، والسلاطين، والأكواب، والقوارير، والمسارج[٥].

الصناعات الخشبية بالقاهرة

عرفت القاهرة بصناعة المنتجات الخشبية التي بلغت درجة كبيرة من الإتقان في العصر الأيوبي (والذي كان امتداداً للعصر الفاطمي)[٦] في زخارفه النباتية، وحل خط النسخ محل الخط الكوفي[٧] ، والحفر على الخشب ليس فقط والنقش عليه لتجميل التحف الخشبية، وخاصة في العمائر الدينية والمدينة مثل المنابر والمحاريب،الدكك، والأبواب في المساجد والنقش عليها بالأيات القرآنية المنقوشة على الخشب، و التي تزدان بحشوات عليها رسوم محفورة . وخير مثال على ذلك تابوت الأميرة العائلة بضريح الإمام الشافعي، كما أن تابوت الإمام الشافعي نفسه يعتبر من أعظم المنتجات الخشبية

---

[١] محمد مصطفى : الخزف الإسلامي، مطابع الاعلانات الشرقية ، القاهرة ، ١٩٥٦م ، ص١٥ .

[٢] ناصر خسرو : سفرنامه ، ص١٠٥ ، عنايات المهدي : روائع الفن في الزخرفة الاسلامية ، مكتبة ابن سينا ، القاهرة ، ١٩٩٣م ، ص٣٠ .

[٣] أبو صالح الألفي وآخرون : مذكرات في التذوق وتاريخ الفن ، الهيئة المصرية ، القاهرة ، ١٩٧٤م ، ص٢٦٠ .

[٤] أحمد عبد الرازق : وسائل التسلية ، ص٩٥ .

[٥] أبو صالح الألفي : مرجع سابق ، ص٢٦٨ . .

[٦] رجب عزت : تاريخ الأثاث منذ أقدم العصور ، الهيئة المصرية ، القاهرة ، ١٩٧٨م ، ص١٣٩-١٤٠.

[٧] عاشور، الرافعي: مصر في العصور الوسطى، ص٤٢٠، الحويري: مصر في العصور الوسطى، ص٢٣٢.

حيث يوجد عليه نقوش مكتوبة بالخط النسخ والخط الكوفي، ويزخرف بحشوات سداسية ، وزخارف نباتية [١].

ومع تقدم صناعة الحفر على الأخشاب عادت الفسيفساء الملونة والمذهبة في المحاريب،وأحواض السبيل بالمدرسة، وكذلك أحواض شرب الدواب[٢]. وتنوعت الزخارف المرتبطة بالأخشاب والتي تضمنت النقوش والزخارف البارزة، والنقوش بطريقة التفريغ ، وثالثة بتعشيق الخشب وتطعيمه بالعاج والصدف التي ظلت حتى ق(٧هـ /١٣ م)[٣].

ومن أبرز الصناعات الخشبية: صناعة شبابيك الأرابيسك،إلى جانب صناعة المشربيات التي يتجلى فيها صناعة الخشب المخروط،الحواجز الخشبية للمقصورات في المساجد ، والكراس، والدواليب[٤]. ومن أمثلة الحفر على الخشب،المنابر،مساند المصاحف ،والصناديق،لأثاث،وواجهات المنازل، بقصد تزيينها حيث كان يرسم عليها زخارف من تفريعات أوتوريقات[٥] وغيرها. كما ظهر أسلوب الأرابيسك في محراب السيدة نفسيه والذي يعتمد على الخط اللين إلى جانب الأسلوب الهندسي العلمي، إلى جانب ذلك ظهرت صناعة التوابيت وهي صناديق مفتوحة من أعلاها والتي ارتبطت بالسفن الحربية حيث كانت تنصب أعلاها ، ويختفي بداخلها الجنود خوفاً من الغزاة[٦] .

الصناعات الجلدية

عرفت القاهرة بالصناعات الجلدية. ومن أمثلة تلك الصناعات. الروايا أو القرب والتي تصنع من الجلود المدبوغة بالقرض (أي التي استحكم دباغها وطال مكثها عند الدباغ)، ويعمل فم القربة من الأديم المصري أو ما يشابه اليماني، أما جانب القربة يصنع من الجلد . أما حياض الماء : هي حياض

---

[١] رجب عزت: تاريخ الأثاث منذ أقدم العصور ، ص١٤٠، عاشور:الأيوبيون والمماليك، ص٢٧٠.

[٢] محمد صدقي: الفن والقومية ، ص٨٠.

[٣] سلام شافعي: أهل الذمة، ص١٥٨-١٥٩.

[٤] أحمد فكري: مساجد القاهرة،ج٢، ١٦، أبو صالح الألفي: الفن الإسلامي، ص٢٧٩.

[٥] عبد المنعم ماجد: الحضارة الإسلامية ، ص٢٦٥، أبو صالح الألفي: مرجع سابق ، ٢٧٨.

[٦] أحمد عبد الرازق : الحضارة الاسلامية ، ص٢١٦-٢١٧ .

من جلد تحمل فى السفر لحمل الماء فيها و تستخدم للتلوي للدواب و نحوها . وكلما كانت كبيرة الحجم كلما دل ذلك على رفعة صاحبها وفخامته لدلالتها على كثرة الدواب[1].

وصنع من الجلود: السروج وآلات اللجم التي خصص لها سوق بالقاهرة يسمى سوق اللجميين حيث كان يصنع وتباع آلات اللجُم ونحوها. و تنوع تلوين الجلد المخصص للسروج ما بين أصفر وأزرق وأسود من الجلد البلغاري. ويركب بهذه السروج المعدله القضاه ومشايخ العلم اقتداء بعادة بني العباسي في استعمال السواد[2].

كما كان يصنع من الجلد، النعال حيث انتشرت في القاهرة حوانيت الأساكفة في الأسواق [3]. وكانت النعال الراقية تصنع من جلد البقر المستورد من الحبشة وهو يشبه جلد النمر[4]، أما الأصناف الأخرى فتصنع من الجلود المحلية. إلى جانب ذلك صنع من الجلد الأنطاع المستحسنة [5] و التي كانت تصدر إلى بلاد الشام، إلى جانب الحقائب والكمرانات[6] وخرائط الجلد والسيور[7] إلى جانب تغليف الكتب بالخشب المغطى بالجلد بطريقة الضغط أو الدق[8].

---

[1] نبيل محمد عبد العزيز: المطبخ السلطاني ، ص٨٣.

[2] المقريزي : الخطط ، ج٢،ص٥٨٨-٥٨٩ ، عبد المنعم ماجد: الحضارة الإسلامية، ص٢٦٨، شحاته عيسى: القاهرة، ص٢١٦-٢٢١.

[3] أحمد زغلول مجاهد: الحياة الاجتماعية في مصر في العصر الأيوبي، دكتوراه غير منشورة ، جامعة الازهر ، ١٩٨٩م ، ص٣٢١.

[4] ناصر خسرو : سفرنامة، ص١٠٣ ، عبد المنعم: مرجع سابق ، ص٢٦٥.

[5] الأنطاع : جامع نطع وهو البساط من الجلد (ابن سعيد : النجوم الزاهرة، ص٢٩) .

[6] الكمرانات : الكمرات حزام يلبسه السلاطين والأمراء والجلود (نفس المصدر و الصفحة)

[7] نفس المصدر و الصفحة .

[8] صدقي الجباخنجي: الفن والقومية العربية، ص١١٦.

صناعة الورق

عرفت القاهرة بصناعة الورق، حيث كان بها مطابخ لصناعته[١] ، ومع اختفاء قراطيس البردي بمصر والتي كان يتم تصديرها إلى بلاد المغرب [٢]في أعقاب ق (٣هـ - ٤هـ /٩ - ١٠ م) بـدأ يظهر في القاهرة الورق، والذي انتقل من الصين إلى سمرقند فمصر في ق (٣ هـ / ٩ م)[٣]، وتم نقل صناعته من مصر إلى ممالك أوربا في ق (٦ - ٧ هـ / ١٢- ١٣م) [٤] . ولكن مصر كانت صناعتها له في معظم مدنها وخاصة في القاهرة التى تأتي في المرتبة التالية لورق سمرقند ، و بغداد ، ودمشق، وحماه، وطرابلس من حيث الجودة والقطع[٥] . حيث غدا الورق مستعملا في الكتابة لأول مرة . وأصبح يؤخذ عليه زكاة في مدينة القاهرة إذا بلغ ثمنه مائتي درهم ففيه خمسة دراهم[٦] .

وترتب على كثرة الإقبال على التأليف للمنتجات العلمية والـدواوين، وحـرص النـاس علـى تناقلها.كثرة إنتاج الورق على وزادت صناعة الوراقين المتخصصين فى ذلك للإنتساخ، والتصحيح[٧]. كما انتعشت الصناعات المساندة لة مثل التجليد والذى كان يقوم على تزين الكتب والرسوم والألـوان ولا سيما تذهيبها[٨].

---

[١] ابن سعيد : النجوم الزاهرة ، ص٢٩ .

[٢] ابن اياس : بدائع الزهور في وقائع الدهور ، ج١ ، ق١ ، ص٤٤ .

[٣] ابراهيم أحمد العدوي : الدولة الاسلامية وامبراطورية الروم، رياض الصالحين ، الفيوم ، ١٩٩٤م ، ص٤٠

[٤] ابن مماتي : قوانين الدواوين ، ص٣١ ، ابراهيم العدوي : مرجع سابق ، ص٤٠ .

[٥] العبادي : الحياة الإقتصادية ، ص٣٤٧-٣٤٨ .

[٦] ابن مماتي : مصدر سابق، ص٣١ .

[٧] العبادي: مرجع سابق ، ص٣٤٧-٣٤٨.

[٨] ستانوودكب: المسلمون فى تاريخ الحضارة، ترجمة محمد فتحي عثمان ، الدار السعودية للنشر والتوزيع ،الرياض ، ١٩٨٢م ، ص١٠٠.

إلى جانب تلك الصناعات السابقة عرفت القاهرة بإنتاج الأواني البلورية و خاصة أن البلور الصخري و الذي كان يستخرج من باطن الأرض كان من أشهر المواد التي تصنع منها الأواني، ومن تلك الصناعات البلورية: قطع الشطرنج والتي تصنع على شكل تماثيل[١].

كما عرفت القاهرة بإنتاج الصناعات العاجية وخاصة بعد حريق الفسطاط التي انتقل الصناع منها إلى القاهرة ومن ذلك ما أشار إليه ابن جبير من وجوده بالفسطاط من قبل، وبانتقال الصناع منها إلى القاهرة انتقلت معهم، ومن تلك الصناعات: الأمشاط ويدل على تواجدها بالقاهرة من وجود سوق المشاطين، وسوق الصاغة وغيره[٢].

الصناعات الغذائية

أ- صناعة السكر بالقاهرة

ومن الصناعات الغذائية التي كانت تقوم القاهرة بتصنيعها: صناعة السكر. حيث كان يوجد بها مطابخ للسكر[١]. و عرفت القاهرة ومدن مصر بأنها تنتج كميات ضخمة من السكر التي كان يستهلك بعضها داخل البلاد[٢] . وخاصة أنه عرف بكثرته ورخص ثمنه ولا يكاد ينقطع عن ديار مصر[٣]، أما الباقي أو الفائض فإنه يتم تصديره إلى الخارج[٤].

و قد تنوعت ملكية مطابخ السكر بين ملكية خاصة للأفراد من أمثلتها مطبخ ابن السني محاسن، ومطبخ النخالين، و ملكية عامة للدولة مثال على ذلك : مطابخ زقاق درب اللوازين[٥] .

---

(١) أبو صالح الألفي : الفن الإسلامي، ص٢٧٣ .

(٢) عدنان فايز الحارثي : عمران القاهرة ، ص٣٣٦ .

(١) ابن سعيد: النجوم الزاهرة، ص ٢٩.

(٢) عاشور : الأيوبيون والمماليك ، ص١٥١ .

(٣) ابن ظهيرة: الفضائل الباهرة، ص١٣٣-١٣٤.

(٤) عاشور: مرجع سابق، ص١٥١ ، الحويري: مصر في العصور الوسطى، ص٢٣٢.

(٥) ابن دقماق : الانتصار ، ق٢ ، ص٤١-٤٥ .

ونظراً لشدة الطلب على السكر توسع المصريون في زراعته. وقد عرف سكر مصر بجودته وأنه فاق سكر الأهواز[١]، وازدهرت صناعته في عهد صلاح الدين وخاصة في المنطقة التي تقع على ساحل النيل الشرقي بالقاهرة[٢].

وقد استخدم السكر في الكثير من الصناعات مثل صناعة الحلوى وخاصة التي كان يجري تقديمها في المآدب والحفلات، وفيما كان يقدمه السلاطين ويرسلونه إلى بيوت الوزراء والعلماء وكبار الدولة[٣]. والتي كان يستهلك منه كميات كبيرة في مثل تلك الحالات ففي سنة (٦٣٧هـ/١٢٣٩م) جرى احتفال بعودة العادل إلى القاهرة ويذكر بهذه المناسبة أنه صنعت قصور من الحلوى واستهلك ألف وخمسمائة قمع سكر[٤]. ومن أمثلة تلك الأطعمة التي كانت تعمل هريسة الفستق، والوردية، والقماقم المحشوه بالسكر والحلوى واللحمة[٥].

ب-صناعة الخمور

اشتهرت القاهرة بصناعة الخمور في العصر الأيوبي، وكان أكثر المشتغلين بصناعة الخمور في ذلك العصر من النصارى واليهود، حيث كانت عادة شرب الخمر منتشرة بين كثير من فئات المجتمع المصري في مدنة وقراه[٦].

وكانت أكبر مراكز صناعة الخمور بالقاهرة: منية السرج أو منية الأمراء بناحية شبرا. حيث كان أغلب سكانها من الأقباط وخاصة أن بساتينهم الملحقة بها كان يزرع بها العنب، و قد انتعشت تلك الصناعة، و قد اعتمد فلاحوا تلك المنطقة على ما يبيعونه من الخمر، وخاصة يوم الاحتفال بعيد

---

[١] العبادي : الحياة الإقتصادية ، ص٣٤٦ .

[٢] عبد العزيز سيد الأهل: صلاح الدين، ص١٠١

[٣] العريني: مصر في عصر الأيوبيين، ص ٢٠٠ ، عبد اللطيف حمزة: الحركة العسكرية، ج١، ص٦٥

[٤] اندريه ريمون: القاهرة ، ص٩٤.

[٥] ابن مماتي: قوانين الدواوين ، ص٣٥٣.

[٦] حسنين ربيع: النظم المالية، ص٥٢ ، سلام شافعي: أهل الذمة في مصر ، ص١٦٧.

الشديد على سداد الخراج. ويذكر المقريزي أن نصرانياً وتحديداً من التجار النصارى باع من الخمر في ذلك العيد باثني عشر ألف درهم فضة أي نحو ستمائة دينار[1].

وقد ترتب على كثرة صناعة الخمور بالقاهرة، نفاق العنب وغلائه[2] ، على الرغم من أن صناعة الخمور لم تكن كلها تعتمد على العنب بل كان يتم فيها إضافات مثل العسل، حيث كانوا يضعونه فـي الشمس. لذلك كانت خمور القاهرة من النوع الرديء، كما انتشر أيضاً إلى جانب صناعة الخمورصناعة المزر[3] والنبيذ[4]، وعلى الرغم من ذلك زاد الطلب على الخمور أكثر منهما[5].

وكان لانتشار صناعة الخمور بالقاهرة في بداية العصر الأيوبي ما جعل السلطان صلاح الـدين يصدر رسما بإبطال صنعها، ولكن أرباب صناعتها وتجارها لجأوا إلى نجم الدين أيوب والد صـلاح الدين لإعادتها. وفعلاً حصلوا من صلاح الدين على رسم بإعادته صـناعتها نظـراً لإقبـال النـاس عليها[6].

إذ يذكر القاضي الفاضل أنه رأى بعض الناس في القاهرة سنة (٥٨٧هـ / ١١٩١ م) يشربون الخمر في ليالي رمضان دون أن ينكر أحد عليهم ذلك سواء كانوا من النصارى أو المسلمين[7].

ووضعت بعض القيود على شرب المسكرات في عهد العزيز عثمـان (ت٥٩٥هـــ/١١٩٨م) ولكن نظراً للأزمة التي حدثت سنة (٥٩٠هـ / ١١٩٨ م) من جراء نقص مياه النيل[8]، أعيد فـرض

---

[1] عبد المقصود عبد الحميد: السياسة الداخلية للأيوبيين، ص٢٢٣ ، سلام شافعي: م أهل الذمة ، ص ١٨٢.

[2] ابن سعيد: النجوم الزاهرة، ص٣١.

[3] المزر: من الصناعات الغذائية والتي تصنع من القمح وكان أحسنها المزر الأبيض. لذلك ارتفع سعر القمح، وبالرغم من ذلك كان الإقبال أكثر على صناعة الخمور (نفس المصدر و الصفحة).

[4] النبيذ: تميل لونيا إلى الاحمرار إلى السود وهي بمنزلة الخبيص وعرفت بحلاوتها. وتعمل من القمح وهي نوعين نوع يطبخ بالقمح ويصفى ويضاف إليه الدقيق ويسمى بالبوش، وقد يطبخ بالماء وحده بالقمح حتى يتعقد من غير دقيق ويسمى بالنبذة المعقودة. وهي أغلى من الأولى (البغدادي: الإفادة والاعتبار ، ص٧٣).

[5] المقريزي: الخطط، ج٢، ص٦٧.

[6] المقريزي : السلوك ،ج١ق١ ، ص٤٥ ،حسنين ربيع: النظم المالية، ص٥٢ ، سلام شافعي: مرجع سابق ،ص١٦٧.

[7] سلام شافعي: مرجع سابق، ص١٦٧.

[8] المقريزي: الخطط ،ج١ص٣٠٣، السلوك، ج١، ق٢، ص١٦٣.

رسوم استثنائية عليها أى سمح بشربها[1]. وتبع ذلك غلاء سعر العنب وانتشرت بيوت المزر والحانات وأماكن الحشيش وفرضت عليها ضرائب ثقيلة [2].

ويتسع المزر البيوتي ليتوفر لشراه من البيوت المحمية ، وحملت أوانـي الخمـر علـى رؤوس الأشهاد فى الأسواق من غير منكر. كما أقيمت طاحونة بحارة المحمودية لطحن المزر وأفردت باسم (سلطان). كما كثرت بيوت المزاره التى فى الكبش عند الغور[3].

وفى سنة (٥٩٢هـ / ١١٩٥م) انتعشت صناعة الخمور و ذلك لاشتداد الأزمة المالية ، وحدوث هبوط لمياه النيل ، الأمر الذى أدى إلى رفع الأسعار وحدوث مرضى ، ولم يعد يوقر شهر رمضـان، يتم إعتصـار الخمور وجهر بشرائها، وغلا سعر الأعناب لكثرة اعتصارها ولاحتكار السلطان رسمها بأداء مستخدميه وبلغ رسومها سبعة عشر ألفا دينار[4].

وفى عهد الملك العادل (ت٦١٥هـ/١٢١٨م) يذكر أنه طهر جميع ولاياتـه مـن الخمـر والخواطئ. بأن أبطل فى سنة (٦١٢هـ/١٢١٥م) ضمان الخمور والقيان، مما ترك أثرا كبير علـى صناعة الخمور وتدهور إنتاجها، وما لبث أن عاد إعتصار الخمور مرة ثانية فى عهد الصالح نجم الدين أيوب سنة (٦٤٠هـ/١٢٤٢م)، حيث يذكر ابن سعيد الذى زار القاهرة فى سـنة (٦٤٠هـــ) أن العنب بها قليل لكثرة ما يعصرونه فى أرياف النيل وكان شرابه فى غاية الغلاء، حتى أن العامة كانوا يشربون المزر الأبيض المستخدم من القمح والذى ترتب عليه أيضاً زيادة سعر القمح، وفى مثل تلك الأحوال كان على الدولة أن تصدر أوامر بفرض قيود على تلك الصناعة (الخمور) فتقطـع أشـجار العنب وتكسر أوانى الخمر والمزر[5]. كما كانت تستعين بالمحتسب وصاحب الشرطة الذى يضبط تلك الأمور ذلك أثناء تولي السلطة الرافضة لتعاطي الخمر[6].

---

[1] حسنين ربيع ، النظم المالية ص٥٢.

[2] ابن اياس: بدائع الزهور في وقائع الدهور ، ج١ ، ق١ ، ص٢٥٠ .

[3] المقريزي: الخطط، ج١ ،ص٣٣٠ ، ابن اياس: مصدر سابق، ج١، ق١، ص٢٥١.

[4] المقريزي: الخطط، ج١، ص٣٠٤، السلوك، ج١، ق١، ص١٦٢.

[5] ابن سعيد : النجوم الزاهرة ، ص ٣١ ، سلام شافعي: أهل الذمة، ص١٦٨-١٦٩.

[6] أحمد ناصف: الشرطة فى مصر ، ١٦١.

ج- صناعة العسل بالقاهرة

أما عن صناعة العسل بالقاهرة فقد نذكر أن صناعة العسل كانت واسعة الإنتشار فى المناطق التى اشتهرت بزراعة القصب وفى معظم المدن والقرى والتى اشتهرت بكثرة المعاصر والمسابك، بل أن أحد أديرة النصارى وهو (دير العسل) كان به معصرة حجرية لعصر القصب والسكر وفى نفس الوقت لإنتاج العسل، ولهذا سمى بدير العسل فى القاهرة كما كان يعمل فى شبرا حيث يكثر النصارى شرابه[1]، وكان أغلب ما ينتج فى السنة من العسل خمسة قناطير عسل إلى ستة قناطير وعشرون رطلاً من الشمع وكان يسقى الميعلة النحل إذا اشتد البرد فى كل مائة خلية عشرة أرطال بالمصري[2].

د- صناعة الزيوت بالقاهرة

اشتهرت القاهرة بصناعة الزيوت، والتى كان يتم استخراجها من الكتان، والخس[3]، إلى جانب بذور الفجل واللفت والذى كان يستخدم كزيت للمصابيح يسمونه الزيت الحار، وزيت الزيتون والذى عرف برخصه، وزيت الفستق، وهو أغلى من زيت اللوز[4].

ومن بين الطرق المستخدمة فى استخراج الزيت كزيت السمسم وهى أنه يتم طحنه فى طاحونة مماثلة لطاحونة الدقيق ويتم تخفيف حبات السمسم أولاً لمدة ساعات وتجمع على شكل عجينة تسمى السيرج تدعك في أحواض بأقدام الرجال . حتى يستخرج الزيت و يصفى من خلال وعاء مسامي.وانتشرت فى القاهرة المعاصر المختلفة فيها معاصر زيت الكتان، والزيتون الذى يعد أجود

---

[1] سلام شافعي: أهل الذمة في مصر، ص٧٤.

[2] ابن مماتي: قوانين الدواوين، ص٣٥٣.

[3] الحويري: مصر فى العصور الوسطى، ص٢٣١.

[4] ناصر خسرو: سفرنامة، ص١٠٥.

أنواع الزيوت بمصر[1]، واستخدم الزيت فى الإضاءة وفى صناعة الصابون[2].

هـ- صناعة الصابون

كان للصابون مطابخ خاصة به فى القاهرة ، كما كانت مطابخ السكر تستخدم بعد خرابها كمطابخ للصابون [3]، والذى اعتمد فى صناعته على الزيت كمادة أساسية فى صناعته. وساعد على ذلك تواجد الزيوت المختلفة مثل زيت السمسم والكتان، وغيره[4].

ز- صناعة طحن الغلال بالقاهرة

من الصناعات الغذائية التى انتشرت فى القاهرة، صناعة طحن الغلال وخاصة أنه بمصر انتشرت زراعة الحبوب المتعددة منها القمح والسمسم، والفول، والعدس، والأرز. وكانت أكثر زراعة الحبوب بالصعيد[5]، وقد جرت العادة أن يتم طحن الحبوب عن طريق قطع من أعمدة الجرانيت وهى عادة مدورة يتم تحريكها عن طريق حصان أو ثور. وكانت هناك آلالات أخرى من عروق القرش، كانت تستخدم فى عملية الطحن[6]. ويسمى الرجال الذين يزاولون مهنة الطحن بالطحانين[7] .

ح- انتاج الدجاج

عرفت القاهرة بوجود معامل خاصة للفراريج، والتى كانت تنتج فراريج تمد موائد القاهرة بأسعار مناسبة [8]، وكانت تنتج تلك الطيور عن طريق معامل خاصة كالتنانير حيث يوضع البيض

---

[1] جومار : القاهرة، ص٢٥٤-٢٥٥.

[2] الحويري: مصر فى العصور الوسطى، ص٢٣١.

[3] جمال الدين الشيال: تاريخ مصر الإسلامية، ص٧٣.

[4] الحويري: مرجع سابق، ص٢٣١.

[5] المقريزي: الخطط، ج١، ص٢٩١ ، ابن إياس: بدائع الزهور، ج١، ق١، ص٤٤.

[6] العمري : مسالك الابصار ، ص١٦ - ١٧ ، جومار : مرجع سابق ، ص٢٣٣ .

[7] ابن الأخوة : معالم القربة ، ص١٥٢-١٥٣ .

[8] جومار : مرجع سابق، ص٢٥٤.

ويوقد عليه في حضانة الدجاج فيخرج منها الفراريخ دفعة واحدة، ولا يعمل ذلك إلا بمصر ويعتبر ذلك الدجاج من أجود وأطيب مأكل أهل مصر، حيث اشتهروا بالإوز البلدي[١].

القاهرة مدينة تجارية

كانت القاهرة من أكبر المدن التجارية في العصر الأيوبي. و ساعدها على ذلك موقعها بين مصر العليا ومصر السفلى مما جعلها تشرف من الشمال على بولاق ومن الجنوب على الفسطاط (مصر القديمة) وهاتان المدينتان هما ميناءي القاهرة[٢].

وقد انتعشت حركة التجارة بالقاهرة واجتاحها التجار وخاصة بعد حريق الفسطاط[٣]. حيث زادت الحوانيت المنقولة إليها من الفسطاط في العصر الأيوبي . وقد ذكر أن حوانيت القاهرة قدرت بما لا يقل عن عشرين ألف دكان . كما تحول وسط القاهرة إلى موضع يزدحم بالتجار الذين تمركزوا بها يبيعون جميع أنواع الأطعمة واللحوم وغيرها من المأكولات[٤]. و ليس أدل على ذلك من قول ابن ظهيرة عن القاهرة " أنها بلد لا تمار في أقواتها، ففيها أصناف مختلفة من القمح، الشعير، الأرز كما تتركز بها الصناعات البديعة والتجار، وسائر أصناف الخلق على إختلاف أجناسهم وأنواعهم. قاطنون بها لا يبرحونها أما المترددون عليها من التجار وغيرهم فأكثر من أن يحصروا في عصر أو زمان" [٥].

و ساعد على رواج النشاط التجاري بالقاهرة ، أنها كانت مركز الحكم والإدارة كما كان بها الجيش.وكانت مأوى لجميع الطبقات من النصارى واليهود وغيرهم. حيث أن الفقراء كانوا يلجأون إلى التمركز بها وذلك لرخص أسعارها[٦]. كما ذكر عن القاهرة وحركة التجارة والنشاطات بها أنها كانت أكثر احتراماً وحشمة من الفسطاط حيث يتوفر فيها الخانات الضخمة ، وكانت مركزاً لسكن الأمراء

---

[١] ابن اياس: نزهة الأمم في العجائب والحكم، ص٢٩ ، بدائع الزهور، ج١، ق١، ص٤٤.

[٢] أندريه ريموند: القاهرة، ص٩٢-٩٣ ، جومار: القاهرة ، ص٧٣-٧٤.

[٣] أندريه ريموند : مرجع سابق ، ص٩٣ .

[٤] ناصر خسرو : سفرنامه ، ص٨٨ ، ١٠١ .

[٥] ابن ظهيرة: الفضائل الباهرة ، ص١٨٥.

[٦] المقريزي: الخطط، ج٢، ص٦٨-٦٧.

فيها لأنها المخصصة بالسلطة لقرب قلعة الجبل وبالإضافة إلى ذلك تتواجد سوق الخيل والجمال والحمير حول القلعة ، والذي أمر الملك الكامل فيها بعمل ميدان للرميلة عند سطح القلعة(1).

لم يمنع نشاط القاهرة الداخلي من أنها كانت معروفة طوال العصور الوسطى بأنها كانت من أهم المراكز التجارية في الشرق الأدنى(2)، حيث أجمع المسافرون على أنها إلى جانب كثرة ناسها وصحة هوائها وعذب مائها إلا أنها كان يجلب إليها من السلع كل ما هو غريب من سائر الأقاليم (3). ليس ذلك فقط، بل لعبت دوراً في حركة التجارة والنقل بين الشرق والغرب(4).

فكانت يصل إلى القاهرة سلع الهند وبلاد الغرب حيث كانت السفن تفرغ حمولاتها عند ميناء الطور ، ومنها تحمل على ظهور الجمال إلى ضفة النيل ، ثم تحملها السفن إلى ميناء الفسطاط وينقل بعدها إلى القاهرة (5) ، لتتولى مهمة نقلها إلى أوربا وبخاصة تجارة الكارم ، إلى جانب ذلك كانت تأتيها سلع الغرب الآتية من المدن الإيطالية والمدن الأوربية بشكل عام ، ولولا وجود تلك المواني بمصر لما فتحت دكاكين البقالين وغيرهم بالقاهرة ، والتي تعتمد على مثل تلك البضائع(6) ، وقد انعكست حركة النشاط التجاري للقاهرة على ثراء أهلها(7).

وكان للنشاط التجاري بالقاهرة أثر في اكتظاظها بالفنادق ، والتي ارتبطت بالأسواق من الناحية التجارية برباط وثيق ، وكانت الفنادق أداة للتبادل التجاري حيث كان يتواجد بها كافة السلع الشرقية والإفريقية والغربية(8).

---

(1) ابن سعيد : النجوم الزاهرة ، ص٢٧ ، أندريه ريموند: القاهرة ، ص٩٢-٩٤.

(2) علي السيد علي: طريق القوافل من القاهرة إلى دمشق ، ص٤٥٥ .

(3) عمر بن الوردي: خريدة العجائب وفريدة الغرائب، دار الشرق، بيروت،١٩٨٩م، ص٤٤

(4) شحاته عيسى: القاهرة، ص٢١٥-٢١٦ ، أولغ فولكف: القاهرة، ص٩٦.

(5) قاسم عبده قاسم : النيل والمجتمع المصري ، ص٨٧ ، أولغ فولكف : مرجع سابق ، ص٩٦ .

(6) ناصر خسرو : سفر نامه ، ص٨٠ .

(7) أولغ فولكف: مرجع سابق ، ص٩٦.

(8) فايد عاشور: العلاقة بين البندقية والشرق الأدنى، ص١٥٣-١٥٤.

من أشهر الفنادق التي أنشئت بالقاهرة ، فندق الكارم حيث ينزل فيه الكارمية ويباع فيه تجارة التوابل وغيرها من السلع الكارمية، وكان ذلك الفندق وقفاً للأمير تقي الدين عمر ابن أخي السلطان صلاح الدين، وفندق عمارة الأجلح وهو مخصص لنزول الشاميين، وفندق ابن حرمة وهو مخصص لأمراء مصر، وفندق الحصر والذى يباع فيه الحصر، والتي كانت تجلب من الفيوم وغيرها، وفندق القصب ويباع فيه القصب، وفندق الوكالة، وفندق دار التفاح، وفندق العسل، وفندق الرقيق[1]، وفندق الصفار وغيرهم[2].

وقد كان للفنادق دور في اجتذاب الكثير من التجار القادمين لمصر و خاصة البندقية ، وجنوه، وفلورانسا وبعض سواحلي أوروبا المرافقين للبنادقة[3]، ولم تكتظ القاهرة بالفنادق فقط بل كان بها الخانات وغيرها والتي كانت مخصصة لاستقبال التجار الأجانب القادمين لمصر، وعلى الرغم من ذلك النشاط التجاري الأجانب إلا أنها جاءت في المرتبة الثالية للإسكندرية[4].

وظهرت حركة النشاط التجاري للمدينة ورواجها خير ظهور فيما يخص الأسواق بها وقد تعددت الأسواق الرئيسية في تخصصاتها ، حتى إن الباحثين قسموها إلى ثلاثة أنواع أولا : الأسواق الرئيسية :وهي التي تتسم بالمبادلات التجارية الكبيرة وتختص بالتوزيع ، وقد يتخصص بعضها في نوع معين من المنتجات الاستهلاكية ، وخاصة أن ظاهرة التخصص ظهرت بشكل كبير في العصر الأيوبي. أما النوع الثاني فهي أسواق الأحياء السكنية، وتحتوي عادة على حوانيت البقالين وأفران الخبازين وما شابه ذلك، أما النوع الثالث فهي الأسواق المختصة بالمنتجات الريفية وعادة ما تقع عند أطراف المدن[5].

---

[1] ابن دقماق: الانتصار بواسطة عقد الأمصار، ق١، ص٤٠-٤٢.

[2] ابن جبير: رحلة ابن جبير، ص١٢.

[3] على السيد على: طريق القوافل ، ص٤٥٥-٤٦٦.

[4] فايد عاشور: العلاقة بين البندقية والشرق الأدنى ، ص٢٥٣-٢٥٤.

[5] عدنان فايز: عمران القاهرة ، ص٣٢٧-٣٢٩ ، جومار : القاهرة، ص٨٢-٨٣.

ولم يمنع ذلك من تواجد أسواق دائمة أو موسمية، وهي ما نعرف بالأسـواق التقليديـة[1] . كسـو الكساء ، وسوق المغاربة[2].

وساعد انتقال سكان الفسطاط إلى القاهرة في انتقال أسواق كانت مشهورة بالفسطاط إلى القاهرة فمثال على ذلك أسواق الأقمشة والملابس والقفاق وغيرهم ، كما ظهرت أسواق جديدة بالقاهرة مثـل سوق باب الفتوح وهو خاص ببيع الخضروات والأطعمة ، ويعتبر ذلك السوق من الأسواق الجامعـة التي يقصدها الناس من مختلف البلاد للتزود باللحوم والبقر والماعز[3] ، وسوق الحوائصيين (الحواص يشد به الوسط) وسوق الشرابشيين (الشربوش: غطاء الرأس) وسوق المهامزيين (المهماز: وهي آلـة تلبس في أرجل الفارس، وسوق اللجميين المختص ببيع سروج ولجام الجنود[4].

كما وجد بالقاهرة العديد من الأسواق الأخرى: مثل سوق البزازين المختص ببيـع الأقمشـة والوراقين والذي يباع فيه الكتب، وسوق السلاح والذي يباع فيه القسي، والسهام، وسوق الكفتيين ويباع فيه قطع النحاس المكفت وسوق الحلاويين في القاهرة يباع فيه السكر والعسل والحلوى، وسوق حارة برجوان وكان من أعظم الأسواق القاهرة لوفرة الأطعمة وغيرها[5].

أما الأسعار في أسواق القاهرة فعرفت أن أسعار الفسطاط أرخص من أسعار القاهرة[6] ، وكان يتم التعامل بالدراهم في الأسواق إلى جانب الفلوس التي أبطلها الكامل واستبدلها بالـدرهم ، والتـي عرفت بالدراهم الكاملية[7].

---

[1] السيد أحمد حامد : الأسواق التقليدية كوسيلة للاتصال (مجلة عالم الفكر ، مج ١٨ ، العدد الأول ابريل ، ١٩٨٧م) ص١٣٥ .

[2] جومار : القاهرة ، ص٨٢-٨٣ .

[3] عدنان فايز: عمرن القاهرة ، ص٣٣٦-٣٣٧ ، محاسن الوقاد: الطبقات الشعبية، ص٣٣-٣٤.

[4] المقريزي: الخطط، ج٢ ، ص٥٨٤، ص٥٩٠.

[5] نفس المصدر، ج٢، ص٥٨١-٥٨٥ ، عدنان محمد فايز: مرجع سابق، ص٣٣٠-٣٣٦.

[6] المقريزي: مصدر سابق ، ج ٢ ، ص٦٧.

[7] ابن سعيد: النجوم الزاهرة، ص٢٨.

ويختص بالإشراف على حركة الأسواق بالقاهرة المحتسب والذي عني بضبطها ومنع الغش في المكاييل والموازين والمأكولات والصناعات وغيرها[١].

أما وسيلة المواصلات في الأسواق فكانت متمثلة في الحمر المسرجة حيث كان في كل حي على رأس الشوارع حمر كثيرة عليها براذع مزينة، يركبها من يريد نظير أجر زهيد وقيل أنه كان يوجد خمسون ألف بهيمة مسرجة تزين كل يوم وتكرى[٢].

مدينة الفُسْطَاط

عرفت الفسطاط بمصر[٣] ، كما عرفت بأنها في غاية العمارة والخصب والطيبة حيث جمعت المدينة بين الصناعة والتجارة ، وليس أدل على ذلك من كثرة محالها[٤]. واكتظاظها بالسكان[٥].

ولكن في سنة (٥٦٤هـ/١١٦٨م) ، تعرضت المدينة للحرق على يد الوزير شاور[٦] حيث أخليت المدينة وحمل إليها شاور عشرين ألف قارورة نفط وعشرة آلاف مشعل[٧]، وأضرم فيها النار واستمر الحريق بضعاً وخمسين يوماً حتى احترقت أكثر مساكنها، وأوى أهالي المدينة إلى القاهرة حيث أقام عدد كبير منهم في المساجد والحمامات والشوارع[٨]، وما لبث السلطان صلاح الدين الأيوبي سنة (٥٧٢هـ/١١٧٦م) أن قام بإعادة البناء في مدينة الفسطاط وأمر ببناء سور يحيط بكل من الفسطاط والقاهرة[٩].

---

[١] الشيزري : نهاية الرتبة ، ص١٠ – ١٨ .

[٢] ناصر خسرو : سفرنامه ، ص١٠٥ .

[٣] الادريسي : نزهة المشتاق ، ص٣٢٢-٣٢٤ .

[٤] ناصر خسر : مصدر سابق ، ص١٠١ ، الاصطخري : المسالك والممالك، ص٣٩.

[٥] الادريسي : مصدر سابق ، ص٣٢٤ .

[٦] القلقشندي : صبح الاعشى ، ج٣ ، ص٣٥٠ ، المقريزي : الخطط ، ج١ ، ص٧٨٩ .

[٧] جومار : القاهرة ، ص٢٩.

[٨] المقريزي: مصدر سابق ، ج١، ص٧٨٩ ، أولنج فولكف: القاهرة، ص٢٩.

[٩] القزويني: آثار البلاد وأخبار العباد، ص٢٣٦-٢٣٧.

كما أقنع صلاح الدين الأيوبي بالعودة إلى ديارهم بالفسطاط مع إعادته لبناء المدينة حتى نمت عملية البناء بشكل فعلي في تلك الفترة حتى أن ابن جبير لما زارها بعد ذلك بخمس سنوات وجد أن أغلب المدينة كانت قد تجددت وقت زيارته حيث نشطت فيها بذلك الحركة التجارية والحركة الصناعية بإقامة المصانع بها، وكان لمجاورتها سنة (٦٤٤هـ/١٢٤٦م) لجزيرة الصالحية أثر في نموها وانتقال الخدمة إليها[١].

وعلى الرغم من نقل السكان في العصر الأيوبي إلى القاهرة إلا أن الفسطاط ظلت الأكثر اكتظاظاً بالسكان حيث عاد إلى الإقامة فيها بعض الناس وعوامهم[٢]. وقد استفادت الفسطاط من الرخاء والازدهار التي وصلت إليه مدينة القاهرة، فقد عرفت بمصانعها المختلفة وبأسواقها التي تزدحم بالحركة والنشاط[٣].

صناعة السفن

عرفت الفسطاط بصناعة السفن حيث كان بها دار لصناعة السفن كانت واحدة من ثلاث دور بالقاهرة[٤]. وقد اختصت دار الصناعة بالفسطاط بصناعة نوع معين من السفن يسمى الشواني[٥]، وهي جمع شيني أو شاني والشينية وهي من السفن أو المراكب الحربية الضخمة والتي تزود بالقلاع والأبراج من

---

[١] جومار: القاهرة، ص٣٠.

[٢] نفس المرجع والصفحة.

[٣] أندريه ريموند: القاهرة، ص٧٠، أولج فولكف: القاهرة، ص٩١.

[٤] أولها صناعة الجزيرة بالروضة. وقد أنشئت سنة (٥٤هـ / ١١٧٣م) والتي لما ولى السلطان نجم الدين أيوب أنشأ بها قلعة الروضة. وثانيها صناعة المقس، وهي من منشآت المعز لدين الله الفاطمي (٣٦٢هـ / ٩٧٢م) واستمرت في عملها حتى بداية العصر الأيوبي (المقريزي: السلوك، ج١، ق١ ص٦٧، أحمد مختار العبادي، السيد عبد العزيز سالم: تاريخ البحرية الإسلامية في مصر والشام، دار النهضة، بيروت، ١٩٨٠م، ص ٢٢١-٢٢٢)

[٥] العبادي، السيد سالم: مرجع سابق، ص٢١٨-٢٢٠.

أجل الدفاع والهجوم كما تحمل أهراء القمح، وصهاريج لتخزين الماء العذب[1]. وتسير الشيني بمائة وأربعين مجدافاً ، كانت تحمل من القادة مائة وخمسين جندياً وتعرف الشواني أيضاً بالأغربة [2].

وقد اهتم سلاطين الأيوبيين وعلى رأسهم صلاح الدين بصناعة السفن وإنشائها وخاصة بعد حريق شاور للفسطاط بما فيها دار الصناعة[3]. لذلك أنشأ لها ديواناً خاصاً عرف بديوان الأسطول أو ديوان العمائر أو ديوان الجهاد، وعين عليه أخاه العادل وأصدر مرسوماً بمنع الأهالي من التعامل مع البلاد المسيحية فى المواد الحربية. وصارت البحرية على أتم الإستعداد سنة (٥٧٥هـ/١١٧٩م) [4]، حتى صارت تحتوى على ثمانين سفينة ومنها ستين شينياً وعشرين طرادة[5].

واعتمدت موارد الإنفاق على دور صناعة السفن على ما خصصه صلاح الدين من موارد الفيوم، وناحية سفط، ونهيا، ووسيم، والبساتين خارج القاهرة فضلاً عن حجرة(حصيلة) النطرون [6] ،كل تلك الموارد قد خصصت لصناعة السفن في مدن مصر ومن ضمنها مدينة الفسطاط .

ولعبت دور الصناعة بالفسطاط دوراً فى صناعة السفن التي نقلت الجنود والأمراء إلى اليمن فى عهد صلاح الدين، بل أمدتها أيضاً بالمراكب والسفن التي كانت تنتقل إلى الإسكندرية ، دمياط

---

[1] ابن الفرات: تاريخ ابن الفرات، م٤، ج١، ص٨٣ ، أحمد عبد الرازق: الحضارة الإسلامية ، ص٢١٥-٢١٦.

[2] أحمد عبد الرازق: مرجع سابق ، ص٢١٥-٢١٦.

[3] قايد عاشور: العلاقة بين البندقية والشرق الأدنى، ص٢٣٦.

[4] النويري: نهاية الأرب في فنون الأدب، ج٦ ، ص٣١٢، نظير حسان سعداوي: التاريخ الحربي المصري فى عهد صلاح الدين، مكتبة النهضة المصرية،القاهرة ، ١٩٥٧م، ص٢٥ ، عاشور ، الرافعي : مصر في العصور الوسطى ، ص٤١٥- ٤١٨

[5] الطرادة : هي سفن سريعة تحمل الخيل . (ابن الفرات: مصدر سابق ، ص٨٣).

[6] وبلغت تلك الموارد التي كانت تنفق على صناعة السفن والاسطول في السنة الواحدة ما يقدر بثمانية الاف دينار ولم يمسس صلاح الدين تلك موارد بل أضاف اليها من موارد ديوان الزكاة وبلغت قمة الاهتمام بصناعة السفن سنة (٥٧٥هـ /١١٧٩م) ، وقسم صلاح الدين الاسطول قسمين : قسم لحماية الشواطئ المصرية ، وقسم لمهاجمة الصليبيين . وقل الاهتمام بالاسطول عقب وفاة صلاح الدين حتى عهد الصالح نجم الدين ايوب والذي اوصى ابنه تورانشاه بالاهتمام بالاسطول أحد جناحي الاسلام (نفس المصدر والصفحة،عاشور ،الرافعي:مرجع سابق ، ص٤١٥-٤١٨) .

حيث تمر هناك لجهاد الصليبيين ببلاد الشام، كما شاركت دار صناعة السفن في الفسطاط بإمداد السلطان الكامل ومن بعده الصالح نجم الدين أيوب بالمراكب والسفن التي لعبت دوراً في صد الغزوات الصليبية على دمياط في حملتي جان دي برين ولويس التاسع ملك فرنسا على دمياط[1].

وتنوعت صناعة السفن بدار الفسطاط، فمنها المراكب النيلية التي كانت تسير في النيل و تحمل الحاصلات بين الوجهين البحري والقبلي[2]، حيث ذكر أن بنيامين التطيلي رأى المراكب ستة وثلاثين ألف للسلطان والرعية فتمر السفن صاعدة إلى الصعيد و منحدرة إلى الإسكندرية ودمياط بأنواع الخيرات والمرافق على ضفة النيل في الموضع المعروف بالروضة[3] ولم تقتصر دور الصناعة بالفسطاط على السفن النيلية فقط، بل صنعت سفن خاصة بالبحرين البحر الأحمر، والبحر المتوسط [4].

أما سفن البحر الأحمر فإنها لا تصنع من المسامير بل كانت تخاط ألواحها بحبال القنبار وهو يتخذ من قشر النارجيل أو جوز الهند، وتثبت بدسر أي مسامير خشبية من عيدان النخيل ثم تسقى بالسمن أو بدهن الخروع أو بدهن القرش، بهدف تليين عودها لكثرة الشعب المرجانية في هذا البحر[5]. كما كانت تغلف أيضاً بدقيق اللبان وبدهن كلاب البحر[6]. وعرفت تلك السفن بطبقة واحدة ودفة واحدة وحيدة[7] وعادة كانت تلك السفن تجلب من الهند واليمن[8]. وكان لهذه المراكب لهم آلات متخذه بحكمة والرباني يبصر ما لاح أمامه من الترووش (الصخور أو الشعب المرجانية) التي كانت تحت الماء

---

(1) العبادي، وعبد العزيز سالم: تاريخ البحرية في مصر والشام، ص٢٣.

(2) حسن إبراهيم حسن، علي إبراهيم حسن: النظم الإسلامية، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، ١٩٣٩، ص٢٥٠.

(3) نقولا يوسف: الرحالة العرب ، دار الهلال، ١٩٥١، ص٣١.

(4) سليم الخازن: الحضارة الإسلامية، دار المشرق ، بيروت، ١٩٩٢(د، ص٩٣.

(5) ابن جبير: الرحلة، ص٤٧.

(6) الإدريسي: نزهة المشتاق ، ص١٣٧.

(7) سليم الخازن: مرجع سابق ، ص٩٣.

(8) ابن جبير: مصدر سابق ، ص٤٧.

متخفية للغرق وفى هذا البحر يأوون (السفن والمراكب) فى كل ليلة إلى مواضع يسكنون فيها خوفاً من سوء أحوال البحر ومعاطبه ، ينزلون بها ليلاً ويقلعون عنها نهاراً[1].

أما سفن البحر الأبيض المتوسط فعرفت بأنها ذات دفتين وطبقتين وتصنع من المسامير، وعرفت بكبرها حيث يحمل عليها آلاف الرجال، كما تحمل من الحوانيت والمصانع (أى المتاجر) ما كان يثير الدهشة[2].

لم تكن الحكومة هى فقط التى تمتلك حق تصنيع السفن بل كان هناك صناعات غير حكومية خاصة بصناعة السفن، حيث قام الأهالي بتلك الصناعة وخاصة في المواني الواقعة على نهر النيل، ومنها مدينة الفسطاط حيث كانوا يستخدمونها في حركة التنقل النهري[3] .

كما امتلك كبار التجار السفن التجارية والذين كان لهم دور في انتعاش تلك الصناعة خلال العصر الأيوبي[4] ، وقد اهتمت الدولة بتلك الصناعة سواء في مدينة الفسطاط أو في غيرها من المواني ، فكان المحتسب المعين من جهتها يقوم بضبط أعمال أرباب السفن . فكان يمنع أرباب السفن من حمل ما لا تسعه السفن خوفاً على غرقها ، وكذلك يمنعهم من السير عند اشتداد الريح ، وإذا حمل فيها الرجال والنساء حجز بينهم بحائل ، وإذا اتسعت السفن نصب للنساء مخارج للتبول لئلا يتبرجن عند الحاجة[5] .

كما حرصت الدولة على توفير الأخشاب لبناء وصناعة السفن فكان هناك الأخشاب المحلية والتى حرصت الدولة على العناية بها والزيادة من إنتاجها، و كانت هناك أيضاً الأخشاب المستوردة[6].

أما ما يخص الأخشاب المحلية فكانت بضواحي القاهرة كالمطرية وما حولها كأشجار السنط ، كما عرفت تلك المدينة بإنتاجها لخشب الأبنوس الأبلق ، وعرفت مدينة قليوب أيضاً بإنتاجها من خشب

---

[1] الإدريسي: نزهة المشتاق ، ص١٣٧، أحمد المختار العبادي ، السيد سالم : تاريخ البحرية،ص٢٥٥،٢٥٤.

[2] أحمد عبد الرازق: الحضارة الإسلامية، ص٢١٤ ، وليم الخازن: الحضارة الإسلامية، ص٩٣.

[3] أحمد المختار العبادي ، السيد سالم : مرجع سابق ، ٢١٦ .

[4] فايد عاشور : العلاقة بين البندقية والشرق الأدنى ، ص٢٣٦ .

[5] ابن الفرات : تاريخ ابن فرات ، م٤ ،ج١ ، ص٢٤٩ .

[6] العبادي، السيد سالم، مرجع سابق، ص٢٠٨-٢٠٩.

السنط والتي كانت أكثر المدن احتفاظاً به، كما كان ينتج بمصر والقاهرة والجيزة[1]، وكان لحرص الدولة على توافر الأخشاب أن قامت بتشديد العقوبة على من يقطعه أو يسرقه، حتى إنه في أواخر العصر الأيوبي زاد العامة من قطعه[2] حيث كانوا يقطعونه لاستخدام أخشابه في عمل السواقي والآلات والمعاصر وغيرها، حيث كان البعض يأخذ خشبه الخاص ويقوم ببيعه بأموال كثيرة، وفي سبيل ذلك كان البعض يدفع رشوة لتسهيل أعمالهم التخريبية حتى قل السنط في بعض المناطق، ولم يمنع ذلك من تواجده في مناطق أخرى مثل الأشمونين والبهنسا وأخميم، وقوص، والتي خصصت الدولة حراسا لها للعناية به، وكانت تلك الأخشاب تستخدم في صناعة السفن والمراكب[3] إلى جانب أخشاب النخيل[4].

وفوق ذلك كانت تستورد من الخشب اللازم لأساطيلها من أوروبا ولا سيما البندقية حيث كان يرد إلى مصر من المدن الإيطالية أخشاب الأرز والصنوبر، والحديد، والقطران، وغير ذلك من المواد اللازمة لصناعة السفن، وفي بعض الأحيان تحت ضغط الحروب الصليبية كانت تمتنع تلك الدول عن إمداد مصر بالأخشاب اللازمة لها، ولكن سرعان ما تعود تصدرها لمصر حيث تصل إلى الإسكندرية ومنها إلى الفسطاط[5]، كما استوردت مصر الأخشاب من آسيا الصغرى، سوريا، لبنان، واشتهرت الهند بخشبها، والساج، والسودان والحبشة بالأبنوس[6] والصنوبر من البلقان وبلاد الشام، وغيره من الأخشاب التي كانت تصدر إلى مصر[7].

---

(1) النابلسي: لمع القوانين المضية، ص٤٩، ابن ظهيرة: الفضائل الباهرة، ص٣٣.

(2) أحمد عبد الرازق: البذل والبرطلة زمن سلاطين المماليك، الهيئة المصرية العامة، القاهرة، ١٩٧٩م، ص١٩.

(3) العبادي، السيد سالم: البحرية الإسلامية، ص٢١٥، عبد المنعم ماجد: الحضارة الإسلامية، ص٢١٥.

(4) ابن إياس: بدائع الزهور، ج١، ق١، ص٢٤٢.

(5) العبادي، السيد سالم: مرجع سابق، ص٢١٥، وليم الخازن: الحضارة الإسلامية، ص٧٥.

(6) جمال الدين الشيال: تاريخ مصر الإسلامية، ص٧٥.

(7) العبادي، السيد سالم: مرجع سابق، ص٢٠٨-٢٠٩.

وقد تعددت السفن التي تنتجها مدينة الفسطاط فكان منها الشواني، و الحراريق ، والطرائد[1] والبطون[2]، والمسطحات[3]، و الشلنديات[4]، والحمالة[5]، المركوش[6]، الأغربة[7]، المرمات[8]، وما يسمى بالعشيري[9].

---

[1] أحمد عبد الرازق: الحضارة الإسلامية ، ص٢١٥.

[2] البطون: جمع بطسه أو بطشة : وهي عبارة عن مراكب كبيرة الحجم تشتمل على عدة طبقات وتتسع بما يقرب من سبعمائة مقاتل ولها أكثر من أربعين شراعا(نفس المرجع والصفحة).

[3] المسطحات: جمع مسطح: وهي نوع من السفن الحربية الكبيرة، وعرفت بهذا الإسم لأنها كانت مسطحة من أعلى ليقاتل الغزاة على ظهرها بينما يجدف المجدفون تحتهم وكانت تعرف في الأندلس بالمراكب الحمالة (نفس المرجع و الصفحة))

[4] الشلنديات: جمع شلندي: وهي مراكب كبيرة الحجم شديدة الاتساع، مسقفة تقاتل الغزاة . وعلى ظهرها جدافون يجدفون تحتهم ومن أعلاها يقاتل الجنود الغزاة كما هو الحال في المسطحات التي كانت تستخدم في نقل المؤن والغزاة والأسلحة (ابن مماتي: قوانين الدواوين ، ص٣٣٩-٣٤٠ ، أحمد عبد الرازق: مرجع سابق، ص٢١٥).

[5] الحمالة: كانت تستخدم في حمل الغلة (ابن مماتي: مصدر سابق، ص٣٤٠).

[6] المركوش: هي صغيرة الحجم تنقل الماء لخفتها تدخل على المواضع، تسع لوزن مائة أردب، عرفت أيضاً بالبراكس أو البراكيش، وتحمل الخبز والماء، تتسع لحوالي خمسة وعشرين رجلاً (نفس المصدر و الصفحة).

[7] الأغربة: جمع غراب: وهي مراكب طوال كانت تمتاز أيضاً بسرعتها وعرفت بهذا الإسم بسبب مقدمة هيكلها التي كانت تشبه رأس الغراب (أحمد عبد الرازق: الحضارة الإسلامية ، ص٢١٥-٢١٦) .

[8] المرمات: جمع مرمة: وهي نوع من السفن الحربية الكبيرة في العصور الوسطى، ويظهر أنها من أصل إيطالي وهي Maremma وهي اسم ناحية بإيطاليا(ابن واصل : مفرج الكروب في أخبار بني أيوب ، دار القلم، القاهرة، ١٩٦٠ ، ص ٣٢، ج٣ ، حاشية [١])

[9] العشيري: هي سفينة على شكل شبارة تتميز باتساعها وطولها وعرفت بأنها أحسن هنداما ، وسطحها من الخشب المتين المحكم ويوجد فيه طاقات وأبواب من جميع جهاتها إلى البحر ، ويجلس بها الملوك والرؤساء على وسائدهم ويحوطهم خواصهم وغلمانهم فيحملون السيوف.ويتواجد بها الأطعمة، وحجرات مخصصة لكل فرد من قوادها وعرفت بتحركها إلى ضد الجهة التي إليها الملاح أي في اتجاه مضاد .(عبد اللطيف البغدادي: الإفادة والاعتبار، ص٧٣) .

صناعة المنسوجات

اشتهرت مدينة الفسطاط بأنها من أكبر المراكز في صناعة النسيج[1]. ومن المنسوجات التي كانت تصنع بالفسطاط العديد من المنسوجات الصوفية والقطنية والكتانية والحريرية[2]، وقد استعادت هذه الصناعة نشاطها عقب حريق شاور للمدينة حتى نقل الصناع الإقامة بجانب صناعتهم بالفسطاط[3]، وقد اعتمدت صناعة المنسوجات بالمدينة على معدن الشب لصناعة منسوجاتهم[4].

وقد أحرزت الفسطاط شهرة عالمية في صناعة المنسوجات وخاصة في غرب أوروبا حيث عرفت بإنتاج قماش[5] الفستيان fastian[6] الذي نسب إلى الفسطاط[7]. كما عرف عنها بإنتاج سائر ما يعمل من الملابس السلطانية[8].

صناعة الخزف

ازدهرت صناعة الخزف بالفسطاط، وبلغت ذروة الازدهار في العصر الفاطمي، حيث عرفت بخزفها ذي البريق المعدني، والذى قلده الفنانون بالفسطاط، وأشار ناصر خسرو إلى صناعة

---

[1] سلام شافعي: أهل الذمة فى مصر، ص١٥٦.

[2] عبد الرحمن زكى: الفسطاط ، ص٩٦.

[3] اولج فولكف : القاهرة ، ص٩١ ، عبد الرحمن زكي : مرجع سابق ، ص٩٦ .

[4] كان معدن الشب يدخل فى أشياء كثيرة من أهمها الأصباغ وكان يتم استخراجه من محاجر بالصعيد بالقرب من قوص وساحل أسيوط. وكان الديوان يحتكر ذلك المعدن ويقوم ببيعه بنفسه للصباغين واللبوديين بمصر حوالي ثمانون قنطاراً في السنة ولا يتاجر فيه أحد غير الديوان، وإذا ضبط أي تاجر يتاجر فيه صودر هذا المعدن منه. (نعمان الطيب : منهج صلاح الدين ، ص ٤١٦) .

[5] عاشور: الأيوبيون والمماليك، ص١٥٠ ، الحويري: مصر فى العصور الوسطى، ص٢٣١.

[6] الفستيان أو فساتون fasation هى كلمة باليونانية و اللاتينية معناها المحاط بالخندق وكانت تلك المنطقة باليونان تقع على ساحل النيل (بارتولد: تاريخ الحضارة الإسلامية، ترجمة حمزة طاهر ، دار المعارف ، القاهرة ، ١٩٨٣م ، ص٦٦ .

[7] عاشور: مرجع سابق ، ص١٥٠.

[8] نقولا يوسف: الرحالة العرب ، ص١١٥.

الخزف في الفسطاط ، وخاصة الخزف الشفاف، حيث يذكر أن المصريين كانوا يصنعون أنواع الخزف المختلفة وأن الخزف المصري كان رقيقاً شفافاً حتى لقد كان ميسوراً أن ترى من باطن إناء الخزف اليد الموضوعة خلفه[1].

ولعل أهم الأنواع الخزفية في العصر الأيوبي النوع ذو الزخارف المنقوشة تحت دهان شفاف باللون الأزرق أو الأخضر[2]، وقد اهتم المصريون بصناعة الخزف ذي البريق المعدني ليكون بديلاً عن الأواني الذهبية، ومما هو جدير بالذكر أن الخزف ذي البريق المعدني قد قل انتشاره منذ نهاية ق ((٦هـ/١٢م))، وخاصة عقب حريق الفسطاط[3].

وعرف الخزف الأيوبي بدقة صنعته وجمال ألوانه الخضراء، وقد ظل الخزافون طوال العصر الأيوبي يقلدون خزف الصين[4]، ولم يكن ذلك تقليداً أعمى في النقوش والرسوم فقط ، وإنما نقلوا عنهم النقوش، واقتبسوا من رسومها وزادوا عليها، وأنتجوا خزفاً لا يقل جودة ولا جمالاً عن الخزف الصيني الذي ربما كان الطلب عليه سائداً في تلك الفترة بين طوائف المجتمع. وقد عثر في حفائر الفسطاط على قطع كثيرة من الخزف الصيني[5]؛ ومن أمثلة المصنوعات الخزفية :القدور، والصحون، والمواعين وغيرها[6].

الصناعات الخشبية

عرفت الفسطاط بالصناعات الخشبية إلى جانب صناعة السفن والمراكب، والتي سبق ذكرها. فاشتهرت المدينة بصناعة أثاث البيوت ، وآلات الفلاحة إلى جانب الطواحين، والمعاصر، والأنوال، والمغازل وغيرها من الآلات التي يستخدمونها في الصناعة، إلى جانب ذلك برع الصناع في عمل السقوف والأبواب والشبابيك و القباب ،

---

(1) ناصر خسرو: سفرنامة ص١١٥.

(2) عبد الرحمن زكي: الفسطاط ص٩٦.

(3) محمد عبد العزيز: الفن الإسلامي، ص١١٥ ، الحويري: مصر في العصور الوسطى، ص٧٧.

(4) الحويري: مرجع سابق، ص٢٣٢.

(5) الشيال: مصر الإسلامية، ص٧٧.

(6) محمد عبد العزيز: مرجع سابق ، ص١١٥.

وتفننوا فى صناعة الأثاث الفاخر والتحف الخشبية[1]، وعرفت الفسطاط بأسواقها الخشبية[2] حيث عثر على مجموعة أبواب من ق (٧هـ /١٣م) ، مطعمة بالعاج والأبنوس، وخاصة باب مطعم بالعاج المنقوش بعناية فائقة و أصلة من الكنيسة المعلقة فى مدينة الفسطاط[3].

صناعة الزجاج

عرفت مدينة الفسطاط بالانتاج من الزجاج[4] ، والذي انتعشت صناعته في العصر الفاطمي[5] وبلغ ذروة صناعته في العصر الايوبي[6] ، وتنوعت المصنوعات الزجاجية منها القدور ، والكؤوس ، والمشكاوات ، والقوارير ، والزهريات[7] وعرفت الفسطاط بالزجاج الشفاف الذي يشبه الزمرد وراجت تجارته وبيعت بأثمان التحف[8] .

وكان الصناع يشكلون الزجاج بصبه في قالبين الواحد بعد الآخر، وكانت القوالب عبارة عن قطعتين من الفخار أو المعدن أو الخشب ، وقد استعمل في تشكيله النفخ أو الضغط أو الخيوط الرفيعة، وعرف الزجاج بزخارفه المقطوعة والمضغوطة والتى عرفت بنوعيها[9].

---

[1] حسنين ربيع: النظم المالية، ص١٠٣.

[2] محاسن الوقاد: الطبقات الشعبية ، ص٣٠.

[3] سلام شافعي: أهل الذمة فى مصر، ص١٥٦.

[4] محمد جمال سرور : مصر في عصر الدولة الفاطمية ، مكتبة النهضة المصرية ، القاهرة ، ١٩٦٩ ، ص٢٠٠ .

[5] ناصر خسرو : سفرنامه ، ص١٠٥ .

[6] أبو صالح الألفي : الفن الإسلامي، ص٢٧٣ ، العويري : مصر في العصور الوسطى ، ص٢٣٢ .

[7] سعيد مغاوري : النشاط التجاري بين بلدان العالم العربي (بحث ضمن ندوة التجارة العاملية ، منشورات اتحاد المؤرخين العرب ، القاهرة ، ٢٠٠٠م) ص٨٤٥-٨٤٦.

[8] علي ابراهيم حسن : مصر في العصور الوسطى إلى الفتح العثماني ، مكتبة النهضة المصرية ، القاهرة ، ١٩٤٩ ، ص٤٤٨ .

[9] سعيد مغاوري : مرجع سابق ، ص٨٤٥ .

صناعة الذهب والفضة والحلي

ومن الصناعات الذهبية والفضية والحلي والتي كانت الفسطاط تقوم بصناعتها، الأساور، والقلائد والأقراط ، سواء كانت من الذهب أو الفضة. وقد عرفت تلك الصناعات بزخارفها المتنوعة وكتاباتها الكوفية[1]، ومنها قرص صغير مستدير من الذهب محفوظ فى متحف الفن الإسلاميه كتابه فى الوسط بالخط الكوفي بزخرفة مكتوبة عليها فى منتصفها "والله خير حافظاً" وبالقسمين الأعلى والأدنى زخرفة حمراء محددة بالذهب على أرضيته الخضراء[2].

سك العملة

كانت توجد دار لسك العملة فى العصر الفاطمى [3]، و يبدو أن هذة الدار أهملت ، أو لم يتم سك العملة بها فى بداية العصر الأيوبى ، و فى عصر الملك الكامل أنشأ داراً جديدة للضرب بالفسطاط[4]، ويبدوا أنه قد قام بتجديد دار الفسطاط الفاطمية والتى أقتصر عملها على ضرب الدنانير التذكارية [5] .

صناعة البللور الصخري

اشتهرت مدينة الفسطاط بصناعة البللور الصخري ، وعرف ما كان يصنع بالفسطاط بأنه أجل مما كان يجلب من المغرب لشفافيته ، ويعد من الصناعات التي امتدت من العصر الفاطمي إلى العصر الأيوبي حيث كانت تصنع و تباع منتجات البللور الصخري بسوق القناديل بالفسطاط[6] .

---

(1) الشيال: مصر الإسلامية، ص٧٦.

(2) عبد الرحمن زكي: الفسطاط، ص٩٦.

(3) ابن بعرة : كشف الاسرار العلمية ، ص٣٢ .

(4) ابن مماتي : قوانين الدواوين ، ص٣٣١ ، ابن بعرة : مصدر سابق ، ٢٩- ٣٠ .

(5) حسنين ربيع : النظم المالية ، ص ١٠٣

(6) الشيال : مرجع سابق ، ص٧٥ .

الصناعات الفخارية

عرفت الفسطاط بصناعة الفخار غير المدهون، حيث كان يصنع به الأواني الشعبية، وخاصة القلل التي لم تكن تغطي بالدهان إلا في القرن، وعرفت القلل بشبابيكها التي كانت ميداناً طيباً للزخارف الهندسية، والرسوم الهندسية، والحيوانية وقد عثر بحفائر الفسطاط على قطع من شبابيك القلل(١).

الصناعات الجلدية

اشتهرت مدينة الفسطاط بالمصنوعات الجلدية مثل النعال ، والأحذية ، والخفاف(٢)، والانطاع المستحسنة(٣) . وخير دليل على ازدهار تلك الصناعة بالفسطاط ما عرف عنها بوجود سوق الأخفافيين حيث تباع فيها الخفاف، و الأحذية والنعال . ويحتفظ متحف الفن الإسلامي بالقاهرة بنموذج من تلك الأحذية التي صنعت بالفسطاط(٤).

الصناعات الحديدية و النحاسية

عرف الصناع المصريون ببراعتهم الفائقة في صناعة المعادن وسبكها وزخرفتها فاستطاعوا حذق الصناعة وفنونها، وقد عرفت الفسطاط بصناعة الحديد المستورد من أوروبا وصقلية وشمال أفريقيا، حيث كان بها حي يسمى "المناخ السعيد" ذلك الحي الصناعي الكبير والذى كان يسكنه جالية كبيرة من الأجانب، واشتهرت بإنتاج الصناعات الحديدية وآلات الأساطيل المعمولة بيد الفرنج والقاطنين فيها، واستمر ذلك الحي مركزاً لكثير من الصناعات الحديدية حتى أواخر العصر الفاطمي وبداية العصر الأيوبي(٥).

---

(١) الشيال: مصر الإسلامية ، ص٧٧.

(٢) سعيد مغاوري: النشاط التجاري بين بلدان العالم العربي، ص٨٤٥.

(٣) الأنطاع المستحسنة : جمع نطع وهي البسط من الجلد (ابن سعيد : النجوم الزاهرة ، ص ٦٨ ، حاشية [1]) .

(٤) سعيد مغاوري: مرجع سابق، ص٨٤٥.

(٥) سلام شافعي: أهل الذمة في مصر، ص١٦٠.

وعثر على صناعات مكفتة بالفضة ومن أمثال ذلك شمعدان عنق : شكل تنين مكفت بالفضة به خمسة عشر مفرساً وجد بإحدى كنائس الفسطاط (كنيسة مارمينا) ويرجعه إلى القرن (٧هـ/١٣م)[1].

الصناعات العاجية

كانت لصناعة العاج بالفسطاط شأن كبير في العصر الإسلامي، وهي من الصناعات القديمة بها. وقد عثر في حفائر الفسطاط على قطع مصنوعة من العاج ، وعليها زخارف مختلفة، وقد استعمل العاج في حشو الخشب وتجميله، ومن القطع التي عثر عليها في الفسطاط قطعة من العاج عليها رسم لسيدة في هون ، وجندي في يده رمح وقوس، وعساكر على ظهور جيادهم في دار الآثار العربية بالقاهرة[2]، كما عثر على عدة لوحات من الأشكال المختلفة من العاج ولمعظم تزينها موضوعات آدمية ترجع للقرن

(٦هـ / ١٢ م) مثال ذلك قطعة لغزال على أرضيته التفريعات النباتية والتي تدل على حسن دقة صنعها[3].

صناعة الورق

عرفت الفسطاط بصناعة الورق[4]، حيث يذكر المقريزي أن بها مدابغ مخصوصة لصناعة الورق المنصوري[5]، وانتشر بها الوراقون الذين لم يقتصر عملهم على صناعة الورق فقط بل قاموا بالتجارة فيه إلى جانب قيامهم بعملية النسخ وتجليد الكتب[6] ويذكر أنه كان يستخدم في صناعة الورق الكتان المضروب بالقطن،حيث يذكر عبد اللطيف البغدادي (ت ٦٢٩هـ/ ١٢٣١م) والذي مكث

---

(1) سلام شافعي: أهل الذمة في مصر، ص١٩٠.

(2) الشيال: مصر الإسلامية ، ص٧٥.

(3) عبد الرحمن زكي: الفسطاط، ص٩٦.

(4) ابن سعيد : النجوم الزاهرة ، ص٦٨ .

(5) المقريزي: الخطط ، ج٢ ، ص٦٨.

(6) الشيال: مرجع سابق ، ص٧٨.

بمصر بين أعوام (٥٨٩ – ٦٠٢هـ) : أن الناس كانوا ينبشون بين المقابر عن الأكفان القديمة من القنب وكانوا يبيعونها إلى مصانع الورق [١].

صناعة الصابون

عرفت الفسطاط بصناعة الصابون حيث تتواجد بها مطابخ خاصة [٢] لصناعة الصابون حيث كانت الزيوت تأتيها من مدينة تقليبب ، وخاصة الزيت الحار والذى كان يتم استخدامه فى صناعة الصابون [٣].

صناعة الحصر

عثر بالحفريات التى وجدت فى مدينة الفسطاط ما يوضح أنها كانت تقوم بإنتاج الأبسطة [٤]، وعرفت بصناعة الحصر حتى قيل أنها كانت تضم سنة (٥٩٧هـ/ ١٢٠٠م) بها تسعمائة منسج للحصر ، ولكن بعد حدوث أزمة سنة (٥٩٧ هـ / ١٢٠٠ م)، بقى بها خمسة عشر منسجاً [٥].

صناعة السكر

عرفت الفسطاط بصناعة السكر، حيث كانت من أكبر مراكز صناعة السكر ويرجع ذلك لكثرة ما بالفسطاط من المسابك والمطابخ السلطانية [٦]، حيث يذكر المقريزي أن بالفسطاط ما يقارب نحو ست وستين مطبخاً [٧]. ويؤكد ذلك ما ذكره ابن دقماق أنه كان بالفسطاط ثماني وخمسون مطبخاً عدا المطابخ السلطانية، وكان فى عهده سبعة على صف واحد منها مطبخ للدولة ومطابخ للخاص

---

[١] عبد اللطيف البغدادي : الإفادة والاعتبار ، ص١٠٨ ، صفي محمد عبد الله : مدن مصر ، ص١٩٩ .

[٢] الشيال: مصر الإسلامية، ص٧٣.

[٣] سلام شافعي: أهل الذمة في مصر ، ص٧٣.

[٤] عبد الرحمن زكى: الفسطاط ، ص٩٦.

[٥] السيوطي: حسن المحاضرة، ج٢، ص٢٩٦ اليافعي: مرآة الجنان، ج٣، ص٣٨٨ ، الذهبي : العبر ، ج٣ ، ص١١٧.

[٦] المقريزي: الخطط، ج١، ص٦٨ ، العبادي: الحياة الاقتصادية، ص٣٤٦.

[٧] المقريزي: مصدر سابق،ج١، ص٦٨.

السلطاني[١]. ويبدو أن معظم المطابخ الأهلية كان يديرها أمراء الدولة ووزراؤها، بل لقد كان أحد القضاة يدولب (يدير) أحد هذه المطابخ،كما كان يتولى مشيخة اليهود[٢].

ومن المطابخ التي كانت ملكاً للأفراد مطبخ ابن التنيسي المحتسب ،ومطبخ فتح الدين ابن العلوق،مطبخ سعيد اليهودي، أما المطابخ الخاصة بالدولة فمنها مطبخ زقاق درب اللوازين وكان يدولبه الأمير سيف الدين بكتمر الجوكندار[٣].

وقد اعتمد على صناعة السكر صناعة الحلوى، حيث ذكر ابن إياس أنه كان يعمل من سكر القصب ألف نوع من الحلوى والأطعمة[٤]، وليس أدل على ذلك أنه كان حكام مصر يستهلكون كميات كبيرة منه لعمل الحلوى التي توزع على الناس في الأعياد والمناسبات[٥].

إنتاجها من الخمور والبلسان

عرفت الفسطاط بأنها من أهم مراكز صناعة الأنبذة والخمور، والمزر الأبيض[٦]. كما عرفت بإنتاجها من البلسان وهو نبات يستخرج منه دهن البلسان ولا يعرف في الأرض إلا بالفسطاط بمنطقة عين شمس والنصارى يعظمونه[٧].

مدينة الفسطاط التجارية

كانت الفسطاط من أهم المراكز التجارية، وساعدها على ذلك موقعها على النيل وتوسطها بين الوجهين القبلي والبحري، واتصالها بكافة مدن مصر عن طريق النيل، فضلاً عن أنه كان يخرج منها طرق برية متجهة نحو الحجاز وبلاد الشام والمغرب[٨]، وكان لموقعها أثر كبير على ازدهار حركة

---

[١] ابن دقماق: الأنتصار، ق١، ص٤١-٤٣.

[٢] الشيال: مصر الإسلامية ، ص٧٣.

[٣] ابن دقماق: مصدر سابق ، ص٤١-٤٤.

[٤] ابن إياس: بدائع الزهور،ج١، ق١،ص٣٩.

[٥] العبادي: الحياة الإقتصادية ، ص٣٤٦.

[٦] سلام شافعي: أهل الذمة في مصر، ص١٨٠.

[٧] القلقشندي: صبح الأعشى، ج٣، ص٢٨.

[٨] محمد جمال سرور: مصر في عصر الدولة الفاطمية ، ص٢٠٠-٢٠١.

التجارة وانتعاش أسواقها[1]، وعلى الرغم من حرق شاور لها إلا أنها سرعان ما استعادت نشاطها التجاري[2].

وساعد موقعها في جعلها أكثر أرزاقاً وأرخص أسعاراً من القاهرة[3]، حيث تحط بها المراكب والسفن الآتية[4] من تنيس، ودمياط، والبصرة ودمشق المحملة بالخيرات. وكان تمد تلك السفن الخزانة الأيوبية بالضرائب[5]، وليس أدل على اتساع تجارتها مما ذكره المؤرخون من كثرة أسواقها ومتاجرها[6].

وقد اكتظت مدينة الفسطاط بالكثير من الأسواق . ومن أشهرها سوق القناديل، والذى يباع فيه التحف النادرة من الفوانيس شديدة الرقة، والأكواب الزجاجية، وأشغال الصدف، والأمشاط، والسكاكين، إلى جانب كميات كبيرة من العصفر والفاكهة[7]. إلى جانب ذلك كان بها سوق وردان، وسوق الحمام، وسوق المغاربة [8] . وعرفت أيضاً الفسطاط بسوق الغلال وكان يتواجد بالقرب من الساحل حيث كانت المراكب تحول الغلال إلى الطحون والأهراء السلطانية، حيث كان على الساحل رصيف كبير تفرغ عليه البضائع[9].

ومن الأسواق المتخصصة بالفسطاط سوق الزجاجين الذى يباع فية القدور والكؤوس، وكان بها سوق الخشابين[10]، وسوق السلاح الذى يباع فيها القسي، والنشاب، والزرديات، وسوق المرجانيين

---

(1) سعيد مغاوري: النشاط التجاري بين بلدان العالم العربي، ص٨٤٤.

(2) أندريه ريموند: القاهرة، ص٩١-٩٢.

(3) المقريزي: الخطط، ج٢، ص٩٧.

(4) ابن سعيد: النجوم الزاهرة، ص٢٧.

(5) المقدسي: أحسن التقاسيم، ص١٧٦.

(6) نفس المصدر، ص٢٠٠، الإدريسي: نزهة المشتاق ، ص٣٢٣.

(7) محمد جمال سرور، مصر في عصر الدولة الفاطمية ، ص٢٠٠-٢٠١.

(8) ابن دقماق: الأنتصار، ق١، ص٣٢ ، سعيد مغاوري: مرجع سابق ، ص٨٥٨.

(9) قاسم عبد قاسم: النيل والمجتمع، ص٨٧-٨٨.

(10) سعيد مغاوري: مرجع سابق ، ص٨٤٥-٨٤٦.

والذي عرف بأنه معمور الجانبين بالحوانيت المملوءة برحالات الجمال. فلو أراد الإنسان تجهيز مائة جمل أو أكثر في يوم واحد لما شق عليه وجود ما يطلبه من ذلك لكثرته عند التجار ، وفي الحوانيت بهذه الأسواق ، وفي المخازن بها،كما عرفت الفسطاط أيضاً بأسواقها المتخصصة في بيع الشموع،الأجواخ،المجلوبة من بلاد الفرنج لعمل المقاعد والستائر[1].

وعرفت الأسواق بتجمعها حول الجوامع مثلما كان الحال بالفسطاط حيث تجمعت الأسواق حول جامع عمرو بن العاص لدرجة أنه لكثرة الإزدحام على الأسواق المحاطة به جعلوه الناس معبراً يعبرونه بأقدامهم ويعبرون فيه من باب إلى باب ليوفروا عليهم الطريق[2]. والبائعون يبيعون فيه أصناف المكسرات والفاكهة، وما جرى مجرى ذلك والناس يأكلون في أماكن عدة[3].

كما كانت الفسطاط تضم عدداً كبيراً من القيساريات، والتي كانت أغلبها يتواجد على طول الطريق الرئيسية في مدينة الفسطاط كقيسارية المحلي والتي لم يكن بها حانوت خال، وكان يباع بها سائر أنواع الصوف والخيش، وكان ينزل بها تجار الأقمشة للبيع والشراء ، إلى جانب قيسارية الصباغين كانت جميعها مسكونة داخلها، وظاهرها ليس بها حانوت خال، و قيسارية شبل الدولة المعروفة ببيع أقمشة النساء وقيسارية ورشة الفلاحين وهي معروفة ببيع القماش[4]، وقيسارية الحبال، وقيسارية الكباش وتختص ببيع وشراء الكباش[5].

وإلى جانب القيساريات تواجد بالفسطاط عدد كبير من الفنادق[6]، ومن أشهر الفنادق بها: فندق أبي الثناء في زقاق القناديل[7]، وفندق العسل وفندق التمر وفندق الرقيق، و فندق دار التفاح، و فندق

---

(1) نايف عاشور: العلاقة بين البندقية والشرق الأدنى ، ص٢٣.

(2) سعيد مغاوري: النشاط التجاري بين بلدان العالم العربي ، ص١٥٨.

(3) عبد الرحمن زكي: الفسطاط ، ص٦٤-٦٥.

(4) الشيال: مصر الإسلامية ، ص٧١.

(5) عبد المقصود عبد الحميد: السياسة الداخلية للأيوبيين ، ص٢٢٧.

(6) الشيال: مرجع سابق ، ص٧١ .

(7) ابن جبير: الرحلة، ص١٩.

القصب[١]، إلى جانب فنادق الكارمية ، ومن أمثلة تلك الفنادق ذلك الفندق الذى أقامه صلاح الدين سنة (٥٧٩هـ-١١٨٣م) ، والذى أمر ببنائه على شاطئ النيل[٢] وكلف ابن أخيه تقى الدين عمر ببنائه، حيث كانت تتم فيه صفقات بيع التوابل وسلع الشرق لتجار أوروبا[٣].

أما وسيلة المواصلات الداخلية أو التي تؤدي إلى الفسطاط وتساعد على عملية الرواج التجاري فهي الحمير، وذكر أنه كان بالفسطاط خمسين ألف حماراً تستخدم لتنقلات الأهالي[٤]،وليس أدل على ذلك ما ذكره ابن سعيد حينما زار مصر فى أنه سار من باب زويلة راكباً مؤجراً وسط موكب من الحمير ومن الغبار الأسود[٥].

وقد اختص بالإشراف على الأسواق وضبطها بمدينة الفسطاط المحتسب والذي اختص بمنع الغش في الأسواق سواء في السلع أو في الموازيين والمكاييل وغيرها[٦].

مدينة الإسْكَنْدَرِيّة

هى مدينة جليلة القدر[٧] وتعد أجل ثغور الإسلام وأعظمها[٨]، وتقع على بحر الروم (البحر المتوسط)، وهي من المدن كثيرة الخيرات ، تعتمد في شربها على مياه النيل عن طريق ملء صهاريج[٩]، تلي مدينة الإسكندرية عمل المزاحمتين والتي تقع غربا بشمال المدينة، والمدينة في غاية

---

[١] الشيال: مصر الإسلامية، ص٧٢.

[٢] محمد عبد الغني: تجارة التوابل فى مصر، ص٥٦.

[٣] صبحي لبيب: سياسة مصر التجارية في عصر الأيوبيين والمماليك ، (بحث ضمن المجلة التاريخية المصرية ، م١٨-١٩ ، مكتبة الجبلاوي ، القاهرة ، ١٩٨٢م ، ص١٣٧) ، محمد عبد الغني: مرجع سابق، ص٥٦.

[٤] أندريه ريموند: القاهرة، ص٩٥-٩٦ ، أولج فولكف: القاهرة، ص٧٢.

[٥] أندريه ريموند: مرجع سابق ص٩٥-٩٦ ، زكي محمد حسن: الرحالة العرب، ص١١٦.

[٦] الشيزرى : نهاية الرتبة ، ص٩ .

[٧] العمرى: مسالك الأبصار، ص٨٨.

[٨] ابن شاهين الظاهري: زبدة كشف الممالك وبيان الطرق والمسالك ، قام بتصحيحه بولس راويس، دار العرب اللبناني ، القاهرة ، ١٩٨٨م ،ص٤٧.

[٩] المقدسي : أحسن التقاسيم ، ص٧٥ .

التحصين حيث يستدير بها سوران منيعان ، ويدور من خارجهما الخندق في جانب البلد المتصل بالبر ويتصل البحر بظاهرها من الجانب الغربي مما يلي الشمال إلى المشرق حيث دار النيابة ، وبها أبراج حصينة حتى أنه يوجد على كل باب ثلاثة أبواب[1] .

قد جمعت مدينة الإسكندرية بين الصناعة والتجارة، فجمعت فيها أسباب الحضارة ويقال أن مساجدها أحصيت فى وقت من الأوقات فكانت عشرين ألف مسجداً وبها الروابط، والزوايا، والحمامات، والأسواق الممتدة والمتنزهات، كما كان بها مصانع البز ، ودار الطراز[2]. ولم يكن بالديار المصرية مدينة حاكمها مرسوم بنيابة السلطنة (أي حكومة الإقليم المصري) سوى الإسكندرية [3].

مدينة الإسْكَنْدَرِيّة وصناعة السفن

عرفت مدينة الإسكندرية بصناعة السفن حيث وجد بها دور لصناعتها إلى جانب دمياط ، والفسطاط[4].وقد زاد الإهتمام بتلك الصناعة فى نهاية العصر الفاطمي[5]، وخاصة لتعرض السفن الراسية في مدن الإسكندرية ، دمياط، وتنيس للهجوم المتكرر من قبل السفن أو الأساطيل البيزنطية، والنورمندية، والإيطالية[6]. ورجع الاهتمام بها أيضاً لكون مدينة الإسكندرية من المدن التجارية والتى تحتاج إلى أكبر عدد من السفن لتتاجر مع دول العالم المختلفة[7].

ففي زيارات السلطان صلاح الدين لمدينة الإسكندرية سنة (٥٧٢هـ / ١١٧٦) ليشرف على الإصلاحات والتحصينات رأى أنه لن يحميها سوى أسطول قوي. فلما زار الأسطول وجده قد خرب

---

[1] ابن شاهين : زبدة كشف الممالك ، ص٤٧ .

[2] القلقشندي: صبح الأعشى، ج٣، ص٤٠٣.

[3] محمود السيد: تاريخ عرب الشام فى العصر المملوكي، مؤسسة شباب الجامعة، الإسكندرية ،١٩٩٧م، ص٤١.

[4] حسنين ربيع: النظم المالية، ص٧٢.

[5] العريني: مصر فى العصر الأيوبيين، ص٢٦٥.

[6] نعمان الطيب: منهج صلاح الدين، ص٣٤٨-٣٤٩.

[7] على حسن الخربوطلي: البحر المتوسط بحيرة عربية، دار المعارف، القاهرة،١٩٦٣م، ص٢١.

ونالت منه السنوات والأحداث ، فأمر بتعميره وأنشأ ديواناً خاصاً به عرف بديوان الأسطول لم يختص فقط بالعناية بالقوات البحرية، والجنود والأسلحة بل أشرف أيضاً على دور الصناعة وصيانة سفنها[1].

كما قام صلاح الدين بتوفير الأخشاب اللازمة محلياً، وعقد الاتفاقيات الدولية وخاصة مع المدن الإيطالية، ففي سنة (٥٦٨هـ/١١٧٢م) عقد معهم اتفاقية للحصول على الخشب، والحديد، والشمع.

وهيأ صلاح الدين لمصر وتجارها سبيلاً مباشراً للوصول إلى الغابات التى اشتهرت بها إفريقيا وحتى يتيسر الحصول على كميات الخشب اللازمة لبناء السفن[2].

وقد تزايد عدد السفن في عهد صلاح الدين إلى الضعف[3] ، وقد لعبت السفن التي صنعت بالإسكندرية دوراً في حمل كميات ضخمة من الغلال وأصناف الأقوات إلى عكا ، كما لعبت دوراً بارزاً في الحملة الصليبية السابعة على مصر بقيادة لويس التاسع ملك فرنسا[4] .

وقد تنوعت السفن التى صنعت بالإسكندرية فمنها: الحمالة التي تخصصت في نقل الحبوب والغلال، والعزاري التى تحمل المؤونة والزاد ، والمركوش التي تقوم بنقل الماء[5] ، أما الشبابيك، والقوارب، والزوارق، كلها عبارة عن سفن صغيرة تتحرك بالمجاديف أو بقلاع صغيرة وتستعمل في نقل الأشخاص[6].

مدينة الإسْكَنْدَرِيّة وإنتاجها من المنسوجات

تميزت الإسكندرية بإنتاج المنسوجات والأقمشة التى لا نظير لها[7]،وتحمل في أقطار الأرض، شرقاً وغرباً إلى بلاد المغرب، الأندلس، وجزر الفرنج،وبلاد الروم والشام [8]وعرفت الإسكندرية

---

[1] أبو شامة :الروضتين ،ج١، ص٢٦٨.

[2] العريني: مصر فى العصر الأيوبيين، ص١٧١-١٧٦ ، نعمان الطيب: منهج صلاح الدين، ص٣٤٨-٣٤٩.

[3] أبو شامة: مصدر سابق ، ج١ ، ص٢٦٨ .

[4] عبد العزيز سالم : تاريخ الإسكندرية ، ص٢٤٤ ، حسنين ربيع : النظم المالية ، ص٧٢-٧٣ .

[5] ابن مماتي : قوانين الدواوين ، ص٣٤٠ ، نعمان الطيب : مرجع سابق، ص٣٥١ .

[6] نعمان الطيب: مرجع سابق، ص٣٥١.

[7] المقريزي: الخطط، ج١، ص٤٥٧.

[8] ابن شاهين:زبدة كشف الممالك، ص٤١ ، القلقشندي: صبح الأعشى، ج٣، ص٤٠٣-٤٠٤.

بمعمل البز، والطراز الفائق، والتي لا توجد في غيرها من المدن، وقد عنيت الحكومة بإنشاء مصانع رسمية خاصة لحسابها اصطلح على تسميتها دور الصناعة أو دور الكسوة ، ولكنها اشتهرت عموماً بدور الطراز أي التطريز على الأقمشة بالكتابة المطرزة في نسيج القماش نفسه[1].

وحظيت ملابس السلاطين والأمراء بعناية الصناع فأتقنوا زخارفها حيث كان يكتب عليها وتزخرف بخيوط الذهب، حتى بلغت درجة من الروعة والجمال وتنوعت فيما بين الحرير والديباج، وكانت ملابسهم معلمة بما يكتب عليها من كتابات أو ينقش عليها من زخارف في دور الطراز[2]، كما عرفت بشعارها التي اتخذته لنفسها (اللون الأسود) كشعار لها محاكية بذلك شعار الدولة العباسية، ليكون زي للسلطان، وموظفيه وأمرائه، ورجال جيشه، والتي تكفلت الدولة بزيهم صيفاً وشتاء، إلى جانب الخلع التي كانت تنعم بها عليهم. حيث كان قماش هذه الملابس نفسه يصنع في الخزانة الكبرى حيث يخزن فيها القماش الوارد من دور الطراز، كما كان بها الملابس الرسمية[3].

وقد اشتهرت مدينة الإسكندرية بصناعة المنسوجات الكتانية حيث كانت الدولة تقيم بها المصانع والتي كان أغلب العاملين فيها من القبط[4]، و أنتج إلى جانب الكتان الغلائل [5]. ومن المنسوجات الكتانية الرقيقة ما كان يصنع للملابس الداخلية، وتلف بها العمائم وتعمل منها الخمر التي تغطي رؤوس النساء[6].

ومن الأقمشة التي شاعت في الإسكندرية وراجت نوع من القماش الشفاف Chiffen تدخله خيوط حريرية أو مذهبة عرف باسم الشرب [7] وكان شفافا بحيث أن الشخص كان يستطيع أن يلبس

---

(1) العبادي: الحياة الاقتصادية، ص٣٤.

(2) نفس المرجع و الصفحة .

(3) أحمد زغلول: الحياة الاجتماعية في مصر في العصر الأيوبي ، ص٣١٤-٣١٦.

(4) ناصر خسرو: سفرنامة، ص٧٨.

(5) الغلائل : جمع غلة وهو القميص الرقيق .(ابن ظهيرة: الفضائل الباهرة ، ص٥٨).

(6) العبادي: مرجع سابق ، ص٣٣٤.

(7) العمري: مسالك الأبصار، ص٨٩ ، العريني: مصر في عصر الأيوبيين ، ص١٩٧- ١٩٨، عبد المنعم ماجد : تاريخ الحضارة الاسلامية ، ص١١٢-١١٤ .

منها عمامة طولها مائة ذراع (خمسين متر)[١]. وعرفت الإسكندرية بالشرب الأبيض، وقد بلغ ثمن المقطع من الشرب الساذج[٢] سبعمائة درهم ورقة[٣]. أما نقش الشرب فيباع الدرهم منه بأكثر منه (أي وزن الدرهم منه بأعلى من الدرهم نفسه). أما ما يدخل الطراز فيباع بنظير وزنه مرات عديدة. ونظراً لتفوق الإسكندرية في إنتاج مثل تلك النوع[٤] كان الخلفاء العباسيون يشترطون على السلاطين بمصر أن يمدوهم بالشروب الإسكندرانية[٥].

كما اشتهرت مدينة الإسكندرية بصناعة المنسوجات الحريرية. فعلى الرغم من أن مصر لم تكن من البلاد التي تعتني بتربية دودة القز إلا أنه يرد في وثائق الجنيزة[٦] التي ترجع إلى القرن الخامس، والسادس من الهجرة، أن الحرير كان يرد إلى أسواق مصر من بلاد الصين والهند حتى يذكر انه كان يستخدم بهما كسلعة للدفع بدلا من الذهب إلى جانب تلك صقلية والتي كانت قاعدتها بالرمو التي اشتهرت بصناعة الحرير الموشى بالذهب منذ أيام خضوعها للحكم الفاطمي[٧] إلى جانب ذلك الأندلس حيث كان حريرها يلقى رواجا واقبالا في المشرق وكانت تحاكي ما تنتجه دمياط وتنيس[٨] من

---

[١] عبد المنعم ماجد :تاريخ الحضارة الإسلامية ، ص ١١٣ - ١١٤

[٢] الشرب الساذج : أي الذي ليس فيه نقش (العمري: مسالك الأبصار، ص١٨-١٩) .

[٣] نفس المصدر و الصفحة.

[٤] عبد الرحمن عمار: تاريخ فن النسيج، ص٥٠.

[٥] الشرب الإسكندراني:هو قماش رفيع من الوبر وكان مثل ذلك القماش الإسكندراني يتم صنعه في الأندلس وعرفت بصنعه مدينة سرقسطة (المقريزي:الخطط ج٢ص٤٥٧،عبد المنعم ماجد:مرجع سابق،ص١١٢-١١٤).

[٦] وثائق الجنيزة : عبارة عن مراسلات بين اليهود و بعضهم تتناول دراسة عن بعض مظاهر الحياة السياسية و الإجتماعية و الإقتصادية في مصر و غيرها من البلدان الإسلامية التي بها معابد يهودية في عصر الفاطميين والأيوبيين ، و كان ثمانين في المائة منها مكتوب بالعربية و ليس بالعبرية ، و كان توافر و تواجد مثل هذه الوثائق يرجع لتشجيع السلطات الرسمية (صابر دياب : دراسات في عالم البحر المتوسط ، ص ٨٥ – ٦٠) .

[٧] جواتياين : دراسات في التاريخ الإسلامي والنظم الإسلامية، تحقيق عطية القوصي،وكالةالمطبوعات،الكويت ، ١٩٨٠ م، ص ٢٦٤ – ٢٦٥، سلام شافعي:أهل الذمة في مصر،ص١٤٥-١٤٧،العبادي: الحياة الإقتصادية ، ص٣٣٦ .

[٨] جواتياين : مرجع سابق ، ص ٢٦٩ ، شاكر مصطفى : الأندلس في التاريخ ، منشورات وزارة الثقافة ، دمشق، ١٩٩٠، ص ١١٣ .

منسوجات وكانت أهم أسواق الحرير مدينة الإسكندرية والتي اشتهرت بصناعة المنسوجات الحريرية . وليس أدل على شهرتها في صناعة الحرير ما قاله المقريزي (أنها تنتج منسوجات لا نظير لها وتعمل في أقطار الأرض) وساعد على ذلك موقعها الجغرافي وقربها من العديد من البلدان، وخاصة المغرب العربي، ووقوعها بالقرب من شمال إفريقيا [1]. ومن أشهر المنسوجات الحريرية التي عرفت بها الإسكندرية الأقمشة الحريرية المطرزة والتي وصفها المسعودي بأنها مرقوقة بألوان شتى[2].

كما أنتج بها الأقمشة الحريرية الموشاة بالذهب[3]، والتي كانت تقوم مقام وشي الكوفة[4]. وعرفت أيضاً الإسكندرية بصناعة السقلاطون[5]، والمنسوجات النمرة[6]،وبالأطلس[7] والإسكندراني[8]، والقطيفة (الكموني)[9]، والمقصب أو القصب[10]، والحرير الممزوج، والمنقوش، والمنقون[11] ،والدبيقي[12]، إلى جانب الشرب الخام وأنواع المقصبات الملون بالذهب

---

[1] المقريزي:الخطط،ج١، ص٤٥٧، سلام شافعي: أهل الذمة،ص١٤٧، سعيد مغاوري: النشاط التجاري ،ص٨٦٠.

[2] سعيد مغاوري: مرجع سابق ، ص ٨٦٠ .

[3] الملابس الموشاة أو الوشي: هي أقمشة من الحرير الملون المنقة بالذهب، وكان يعمل منها في اليمن والعراق ومصر(عبد المنعم ماجد: الحضارة الإسلامية ، ص١١٢-١١٤).

[4] ابن إياس: بدائع الزهور في وقائع الدهور، ج١، ق ١، ص٤٥-٤٦.

[5] السقلاطون:هو نوع من الحرير الموشي بالذهب، وكان المصنوع منه في بغداد له شهرة عالمية. كماكان أكثر استعماله في مصر والأندلس (العبادي:الحياة الإقتصادية،ص٣٣٦،عبد المنعم ماجد: مرجع سابق، ص١١٢-١١٣).

[6] النمرة أو المخطط :هو ما يشبه جلد النمر(العبادي: مرجع سابق، ص٣٣٦).

[7] أحمد زغلول، الحياة الاجتماعية، ٣١٤-٣١٦.

[8] الإسكندراني: هو قماش رقيق (نفس المرجع ، ص٣١٦).

[9] القطف أوالقطيفة أوالخز:نسيج ناعم يصنع من الحرير ومن وبر ذكر الأرانب(ماجد:مرجع سابق ، ص١١٢-١١٤).

[10] المقصب أو القصب: هو قماش مطرز لا ينسج إلا في دمياط وتنيس ، وعرفت به الإسكندرية ولعله رقيق جداً (العمري: مسالك الأبصار، ص٨٩، ماجد: مرجع سابق، ص١١٤).

[11] العمري: مصدر سابق، ص٨٩.

[12] الدبيقي: نوع من القماش المزركش ينسج في مدينة دابق أو دبيق الواقعة قرب دمياط (نفس المصدروالصفحة، ماجد: مرجع سابق، ص١١٤).

والفضة والملاءات، والفوط. وكل ذلك والذي لم يكن هناك شبيه لرقمه ولا نظير لحسنه يباع كل يوم في فيه الآلاف المؤلفه من الذهب الأحمر ولا ينفذ متاعها ولا يقدر موجودها أحد[1].

صناعة الزجاج والخزف

عرفت مدينة الإسكندرية بصناعة الزجاج، والذي اشتهر كما سبق ذكره في العصر الأيوبي، شهرت مهارتهم في إنتاج نوع من الزجاج الشفاف[2]،وقد ظهرت به طرق جديدة نتيجة لعناية الحرفيين بها ليس فقط في مدن مصر بل ببلاد الشام[3]، ومن بين الطرق الجديدة التي ظهرت طريقة الترصيع بالمينا (وهي أن يرسم الزخارف في الزجاج ثم توضع عليه المينا)، وكان إقبال الغرب على الصليبيين أو الصليب الأمر الذي أدى إلى الإقبال عليها، ورواج تلك المصنوعات الزجاجية[4]، ومن أمثلة المصنوعات الزجاجية: المكاحل، والقناديل، والأساور الزجاجية المعروفة بالفوانيس[5].

كما عرفت مدينة الإسكندرية بصناعة الخزف ذي البريق المعدني، ولكن إنتاجها من الخزف لم يكفه الإستهلاك المحلي[6].

الصناعات المعدنية

ومن الصناعات المعدنية التي اشتهرت بها سك العملة [7]حيث أنشئت بالإسكندرية دار لضرب العملة في عهد صلاح الدين[8] ، وتعتبر من أهم دور الضرب وقد اشتهرت بإنتاج السبائك البرونزية وإنتاج الدراهم الفضية والدنانير الذهبية ، وقد استمر طراز الكتابة الكوفية من العصر الفاطمي إلى العصر الأيوبي على السكة التي ضربت بالإسكندرية حتى عهد السلطان الكامل ، حيث بدأت تشيع

---

(1) العمري: مسالك الأبصار ، ص٨٩.

(2) عاشور: العلاقة بين البندقية والشرق الأدنى ، ص٢٨١.

(3) العويري: مصر في العصور الوسطى، ص٢٣١-٢٣٢.

(4) محمد عبد العزيز مرزوق: الفن الإسلامي، ص١١٣.

(5) عبد المنعم المليجي النقيب: مجمع البدائع في الفنون والصنائع، مطبعة الأميرية، بولاق، القاهرة،١٨٩٦، ص٦٦.

(6) صبحي محمد عبد الله : مدن مصر الصناعية ، ص٢٥٢ .

(7) نور شهيرة : الفضائل الباهرة ، ص٦٠ .

(8) حسنين ربيع : النظم المالية ، ص١٠٢ .

الكتابات المختلفة في دنانير الأيوبيين مثال ذلك ما وجد في متحف الفن الإسلامي بالقاهرة من ضرب دنانير بالإسكندرية حيث نقش هامش خارجي وداخلي ومركز لدينار بالإسكندرية سنة (٥٨٣هـ / ١١٨٠م) : "بسم الله الرحمن الرحيم، ضرب هذا الدينار بالإسكندرية سنة ثلث وثمانين وخمسمائة "[١] . وكانت النقود تسك بعيار محدد ومخصص حيث كانت الدولة تمنع التلاعب في الوزن والعيار[٢].

إلى جانب الصناعات المعدنية بالإسكندرية اشتهرت بنسج الحصر، حيث اشتهرت بعمل الحصر العبداني الذي لا يعمل إلا بها ويجلب إلى سائر البلاد منها[٣].

مدينة الإسكندرية وصناعة الخمور

من الصناعات التي عرفت بها مدينة الإسكندرية صناعة الخمور، حيث كانت من أكبر المدن إنتاجاً للعنب والذي تميز بكثرته ورخصه في الإسكندرية [٤]، ولما تولى صلاح الدين أبطل تلك الصناعة[٥]. ولكن سرعان ما عادت[٦] وساعد على انتشار تلك الصناعة بالإسكندرية كثرة الوافدين عليها من تجار الفرنج ، وما بها من خانات وقياسر وفنادق، وجاليات [٧].

---

[١] ابن بعرة : كشف الأسرار العلمية ، ص٣٠-٣١ .

[٢] كما كان هناك الدينار الصوري وهو دينار إسلامي استخدم في التعامل مع المسلمين والصليبيين إلى جانب استخدام الصليبيين لعملة البيزنط الذهبية في التعامل أيضاً (نعمان الخطيب ، منهج صلاح الدين ، ص٤١٨ – ٤١٩) .

[٣] ابن إياس: بدائع الزهور، ج١، ق١، ص٥٦.

[٤] عمر بن الوردي: خريدة العجائب، ص٤٠ ، سلام شافعي: أهل الذمة، ص١٦٧-١٦٩.

[٥] السيد سالم: تاريخ الإسكندرية ، ص٢٧٠.

[٦] المقريزي: السلوك، ج١، ق١، ص٩٥٠.

[٧] سلام شافعي: مرجع سابق، ص١٦٧-١٦٩.

مدينة الإسكندرية التجارية

كانت الإسكندرية من أشهر المدن التجارية في العصر الأيوبي، وليس أدل على ذلك من قول الرحالة المؤرخين وإشادتهم بكثرة أسواقها[١]، واتساعها، وازدحامها[٢]. فكانت محط الرجال ومقصد التجار من سائر الأقطار والبحار، فكان موقعها على شاطئ البحر المتوسط يجعلها من أجل الثغور، وبناؤها لتصبح مرسى السفن، كل ذلك جعلها من أكبر المدن التجارية في العصر الأيوبي[٣]، ومنها تخرج الأساطيل الأغراضية، فكانت أحد بابي تجارة أوروبا في الشمال مع مدينة دمياط، كما كانت مركز الاتصال التجاري بين مصر وغرب أوروبا ويرجع ذلك إلى قربها منها عن مدينة دمياط[٤].

عرفت الإسكندرية بأسواقها والتي كانت من أكبر أسواق العالم وأكثر ثغور مصر حركة ونشاطاً بالنشاط التجاري، حيث عرفت بتجارتها الواسعة من القمح والكتان، والورق، والزجاج، كما كان يحمل إليها مقادير من الذهب، والعاج من بلاد النوبة، وأثيوبيا، وأنواع من التوابل والحرير، والأقمشة، والجوهر[٥]، والطيب والعطور من الشرق وخاصة الهند والصين، كما كان يحمل إليها عن طريق الفسطاط الشب والغلال، والكتان والسكر إلى جانب أنها كان يرد إلى أسواقها الأخشاب والمعادن[٦]، كما كان يرد إليها من البندقية الرقيق وكانت من أهم أسواقه في مصر: الإسكندرية، وقد حملت البندقية إلى الإسكندرية أعداداً كبيرة منه في أثناء حملة الأطفال الصليبية (٦٠٩هـ/١٢١٢م) حيث وقع معظمهم كأسرى في يد التجار الإيطاليين والذين نقلوهم إلى مصر وباعوهم هناك[٧]، حيث

---

(١) ابن جبير: الرحلة، ص١٤-١٥.

(٢) عمر بن الوردي: خريدة العجائب، ص٤٠.

(٣) الإدريسي: نزهة المشتاق، ص٣١٩.

(٤) قاسم عبده قاسم: النيل والمجتمع، ص٨٥.

(٥) علي حسني الخربوطلي: البحر المتوسط، ص٦١.

(٦) السيد عبد العزيز سالم: تاريخ الإسكندرية، ص٢٥٧.

(٧) وليد عاشور: العلاقة بين البندقية والشرق الأدنى، ص٢٧٩.

كان للمماليك سوق رائج للرقيق في الإسكندرية واختلفت أسعاره حسب الحالة الصحية، أو السن، أو مصدر جلبه ، أو سماته[1].

كما تنافست كل من دمياط والإسكندرية في العصر الأيوبي في الحركة التجارية، حيث عرفت الإسكندرية بتجارتها الموسمية والتي كانت تزدهر في شهور الفيضان، حيث يجرى النيل فيرتفع في خليج الإسكندرية وتنشط عندئذ تجارة الخشب، والكتان، والغلال، والسكر، أما دمياط فكانت تجارتها مستمرة طوال السنة[2].

ونظراً لحركتها التجارية الواسعة فقد عرفت أحد أبوابها بنوع معين من السلع. وخير مثال على ذلك باب البهار، وسمي بذلك لأن البهار الواصل إلى القاهرة من الهند والشرق عبر البحر الأحمر كان يحمل إليها في سفن تسير في النيل ثم في خليج الإسكندرية حيث تفرعه خارج الإسكندرية ، عند هذا الباب، وإذا تعطل المسير في بعض الأحوال، فإن قوافل برية تدخل إلى الإسكندرية أيضاً عن طريق هذا الباب[3].

وقد نالت الإسكندرية نظراً لمكانتها التجارية عناية السلاطين فقاموا بعمارة أسوارها[4] وأبراجها[5] ومراقبة أبوابها وحمايتها من اللصوص، وغلقت أبوابها بالليل، وكان القائم على هذه المهمة الوالي أو صاحب الشرطة[6].

كما كان لحركة نقل البضائع بين الشرق والغرب بها دور في زيادة أهميتها التجارية[7]، وليس أدل على ذلك قول ابن شاهين : "في أن أغلب أهل الدنيا يردون إليها براً وبحراً يجلبون منها البضائع

---

(1) عبد العزيز محمود: الرق في مصر في العصور الوسطى، مكتبة نهضة الشرق، ١٩٨٣م، ص٤٠-٤٢.

(2) عبد الحميد سليمان: دمياط في العصر الإسلامي، ص١٧٦.

(3) فايد عاشور: العلاقة بين البندقية والشرق الأدنى ، ص١٧٦.

(4) بنيامين التطيلي: رحلة بنيامين ، تحقيق عزرا حداد ، بغداد ، ١٩٤٥م ، ص١٧٩ .

(5) أحمد بيلي: حياة صلاح الدين ؛ ص٢٩٨.

(6) المقدسي: أحسن التقاسيم، ص١٧٥-٢٠٠ ، أحمد ناصف، صاحب الشرطة، ص١٦١.

(7) نعمان الطيب: منهج صلاح الدين في الحكم والقيادة ، ص٤١٤.

وكذا يجلبون إليها بضائعهم" [١]. حيث كانت سفن الفرنج تأتي إليها محملة بسلع الغرب التى يحتاجها الشرق، فى حين ترحل محملة بسلع الشرق التى يحتاجها الغرب[٢]، فمن خلالها تم اجتذاب عدد كبير من التجار الإيطاليين[٣]، والذين نالوا الكثير من التسهيلات التجارية التى منحها إليهم سلاطين الأيوبيين، والذين بدورهم حصلوا على مكاسب مالية من جراء الضرائب التى فرضت على سفن الغرب، وملئت الخزانة الأيوبية. لذلك حرص سلاطين الأيوبيين على زيادة الإهتمام بالإسكندرية، فأسسوا فيها الفنادق التى تخدم حركة التجار وخاصة الأجانب حيث كانت الفنادق تستخدم كمستودع للبضائع إلى جانب كونها سكن للنزلاء الأجانب[٤].

فكانت فنادق الإسكندرية مخصصة لإستقبال الجاليات الأجنبية، حيث كان يأوي إليها تجار الممالك والدول الأوروبية المختلفة، وليس أدل على ذلك قول بنيامين التطيلي أنه كان لتجار كل دولة فندقهم الخاص بهم وهم فى ضجة وجلبة يبيعون و يشترون، و لم تقتصر الدولة على تخصيص فندق لكل جالية ، بل ألحقته بمجموعة من المنشآت كحمامات ،وكنيسة[٥] ومخبز خاص بهم[٦].وكانت أكثر تلك الفنادق تقام بالقرب من باب البحر الذى يطل على الميناء الشرقي مباشرة مرسى سفنهم[٧]. وقد تعددت الفنادق التى أنشئت خصيصاً للأجانب فمنها ماكان للبيزانيين، وللفلورنسيين أهالى فلورنسا[٨].

---

[١] ابن شاهين: زبدة كشف الممالك، ص٢١.

[٢] نعمان الطيب :منهج صلاح الدين فى الحكم والقيادة ، ص٤١٤ .

[٣] جوزيف نسيم: علاقات مصر بالممالك التجارية الإيطالية (بحث ضمن مطبوعات جمعية الآثار، الإسكندرية ، ع ٤، ١٩٧١م) ص١٠٧.

[٤] نعمان الطيب :مرجع سابق، ص٤١٤.

[٥] الشيال: الإسكندرية ، ص٧٢-٧٣.

[٦] عبد العزيز سالم: تاريخ الإسكندرية ، ص٢٥٧.

[٧] أي حيث يقام حي المنشية ، وشارع ميدان الجاليات (الشيال: مرجع سابق، ص٧٢-٧٣).

[٨] نفس المرجع ، ص٧٣ .

كما أقامت الدولة الوكالات التجارية والفنادق[1]، واتسع اعتناء الدولة بالغرباء في مدينة الإسكندرية حتى أنشأوا لهم مساكن لعلاج المرضى منهم، ووكل لهم أطباء يتفقدون أحوالهم، وتحت أيديهم خدام يأمرونهم بالنظر في مصالحهم التي يشيرون بها من علاج وغذاء، كما رتب صلاح الدين أقوام برسم الزيارة للمرضى الذين يترفعون عن الوصول للمارستان وخاصة من الغرباء، حتى أنهم كانوا يوصلون إلى الأطباء أحوالهم[2]. كما تكون شكلا جزئيا من الجاليات فتصل خاص بهم يتعهد بتولي مصالحهم ومعاقبة من يشذ منهم أمام السلطات الأيوبية[3].

وقد اختصت مدينة الإسكندرية بوجود ديوان تجاري عرف بديوان المتجر، وهو ديوان حكومي اختص بشراء مختلف البضائع المستوردة من الخارج للجيش والأسطول[4]، كالأخشاب، والحديد وحجارة الطواحين[5] والأقمشة والأمواج، حيث كان يتم شراء تلك المواد من أموال الخمس والتي قد بلغت بالإسكندرية سنة (٥٨٨هـ/١١٩٢م) ثمانية وعشرين ألف دينار وستة مئة وثلاث عشر دينار[6].

أما ما كان يزيد الخمس من البضائع التي يشتريها المتجر السلطاني من التجار الأجانب (والتي تخص الجيش) كان عمال الديوان يدفعون بما تبقى لهؤلاء التجار بضائع تساوي ثمنها، ومن أمثلة تلك البضائع: معدن الذهب، الزمرد[7]، والنطرون[8]، والشب وخاصة أن الرومان كانوا في أشد الحاجة إلى

---

[1] جمال الدين سرور : مصر في عصر الدولة الفاطمية ، مكتبة النهضة المصرية ، القاهرة ، ١٩٦٠م ، ص٢٠٤ .

[2] ابن جبير : الرحلة ، ص١٦.

[3] ابن شاهين: زبدة كشف الممالك، ص٤١، نايف عاشور: العلاقة بين البندقية و الشرق الأدنى، ص ٢٥٦ .

[4] أسمت غنيم: الدولة الأيوبية والصليبيون، دار المعارف، الإسكندرية ، ١٩٨٥م، ص٣٣.

[5] نعمان الطيب: منهج صلاح الدين في الحكم والقيادة ، ص٤١٤.

[6] ابن ظهيرة: الفضائل الباهرة ، ص١٢٧، عبد المقصود عبد الحميد: السياسة الداخلية، ص٢٥٦.

[7] ابن مماتي: قوانين الدواوين ، ص٣٤٩، ابن ظهيرة: مصدر سابق ، ص١٢٧.

[8] معدن النطرون أو الأطرون، كان يستخرج بالبحيرة بمنطقة الطرانة، والفاقوسية، وهو صنفان الأحمر أقل جودة، والأخضر هو الأكثر جودة ويوجد بالطرانة أما الأحمر فيوجد بالفاقوسية، ويعد المتصرف فيه أي الشب الديوان فقط ويستعمله الحائكون والمبيضون في النحاس (المقريزي: السلوك، ج١ ق١، ص١٥٦، ابن شاهين : مصدر سابق، ص٣٥-٣٦) .

تلك السلع وخاصة معدن الشب الذى لا يستغنون عنه ويعد عندهم صبغ أحمر[1]. ويذكر أن مقدار بيعه سنة (٥٨٥هـ/١١٨٩م) ١٣ ألف قنطار، وكان يستخدمه الليوديون و الصباغون[2].

وكان أمناء السلطان يقومون بتقييد جميع ما يدخل بالإسكندرية من سلع أو مال، وذلك ليفرضوا عليها ضريبة جمركية وفى سبيل ذلك كانوا يقومون بتفتيش المسافرين، وقد أبدى الكثير من الرحالة امتعاضهم لهذا الإجراء وانتقدوه[3].

وقد اكتظت مدينة الإسكندرية فى العصر الأيوبي بالكثير من الطوائف الأجنبية سواء من العرب الوافدين من دول الإسلام وغيرهم. فمن هؤلاء التجار والحجاج وخاصة المغاربة والذين كانوا يفدون إليها عن طريق البر متجهين إلى الأراضي المقدسة. ولهذا أطلق عليها الجغرافيون العرب (باب المغرب)[4] كما خصص صلاح الدين لهؤلاء المغاربة ، وخاصة أبناء السبيل منهم خبزتين لكل إنسان فى كل يوم، و نصب لذلك مختصين عرفوا بأمانتهم كما كان يفد إليها من بلاد الأندلس وإفريقيا والهند، والحبشة وليبيا، واليمن، وبابل وسوريا وتركيا. إلى جانب العديد من المدن الإيطالية والأوروبية،(البندقية، رومانيا، بلغاريا، جنوه، وفرنسا، انجلترا، فلورنسا، وبيزا)[5]. وخاصة أنهم كانوا يتهافتون على تجارة التوابل التى كانت قادمة من بلاد الشرق إلى الإسكندرية [6].

---

(1) ابن مماتى: قوانين الدواوين، ص١٢٧.

(2) حسنين ربيع: النظم المالية، ص٥٤.

(3) السيد سالم: تاريخ الإسكندرية ، ص٢٦٠.

(4) جمال الدين الشيال: تاريخ مدينة الإسكندرية ، ص٦٩.

(5) بنيامين التطيلي: الرحلة، ص١٧٨.

(6) السيد سالم، وسحر سالم: تاريخ الأيوبيين والمماليك، ص١٧٨-١٧٩.

وليس أدل على اكتظاظ مدينة الإسكندرية بالحركة التجارية والتجار من قول برخارد الذي قدم إلى مصر سفيراً للإمبراطور فردريك بربروسا [1] من مشاهدته للكميات الهائلة من التوابل التي تحملها السفن في النيل إلى الإسكندرية وذلك في سنة (٥٧١هـ/١١٧٥م) [2]. فيذكر أنه كان بمدينة الإسكندرية سنة(٦٠٨هـ/١٢١١م) في سلطنة الملك العادل ما يقدر بثلاثة آلاف تاجر [3].

مدينة دمياط

هي مدينة ثغرية قديمة على الجانب الأيمن للفرع الشرقي للنيل عند اتصاله ببحر الروم (البحر الأبيض المتوسط) [4]. جمعت المدينة بين الصناعة والتجارة، فقد جعلها موقعها على البحر المتوسط الميناء المصري الوحيد في الجزء الشرقي من البحر المتوسط [5]، وكما كان لموقعها دور في جمعها بين التجارة الداخلية والخارجية، التجارة الداخلية المتمثلة في كثرة أسواقها التي عرفت بها [6]، أما التجارة الخارجية فلتعاملاتها مع الأقطار المطلة على البحر المتوسط ، كما بلغت ذروة تقدمها في صناعة المنسوجات الفاخرة [7]، والسفن وغيرها من الصناعات [8] .

---

[1] فردريك بربروسا : هو أحد قادة الحملة الصليبية الثالثة أخذ شارة الصليب (٥٨٥ هـ / ١١٨٩ م) و سلك و قواته الألمانية الطريق البري عبر آسيا الصغرى لتحرير الأراضي المقدسة . و لما وصل بقواته القسطنطينية لم يجد حسن إستقبال له و لقواته حتى أنه فكر في الأستيلاء عليها . و بعد أن عقد إتفاقية مع السلاجقة على فض الحرب جاء السلطان قطب الدين ملك شاة و نقضها و جدد الحرب . و في أثناء عبور فردريك جبال طوروس سنة (٥٨٦ هـ / ١١٩٠ م) . غرق في نهر سالف saleph (قاسم عبدة قاسم : تاريخ الأيوبيين و المماليك ، ص ٦٨ – ٦٩ ، سعيد عاشور : أوربا العصور الوسطى ، ص ٤٥٤) .

[2] السيد سالم, وسحر سالم: تاريخ الإيوبيين والمماليك ، ص ١٧٨ – ١٧٩ .

[3] السيد سالم: تاريخ الإسكندرية ، ص٢٥٧.

[4] القزويني: آثار البلاد وأخبار العباد، ص١٩٣.

[5] محمد جمال سرور: مصر في عصر الدولة الفاطمية، ص٢٠١.

[6] العمري: مسالك الأبصار، ص٩٤.

[7] الشيزري : المنهج المسلوك في سياسة الملوك ، المنار ، الاردن ، ١٩٨٦م ، ص٣٣.

[8] السيد عبد العزيز سالم : دراسات في تاريخ مصر ، مؤسسة شباب الجامعة ، الإسكندرية ، ١٩٩٥م ، ص ٢٧٩ .

وكان قريبا من البحر المتوسط ونهر النيل وحركة التجارة

[illegible] الفرنجة (١). لذلك حرص سلاطين الأيوبيين على زيادة تحصيناتها، [illegible]

[illegible] بابها وخاصة الحملة الخامسة والحملة السابعة(٢)، فهدمها [illegible]

[illegible] دوست أسوارها سنة(٦٤٨هـ/١٢٥٠م) خوفاً من استيلاء الفرنج

صناعة المنسوجات

[illegible] الأهمية مدينة دمياط بإنتاج المنسوجات (٤). حيث [illegible] الـ

[illegible] وشكلت جانباً هاماً وكبيراً من مصادر الثروة للمدينة(٥)، كما [illegible]

[illegible] على البحر المتوسط وعلى النيل على رواج تلك الصناعة [illegible]

[illegible] أن أهل مصر في العصور الوسطى كانوا يتمكنون [illegible]

[illegible] إليه من ملابسهم وأثاث منازلهم ، ولا يستثني من ذلـ

وكانت صناعة المنسوجات بمدينة دمياط تصنع في [illegible]

[illegible] حيث كان بالمدينة دوراً للطراز الخاصة فكانت تقو

[illegible] والولاة، ونسائهم، أو الخلع التي يخلعها هؤلاء [illegible]

[illegible] وليس أدل على ذلك مما ذكر عن عدد المناسج [illegible]

[illegible] وكانت تنتج الملابس الخاصة للحاشية [illegible]

[illegible] الملوك، ولم يمنع ذلك من أنها كانت تنتج الأقمشة

ضع دائماً لهجمات

[illegible] الهجمات المتكررة

[illegible] رأيهم على تخريبها،

[illegible] في اقتصاد المدينة.

[illegible] والرطوبة وموقعها

[illegible] وسهولة عملية النقل لها

[illegible] ية، ويتخذون منها كل ما

[illegible] من الأمراء والتجار(٧).

أو معامل عرفت بدار

[illegible] وجات الخاصة بملابس

[illegible] والعلماء وكبار رجال

[illegible] ستة آلاف منسج على أقل

[illegible] يهدون تلك المنسوجات إلى

[illegible] الكعبة التي لم تنتج فقط

---

(١) [illegible]: مسالك الأبصار، ص١١٣.

(٢) [illegible]: العلاقة بين البندقية والشرق الادنى ، ص٢٢٦.

(٣) القلقشندي : صبح الأعشى ،ج٣، ص٤٠٢.

(٤) [illegible] الدين الشيال: مجمل تاريخ دمياط ، ص٧٠.

(٥) [illegible] الحميد سليمان: دمياط في العصر الإسلامي، ماجستير، [illegible] العلوم، ١٩٨٧م، ص١٨٣-١٨٤.

(٦) البغدادي: مراصد الأطلاع، ص٥٣٦ ، الأصطخري: [illegible] ٤١.

(٧) [illegible] اللطيف حمزة: الحركة الفكرية،ج٢، ص٦٤.

بدمياط بل في تنيس، وتونه حيث كانت صناعتها تتبادل بين دمياط مرة وتونه مرة وتنيس مره أخرى كل سنة[١].

أما دور الطراز العامة فكانت المنسوجات تصنع فيها في مصانع خاصة يتم استئجارها للحاكم في قبلي المدينة ، وكانت عبارة عن غرف تعرف بالمعامل، كانت تنتج من الطراز ما هو خاص بالشعب[٢] وكانت تسير جنباً إلى جنب مع المصانع الحكومية[٣].

وكان العمل يقسم بالمصانع الحكومية (أو معامل دور الطراز)، فكان العمال يصنعون الغزل من الكتان ويقوم رجال آخرون بصناعة الثياب ، ولوازم الصباغة مما تستلزمه عملية صناعة الثياب، وعملية الصباغة والزخارف، وكان يقوم بنقله النسيج إلى تجار يدفعون لهم أجرهم يوما بيوم، وهؤلاء التجار ليسوا إلا سماسرة يتبعون الحكومة وكانوا يشترون من الناس بثمن بخس[٤].

وكان هؤلاء السماسرة يعتبرون أنفسهم الفئة الوحيدة التي أجازت لها الحكومة ممارسة أعمالهم، والراجح أيضاً أنهم هم الذين أمدوا النساجين بما يحتاجون إليه من مواد الخام، وكان ما يتوفر لدى الصناع من المواد الخام يجرى استقطاعه من الثمن المدفوع له، وإذا تم نسج الثياب تولى تجهيزها فئة أخرى من الصناع فيقوم شخص بطيها، ويتولى آخر لفها ويضعها ثالث في الأسفاط أو الصناديق، ويقوم شخص رابع بخرمها، وكل منهم يتقاضى أجراً حيث يتم بيعها، وكان يؤخذ رسوم على ما يتم تجهيزه للتصدير، ويدل ذلك على مدى حرص السلطة على جودة الإنتاج وتحصيل ما عليه من الضرائب وضمان جودة ما يصدر من منسوجات[٥].

---

(١) جمال الشيال : مجمل تاريخ دمياط، ص٧٢-٧٣.

(٢) نفس المرجع، ص٧٣.

(٣) عبد الحميد سليمان: دمياط، ص١٨٥-١٨٦.

(٤) ياقوت الحموي: معجم البلدان،م٢،ص٤٧٣ ، العريني: مصر في عصر الأيوبيين، ص٢٠٠ ، عبد الحمد سليمان: مرجع سابق، ص١٨٥-١٨٦.

(٥) المقدسي: أحسن التقاسيم، ص١٩٩ ، العريني: مرجع سابق ، ص٢٠٠ ، عبد الحميد سليمان، مرجع سابق ، ص١٨٧.

وكان أكثر الصناع بمدينة دمياط من القبط , والتى قامت على أكتافهم صناعة المنسوجات الرفيعة منذ زمن بعيد[1] . وحرصاً من الدولة على تشجيع تلك الصناعة وفرت لصناعها المواد الخام اللازمة كما وفرت لهم أيضاً الأمن والحماية[2].

تنوعت المنسوجات التى اشتهرت بها دمياط ومن بينها المنسوجات الكتانية، وساعد على قيام هذه الصناعة بهذه المدينة قربها من المادة الخام (الكتان) ووفرته،حيث كان أغلب إنتاجها من المنسوجات الكتانية كما كان يدخل فى نسجه خيوط من الحرير أو الذهب أو الصوف[3].

وقد عرفت منطقة شمال الدلتا بوفرة زراعتها من الكتان،كما كان أيضاً ينتج بالفيوم حيث ساعد موقع دمياط على النيل والبحر المتوسط، فى سهولة نقل المواد الخام إلى تلك المدينة[4]، إلى جانب سهولة تصدير تلك المنسوجات الكتانية عن طريق البحر المتوسط إلى بلاد أوربا وبلاد الشام[5]. كما ساعد موقعها على نهر النيل فى سهولة غزله ونسجه،حيث كان الكتان فى تلك المدينة يبل فى البرك ثم يفصل بعضه عن بعض، وتغسل خيوطه فى ماء النيل حيث كان غسله يساعد على تبيض خيوطه[6]. إلى جانب توافر الجو الملائم لصناعة المنسوجات الكتانية بدمياط من اعتدال الحرارة وتوافر المياه ووسيلة المواصلات، كل ذلك ساعد على رواج حركة المنسوجات[7].

ومن أشهر المنسوجات التى قامت على صناعة الكتان: المنسوجات بأنواعها الرقيقة [8]كما صنع من الكتان الملابس الداخلية، وما تلف به العمائم، ومما يعمل منه الخُمُر التى تغطى رؤوس النساء،

---

(1) القزويني: آثار البلاد وأخبار العباد، ص١٩٣.

(2) المقدسي : أحسن التقاسيم ، ص١٩٩ ، سلام شافعي : أهل الذمة فى مصر، ص١٤٥-١٤٧ .

(3) جمال الدين الشيال: مجمل تاريخ دمياط ، ص٧٠.

(4) عبد الحميد سليمان: دمياط ، ص١٩٤.

(5) العريني: مصر فى عصر الإيوبيين ، ص١٩٧-١٩٨.

(6) جمال سرور: الحضارة الإسلامية فى المشرق، ص١٣٦.

(7) عبد الحميد سليمان: مرجع سابق ، ص١٩٤.

(8) أحمد مختار العبادي: الحياة الإقتصادية، ص٣٣٤.

وليس أدل على شهرة مدينة دمياط في المنسوجات الكتانية[1] مما عرفت به من تسميتها بدمياط الأعاجم وكان لشهرتها أثر في تسمية أحد المدن بفارس بدمياط الأعاجم [2].

ومن المنسوجات المتفردة والتي عرفت بها دمياط إلى جانب المنسوجات الكتانية، صناعة ما عرف بالشرب الدمياطية[3]. حيث يبلغ ثمن الواحد منه مائة دينار، والذي لا يوجد فيه خيوط من الذهب، والتي لم يعرف في الدنيا مثلها غير ما يوجد بدمياط وتنيس[4]. حيث عرفت دمياط بالشرب من النوع الأبيض، أما تنيس فعرفت بالنوع الملون المصبوغ والذي قد يبلغ ثمنه أيضاً الثلاثمائة دينار وليس فيه ذهب[5].

وعرفت المنسوجات الدمياطية بتنوعها في شطا ودميرة وتونة[6] ودبيق [7]. يذكر أن بعض التجار قد باع حلتان دمياطيتان بثلاثة آلاف دينار وهذا لم يسمع بمثله في بلد قط. حيث يذكر أنه ليس

---

(1) أحمد مختار العبادي :الحياة الاقتصادية،ص٣٣٤.

(2) جمال سرور:الحضارة الإسلامية في المشرق ،ص١٣٦، عبد الحميد سليمان: دمياط ، ص١٨٩.

(3) عبد المنعم ماجد: الحضارة الإسلامية،ص٦١٤ .

(4) ابن مماتي: قوانين الدواوين، ص٨١ .

(5) القزويني: آثار البلاد وأخبار العباد، ص٧٨.

(6) ناصر خسرو: سفرنامة، ص٧٨.

(7) دبيق : هي قرية من قرى دمياط،عرفت بإنتاج المنسوجات وخاصة الدبيقية والتى نسبت إليها وعرفت بأنها نوع من الأقمشة الحريرية المزركشة كما كانت تنسج بالذهب،ويبلغ الثوب منها مئة دينار،وعرفت بصناعتها للأقمشة الكتانية الرفيعة،والحريرية وكان لاشتهارها بإنتاج المنسوجات والتي اشتهرت بالعراق.الأمر الذي جعل العراق وأهلها يطلقون على إحدى قراهم ببغداد اسم دبيق لتروج في السوق رواج منسوجات دبيق المصرية المشهورة بالجودة والمكانة. كما كان بدبيق ينسج كسوة الكعبة، وعرفت دبيق بإنتاجها في بلاد المغرب.(ناصر خسرو:مصدر سابق، ص٩٦، المقريزي:الخطط،ج١،ص٦٣٠،ابن ظهيرة الفضائل الباهرة، ص٥٣-٥٤ ، جمال سرور:مرجع سابق، ١٣٦،عبد الحميد سليمان : مرجع سابق ، ص١٨٧، الشيال:مجمل تاريخ دمياط ، ص٧٠-٧٣، سعيد مغاوري:النشاط التجاري بين بلدان العالم العربية ، ص٨٥٩) .

في الدنيا ملك جاهلي ولا إسلامي يلبس خواصه وحرمه غير ثياب من مدن مصر كدمياط[1]. ومن بين المنسوجات التي كانت تصنع بدمياط: القصب البلخي وكان يصنع بدمياط[2] ونسج من القصب الملون ووقايات الرأس البيضاء والتي لم ينسج منها إلا بها[3]. وكانت تلك المنسوجات من بين المنتجات التي يفرض عليها ضرائب[4].

كما أنتج بدمياط نوع من الثياب الرفيع يسمى البدنه يبلغ الثوب منه إذا نسج من الكتان وحده مائة دينار، وإذا نسج من الكتان والذهب مائتي دينار. وكان يصنع منه أيضا العمامات ووقايات ما تلبسه النساء[5]. كما أنتج بدمياط البوقلمون والذي عرف بألوانه البراقة وكان يصنع منه هوادج الجمال بالبلود وسروج الخيل الخاصة بالسلطان، وقد نقلت صناعته من بلاد اليونان، إلى كل من تنيس ودمياط[6]، ويعمل من القلموني أو البقاموني الفرش[7] من كالجازان للحف، والمطرز، ومناشف الأبدان، والرجل، ويباع الثوب المقصور منه بخمسمائة دينار أو أقل أو أكثر[8]. كما كان يصنع بمدينة دمياط نسيج يسمى القرقوبي[9].

وقد عرفت مدينة دمياط بإنتاج المنسوجات الحريرية وخاصة المنسوجات الموشاه بالذهب، كما صنعت منها خمارات النساء باللون الأسود، وكذلك صنعت قلانس شاشية لها حواف من الحرير الملون

---

[1] ياقوت الحموي: معجم البلدان، م٢، ص٤٧٣-٤٧٤، ابن ظهيرة: الفضائل الباهرة، ص٥٤.

[2] ياقوت الحموي: مصدر سابق، م٢، ص٤٧٤.

[3] عبد المنعم ماجد: الحضارة الاسلامية، ص٢٢٤.

[4] المقدسي: أحسن التقاسيم، ص٧٣.

[5] الدميال: مجمل تاريخ دمياط، ص٧٣.

[6] عبد الحميد سليمان: دمياط، ص١٨٩، نقولا يوسف: دمياط، ص١٩٤.

[7] القزويني: آثار البلاد وأخبار العباد، ص١٩٤.

[8] نقولا يوسف: مرجع سابق، ص١١٤-١١٥.

[9] القرقوبي: هو نسيج منسوج بالذهب، وسمي بذلك لمشابهته لطير القرقوب الذي كان يرى في الغدو في البحيرات ويمتاز بألوانه اللامعة التي تتغير إذا انعكست عليها أشعة الشمس (نفس المرجع والصفحة).

كنوع من الزينة، وكذلك صناعة القنيلان، والعمائم. وكان الحرير يتم استيراده من سوريا. أما الكتان والقطن فكانت تحصل عليهما من خراج مختلفة في مصر[١].

وكان لاشتهار مدينة دمياط بتصدير منسوجاتها إلى الأسواق الخارجية وشهرتها الصناعية والتجارية من الأسباب التي أطمعت فيها الفرنج فضلاً عن قرب مدينة دمياط إلى موانئ بيت المقدس[٢].

صناعة السفن

اهتم سلاطين الأيوبيين بصناعة السفن، فكان في مصر ثلاث دور رئيسية لصناعة السفن، دار بالفسطاط ودار بالإسكندرية ، و دار الصناعة بدمياط[٣]. وتالت صناعة السفن بدمياط اهتمام السلاطين[٤]باعتبارها من أهم وسائل الدفاع عن البلاد ضد المغيرين[٥]. تنوعت السفن بدار الصناعة بدمياط، فكان فيها السفن الحربية،السفن التجارية، وسفن الصيد،وسفن صغيرة أخرى عرفت باسم الجروب ،وكانت تنقل البضائع من السفن الكبيرة التي لا تستطيع الدخول في ميناء دمياط ، وقد شكلت صناعة السفن جزءاً من الكيان أو الهيكل الاقتصادي لدمياط، وساعد على وجودها في دمياط موقعها على النيل والبحر المتوسط والذي كان ملائما للظروف السياسية والاقتصادية بمصر[٦].

وكانت من مقومات صناعة السفن بدور الصناعة بدمياط: الأخشاب، وكان الديوان المسئول عن توفيرها من الحراج المنتشرة في كل من الأشمونيين وأسيوط وأخميم وغيرها كما سبق ذكره[٧]. ومن الأشجار التي استخدمت في صناعة السفن أشجار اللبخ الذي بلغ ثمن اللوح منها خمسين ديناراً، وبلغت أهمية هذه الأشجار درجة قيل فيها أن اللوح إذا ضم أحدهما إلى الآخرضماً شديداً التحم وصار

---

[١] عبد الحميد سليمان، دمياط ، ص١٩٣.

[٢] جوزيف نسيم: العدوان الصليبي، ص٩٣.

[٣] ابن مماتي : قوانين الدواوين ، ص٣٤٠ . نقولا يوسف: دمياط ، ص١٢٣.

[٤] حسن ابراهيم حسن ، علي ابراهيم حسن : النظم الاسلامية ، ص٢٦١ .

[٥] جوزيف نسيم: مرجع سابق ، ص٣٩.

[٦] عبد الحميد سليمان:مرجع سابق ، ص١٩٨.

[٧] ابن مماتي: مصدر سابق ، ص٣٤٦.

لوحاً واحداً. وذكر السيوطي: أن خشب اللبخ منه ما أصلح من الأبنوس اليوناني غير أن خشب مصر لم يكف دور الصناعة فاضطرت مصر لاستيراد ما يلزمها من الشام والأناضول والمواد الأخرى اللازمة لصناعة السفن، كما كانت تفرض الدولة على الكور قدراً من الأدوات والآلات المختلفة اللازمة لصناعة السفن وتسويتها وتعهد بذلك حكام الكور[1].

وقد تعددت أنواع السفن وأسماؤها ومنها[2] الطريدة والحمالة والشيني والمسطح والحراقة والشلندي والمركوش[2].

كما تعددت السفن التي تجوب البحر الأبيض المتوسط في مدينة دمياط ومنها سفن تعرف بالخنزيرة[3]، وسفن يقال لها الأسطول Istul[4]، و القراقر[5] والغراب[6]، والشخطورة[7]، القطائع، Qatai أو

---

[1] عبد الحميد سليمان، دمياط ، ص١٩٧-١٩٨.

[2] قد سبق تعريف تلك السفن (ابن مماتي : قوانين الدواوين ، ص٣٣٩-٣٤٠).

[3] الخنزير: هو اسم أطلق على نوع من السفن وهي قريبة الشبه بالمراكب المعروفة بالدوامة واستخدمت في الطريق من صقلية وتونس وطرابلس والمغرب ومصر (صابر دياب : دراسات في عالم البحر المتوسط، ص٧٤-٧٥).

[4] الأسطول: أطلق ذلك الاسم عند العرب على السفن الحربية الثقيلة ووردت كلمة أسطول عند الروم واليونانيين بهذه الهيئة fleet (Stolos) (نفس المرجع السابق ، ص٧٦).

[5] القراقر: تستعمل لحمل البضائع وعرفت بخفتها ، وقدرتها على المناورة بسهولة والهرب من هجمات القراصنة المزعجة كما كان لصغرها أقل حجماً وأقل تعرضاً لتغيرات الريح والأنواء ولكنه لم يرد إشارات كبيرة في استخدمها كسفن تجارية (نفس المرجع السابق ، ص٧٤).

[6] الغراب: نوع من سفن القراقر عرف أيضاً بذلك الاسم وهي مخصصة لحمل البضائع وكانت تستخدم بالمجاديف وتسير بواسطتها ، وتستخدم تلك السفن في السفر والارتحال (نفس المرجع السابق، ص٧٤).

[7] الشخطورة: هي نوع من السفن التي تسير قرب الساحل وليس في عرض البحر أي قوارب ساحلية وترد اسمها في مجموعة الجنيزا . وكانت تستخدم في الرحلات من مصر وتونس وطرابلس والمغرب ومصر وتقوم برحلاتها من الإسكندرية إلى المرية في أسبانيا وعرفت بسرعتها (نفس المرجع السابق، ص٧٦).

Aqta[1]، والقنبر Qunabar[2].

الصناعات الغذائية بدمياط

أ- صناعة السكر

من الصناعات التى عرفت بها مدينة دمياط ، صناعة السكر وساعد على ذلك أنه كان يزرع بها قصب السكر، ويذكر أن الفدان من القصب يخرج منه من السكر أربعون قنطار بالغوى وهو مئة قنطار بالمصرى وربما يزيد[3]، حيث كان ثغر دمياط من الثغور التى يعمل بها سكر كثير يجلب منه إلى سائر الأقاليم، وقد ارتبطت صناعة السكر بصناعة العسل التى عرفت بها مدينة دمياط. كما ارتبطت أيضاً بصناعة السكر صناعة الحلوى[4] ، حيث تصنع منه الحلوى على اختلاف أنواعها وأشكالها مما احتاج إليه السلاطين فى أعيادهم و ولائمهم وأيام انتصاراتهم الحربية، وخاصة أن السلاطين كان من عادتهم أن يبعثوا بمقادير كبيرة من هذه الحلوى في أواني كبيرة إلى بيوت الوزراء والعلماء وكبار رجال الدولة[5].

ب- إنتاج الأسماك

عرفت مدينة دمياط بإنتاجها من الأسماك وساعد على ذلك الموقع الجغرافى لمدينة دمياط. حيث يحد دمياط شرقاً بحيرة تنيس، والنيل غرباً ،والبحر المتوسط شمالاً ، حيث كانت تقوم بعد

---

[1] القطائع: للتعبير عن المراكب وتستخدم فى السفريات الشاقة والتى كانت تسير فى اتجاه مضاد للتيار. ومثال على ذلك تسير من القاهرة إلى قوص فى أعالي مصر وتذهب المركب وتعود بعد أن تمكث يومين فقط (صابر دياب :دراسات فى عالم البحر المتوسط، ص٧٦).

[2] القنبر: كانت تلك السفن تستخدم فى نقل الأحمال الثقيلة والمسافرين في البحر المتوسط ، وقد استخدم البنادقة تلك السفن وهى سفن كبيرة وكلمة قنبر البيزنطيون والبنادقة يقصدون بها رجل الحرب وهي ما ذكرتها مجموعة الجنيزا وعرفتها وتستخدم فى نقل الأحمال الثقيلة والمسافرين. (نفس المرجع، ص٧٣).

[3] ابن ظهيرة: المحاسن الباهرة ، ص٥٤.

[4] سلام شافعي : أهل الذمة في مصر ، ص١٧٢-١٧٤.

[5] نفس المرجع و الصفحة .

اصطيادها للأسماك بتجفيف بعضها، وبيع بعضها طرياً ، وكان ما يتم اصطياده من بحيرة تنيس وما كان يخرج من بحيرة تنيس كان ملكاً للسلطان ولا يقدر أحد على الصيد بها إلا أن يكون من صياديها القائمين بالضمان [١].

ومن بين الأصناف التي كانت تنتج بدمياط البطاريخ من اللحم وهي مأكول الأكابر [٢]. ويصطاد من دمياط سمكة يقال لها الدلفين، كما توجد بها سمكة أخرى من أكلها رأى منامات هائلة [٣]، كما كان يستخرج منها السمك البوري، والذي تشتهر بإنتاجه من مصايدها [٤] وخاصة بقرية بورا التابعة لها [٥]. ويكثر بمدينة دمياط أكل السمك ويطبخ بكل ما يطبخ به اللحم من الأرز والسماق والمدققات حيث كان هذا السمك يجلب إلى سائر الأقاليم بالديار المصرية طرياً وقديداً حيث يباع صيفاً وشتاءاً [٦]. ومنها ما كان يذهب إلى القاهرة [٧] والفسطاط [٨] إلى جانب ذلك سوريا وثغور المشرق حيث كان المسيحيون يستهلكونه خلال نوبات الصيام الكثيرة التي يمتثلون لها [٩]. كما عرفت دمياط بإنتاج الطيور [١٠].

---

[١] عبد الحميد سليمان: دمياط ، ص١٩٩.

[٢] نفس المرجع و الصفحة.

[٣] القزويني: آثار البلاد وأخبار العباد ، ص١٩٣.

[٤] ابن شاهين : زبدة كشف الممالك ، ص٣٤-٣٥ .

[٥] قرية بورة : تقع الشمال الغربي من دمياط . عرفت بإنتاجها من السمك البوري ، لذلك اطلق عليها بورة ، وتعرضت سنة (٦١٠هـ / ١٢١٣م) لهجمات العدو وسبي أهلها وخربها . واشتهرت ايضا بإنتاجها من المنسوجات وخاصة العمائم البورية والتي كانت تصدر إلى العراق وفارس (الإدريسي : نزهة المشتاق ، ص٣٣٩، المقريزي : السلوك ، ج١ ، ق١ ، ص٢٣٠ ، ابن إياس : بدائع الزهور ، ج١ ، ق١ ، ص٢٦ ، عبد المقصود : السياسة الداخلية ، ص٢١٩) .

[٦] ابن شاهين: مصدر سابق ، ص٣٤-٣٥.

[٧] عبد الحميد سليمان: مرجع سابق ، ص١٩٩.

[٨] عبد المجيد بدوي: مصر الإسلامية ، ص١١٠.

[٩] عبد الحميد سليمان: مرجع سابق، ص١٩٩.

[١٠] ابن شاهين: مصدر سابق، ص٣٤-٣٥.

ج- إنتاج دمياط للحبوب والخضر والفاكهة و الألبان

عرفت دمياط بإنتاجها للفاكهة حيث كانت تملك من إنتاج البساتين قرابة ثلاثمائة بستان وكانت أشهر فاكهتها الموز[1] والتمور وكانت تقوم بنقله إلى باقي مدن مصر[2]. كما عرفت بإنتاجها للحبوب مثل الأرز والذى قامت عليه صناعة تبييض الأرز[3] وكما اشتهرت دمياط بتربية الأغنام والماعز والماشية واعتمد عليها في إنتاج منتجات الألبان وعرفت بإنتاج الألبان الجاموسية التى لا مثيل لها فى العزوبة والطعم[4]. كما عرفت بإنتاجها للسمسم وصناعات أخرى مثل الحدادة والصناعات الجلدية[5].

مدينة دمياط التجارية

عرفت مدينة دمياط التجارية بأنها ليست فقط مدينة صناعية بل أيضاً كانت مدينة تجارية ساعدها على ذلك تواجد مرافق التجارة حيث تتواجد بها الأسواق الداخلية[6]. والتى كانت تزخر بما تنتجه سواء كان من المنسوجات أو غيرها من المنتجات التى عرفت بها[7]، إلى جانب المنتجات الغذائية مثل الأسماك[8]، والتى كانت تمد به القطر المصري[9]، وغيره من المنتجات، ومن المرافق التى تواجدت بها إلى جانب الأسواق والفنادق حيث تواقد عليها جماعة كبيرة من التجار وأصحاب المال[10].

---

(1) العمري: مسالك الأبصار، ص٩٤.

(2) عبد الحميد سليمان: دمياط، ص٣٠٧.

(3) الشيال: مجمل تاريخ دمياط، ص٧٧.

(4) عبد الحميد سليمان، مرجع سابق، ص٣٠٧، عبد المجيد بدوي: مصر الإسلامية، ص١١٠.

(5) الشيال: مرجع سابق، ص٧٧.

(6) ابن دقماق: الأنتصار، ق٢، ص٨١.

(7) الأصطخري: المسالك والممالك، تحقيق محمد جابر، دار القلم، القاهرة، ١٩٦١م، ص٤١.

(8) فايد عاشور: العلاقة بين البندقية والشرق الأدنى، ص٢٢٤.

(9) البغدادي: مراصد الاطلاع، ص٥٣٦.

(10) ابن دقماق: مصدر سابق، ق٢، ص٨١، الإدريسي: نزهة المشتاق، ص٣٢٨.

كما ساعدها على رواج حركة تجارتها سواء كانت الداخلية أو الخارجية موقعها الجغرافي على البحر الأبيض المتوسط ، وعلى نهر النيل[١]، وخاصة بعد تهدم الفرع البلوزي القديم الذى كان ينتهي عند الفرما والذى أخذ فى الاضمحلال شيئاً فشيئاً ثم طمرته الرمال نهائياً فى الوقت الذى اتسع فيه فرع دمياط وأصبح طريق الملاحة بين العاصمة والبحر ، وقد نشطت تجارتها وازدهرت وخاصة بعد تخريب كل من الفرما وتنيس سنة (٦٢٤هـ / ١٢٢٦ م) وعادت الميناء الوحيدة فى الركن الشمالي الشرقي فى البحر المتوسط[٢] مما أتاح إلى دمياط الجمع بين التجارة الداخلية عن طريق النيل وخاصة أن معظم السكان يتركزون حول النيل مما ساعد على انتعاش حركة تجارتها الداخلية عن طريق مع مدن مصر، والتجارة الخارجية مع الأقطار المطلة على حوض البحر المتوسط[٣].

وكانت بحكم موقعها سوقاً للتجارة الدولية يمتلىء إلى جانب السلع التى تصنعها بالسلع الوافدة إليها سواء من بلاد الشام وآسيا الصغرى واليونان، ومنها تنقل السلع إلى بلاد الغرب ، وكانت تلك التجارة تدر على السلطان فى مصر أرباحاً كثيرة لذلك نالت دمياط من الإهتمام سواء كان سياسياً من حيث تحصيناتها للتصدى لهجمات الطامعين فيها[٤] ،أو من الجانب التجاري المتمثل فى تعيين محتسب لمراقبة الأوضاع بها[٥].

كما أنشأت الدولة ديواناً خاصاً بالعمليات التجارية يسمى ديوان المتجر السلطاني ووظيفته شراء مختلف البضائع اللازمة مثل الخشب، والحديد وحجارة الطواحين وغيره. مما تدعو إليه حاجة الدولة والجيش . كما سبق ذكره والذى يوجد فى كل من تنيس والإسكندرية أيضاً.وكان السلاطين يحصلون من التجار الواردين عليها ضريبة الخمس[٦].

---

(١) السيد سالم: دراسات فى تاريخ مصر، ص٢٩٩.

(٢) كانيال: مجمل تاريخ دمياط ، ص٦٧.

(٣) السيد سالم : مرجع سابق ، ص٢٩٩ ، عبد الحميد سليمان : دمياط ، ص١٧٢.

(٤) جوزيف نسيم: العدوان الصليبي، ص٩٠.

(٥) عبد الحميد سليمان : مرجع سابق ، ص١٧٥ .

(٦) ابن مماتي: قوانين الدواوين، ص٣٢٦ ، نقولا يوسف: دمياط، ص١٢٥.

وساعد وجود ديوان المتجر على انتعاش حركة التجارة بالمدينة إلى جانب اهتمام الدولة بالثغر فقد عينت عليه أيضاً محتسباً للنظر في أمورها والذي كان يخضع لإشراف محتسب القاهرة[1]. كما عينت حراساً على مدينة دمياط وعلى أبراجها حتى لا تستطيع سفن العدو التوغل داخل البلاد[2].

وقد لعب موقعها على نهر النيل دوراً تجارياً في العصر الأيوبي ذلك لأن تجارة الشرق الأقصى الوافدة عبر البحر الأحمر كانت تصل إلى عيذاب ومنها تحمل بطريق القوافل إلى أسوان ثم تنحدر السفن شمالاً حتى تصل إلى دمياط حيث كانت الميناء الوحيد في الجزء الشرقي، والذى كان مركزاً لتبادل السلع الواردة إلى مصر والصادرة منها[3]. وليس أدل على حركة الفسطاط التجارية مدينة دمياط أنه كان نشاطها التجاري مستمراً طوال السنة بعكس ثغر الإسكندرية حيث كان ثغراً موسمياً فقط. كما كان لقرب دمياط من بلاد الشام أثر في ازدياد نشاطه التجاري الأمر الذى جعله عرضة من وقت لآخر لحركة الغزو من قبل الفرنج[4].

فكان للنشاط التجاري بالمدينة أثر في جذب التجار الأجانب إلى دمياط والتى أصبحت فى العصر الأيوبي محطاً لأولئك التجار ومركزاً لنشاطهم الاقتصادي[5] وخاصة المدن الإيطالية حيث كان تجارها يحصلون على سلعها المختلفة ومنها المنسوجات والتى كانت تصدر بكميات كبيرة إلى فى أوروبا. وليس أدل على ذلك أن الغربيين أقاموا مصانع نسيج يقلدون فيها المنسوجات المصرية وزخارفها[6]. كما حصل التجار الأجانب من مصر على المعادن وخاصة معدن النطرون والذى كانت

---

(1) عبد الحميد سليمان: دمياط ، ص١٧٥.

(2) ابن شاهين: كشف الممالك، ص٣٥ ، عبد الحميد سليمان: مرجع سابق ص١٧٥-١٧٦.

(3) الشيال: مجمل تاريخ دمياط، ص٦٦ ، عبد الحميد سليمان: مرجع سابق ص١٧٢.

(4) عبد الحميد سليمان: مرجع سابق ، ص١٧٥-١٧٦.

(5) جوزيف نسيم: علاقة مصر بالممالك الإيطالية، ص١٠٧.

(6) عبد الحميد سليمان: مرجع سابق، ص١٨٨.

ونظراً لما عرفت به مدينة شطا من جودة منسوجاتها احتكرت الدولة إنتاجها بل وتجارتها أيضاً خاصة في المنسوجات على يد سماسرة يأخذون ترخيصاً من السلطان حيث يثبت أتباع السلطان ما يباع في جريدة خاصة بذلك، ثم تحمل البضائع من الثياب الشطوية.وتطوي وتنقل إلى من يشدها بالقش في السفط، وبعدها تنقل إلى من يخرمها وكان كل شخص من السماسرة يأخذ رسماً بالإضافة إلى ضريبة تؤخذ على الساحل عند تصديره إلى الخارج، ويكتب على السفط علامته ثم تفتش المراكب عند إقلاعها[1].

وقد تاجرت المدينة في إنتاج المنسوجات وبيعها وخاصة أن تلك المنسوجات كان يتم تصديرها عن طريق مصر إلى الخلافة العباسية، وبلاد فارس[2]. وقد تعرضت المدينة للإغلاق عقب تدمير الكامل لمدينة تنيس(٦٢٥هـ/١٢٢٧م) خوفاً عليها من وقوعها في يد الفرنج أثناء الحملة الخامسة[3].

مدينة تِنِّيس

تنيس بكسرتين وتشديد النون وياء ساكنه وسين مهملة[4]. هي إحدى المدن الكبرى في العصور الوسطى، والتي كانت تقوم على جزيرة في الشمال الشرقي من البحيرة التي كانت تحمل اسمها في العصور الوسطى بحيرة تنيس وهي المعروفة الآن ببحيرة المنزلة[5]، وهي قريبة من البر وتقع بين الفرما ودمياط [6]،و إلى جانب اتصال تنيس بالبحر الأبيض المتوسط تتصل أيضاً بنهر النيل والذى تحصل منه على المياه العذبة وتتصل بآخرعمل الدقهلية والمرتاحية[7].

---

[1] المقدسي: أحسن التقاسيم، ص١٩٩.

[2] الشيال: مجمل تاريخ دمياط، ص٧٣.

[3] الحويري: مصر في العصور الوسطى، ص٢٣١.

[4] ياقوت الحموي: معجم البلدان، ج١، ص٥١.

[5] ابن بسام: أنيس الجليس في أخبار تنيس، ص٨٤.

[6] ياقوت الحموى : مصدر سابق ، ج١ ، ص٥٢ ، القزويني : آثار البلاد واخبار العباد ، ص١٧٧ .

[7] المقريزى : الخطط ، ج٢ ، ص٤٩٧.

جمعت المدينة بين الصناعة والتجارة حيث كان أكثر أهلها صناعاً وحاكة يصنعون الثياب الشرب التي عرفت واشتهرت بها مدينة تنيس[1]. كما كانت تحتوي على عدد كبير من الحوانيت مما انعكس على أهلها ورفاهيتهم[2] وقد بلغ عدد سكانها خمسون ألفاً[3].

ونظراً لأهمية المدينة صناعياً وتجارياً فقد عنى سلاطين الأيوبيين بها وبتحصينها[4] وخاصة لتعرضها لهجمات الفرنجة حتى أمر الملك العادل سنة ٦٢٤هـ/١٢٢٦م بتخريبها حتى لا تقع في يد الفرنجة وانتقل أهلها إلى مدينة دمياط[5].

إنتاج المنسوجات

عرفت مدينة تنيس بأنها من أهم ثغور مصر الشمالية ومركزاً من أهم مراكز صناعة النسيج في العصور الوسطى وكان بمدينة تنيس داراً للطراز[6] حيث حرص سلاطين الأيوبيين على إنشاء مصانع رسمية خاصة تختص في صنع ملابسهم الخاصة، وملابس طبقتهم الخاصة بهم حيث كان يصنع بمدينة تنيس كسوة خاصة في كل عام بدير الطراز[7].

وقد ذكر ابن بسام الذي عاصر بعض ملوك الأيوبيين أن حي الصناعة كان بالربض الدائر بسور المدينة مما يلي الغرب حيث دار الإمام مما يدل على أن الدولة قد أبدت اهتماماً خاصاً بتوفير الخدمات المختلفة لأهالي المدينة وبخاصة العاملين بالصناعة حيث يكثر المصانع. أما الربض البحري من المدينة فكان بها كنائس ومفارش لتبيض الأمتعة وحجارة منقوشة لضربها (يعنى الثياب) ونقائها كثيراً مما يبعث على الاعتقاد بأن هذا الحي كان معظم القاطنين فيه من عمال[8].

---

[1] ابن إياس: بدائع الزهور، ج١، ق١، ص٢٠٥.

[2] ابن اياس: نزهة الأمم، ص١٨٤.

[3] ناصر خسرو: سفرنامة، ص٧٦-٨٧.

[4] الحسن بن علي: آثار الأول في ترتيب الدول، ص١٦٦.

[5] المقريزي: السلوك، ج١، ق١، ص٢٦٦.

[6] ابن بسام: أنيس الجليس، ص١٧٠.

[7] العبادي: الحياة الاقتصادية، ص٤٠٪.

[8] ابن بسام: مصدر سابق، ص١٧٠، سلام شافعي: أهل الذمة في مصر، ص١٥٠.

وقد عرفت تنيس بوجود عدد كبير من المناسج[1]، فقد اشتد العمل بها فكانوا عشرة آلاف عامل سوى من يطيب أو يرسم من ذكر وأنثى[2]، وكان أكثر العاملين بهذه المصانع من العمال القبط الذين احتفظوا بدينهم[3]. وقد نالت مدينة تنيس من الشهرة في المنسوجات أقصاها[4].

حيث أنتج بتنيس أرقى أنواع المنسوجات ومنها الحلل التنيسية التي ليس في جميع الأرض ما يدانيها في الحسن والقيمة، وربما بلغ الثوب من ثيابها إذا كان مذهباً ألف دينار ونحو ذلك ما لم يكن فيه ذهب، وتنعم للدالة والمائتين إذا كان من الكتان[5].

كما عرفت مدينة تنيس بإنتاج المنسوجات الكتانية والتي كان يتم تصديرها إلى أوروبا وآسيا حيث تميزت منسوجاتها الكتانية بالرقة[6] و ارتفاع قيمتها[7]، حيث كان يصنع منها الملابس الداخلية وتلف بها العمائم ويصنع منها الخمر التي تغطى رؤوس النساء[8]. وساعد على شهرة ورواج المنتجات الكتانية توافر نسيج الكتان في مصر في منطقة شرق الدلتا حيث كانت أشهر مراكزه إلى جانب تنيس دمياط وشطا وتونة[9]. ومن أمثلة ذلك الكتان الدبيقي، والمقصور، والشفاف، وكان يصنع منها أيضاً الأردية وأصناف المناديل والمناشف والصحاف والفرش، ويبلغ الثوب المقصور أي الذي ليس فيه ذهب

---

(1) ابن إياس: نزهة الأمم، ص١٨٤.

(2) ابن بسام: أنيس الجليس في أخبار تنيس، ص١٨٥.

(3) ناصر خسرو: سفرنامة، ص٧٨.

(4) سالم شافعي: أهل الذمة في مصر، ص١٤٧.

(5) نفس المرجع والصفحة.

(6) نفس المرجع ص١٤٥- ١٤٧، العريني: مصر في عصر الأيوبيين ص١٩٨.

(7) العمري: مسالك الأبصار، ص٩٤، الأصطخري: المسالك والممالك، ص٤١٦.

(8) العبادي: الحياة الاقتصادية، ص٢٣٤.

(9) جمال سرور: مصر في عصر الدولة الفاطمية، ص٢٠٠.

فيها خمسمائة دينار و لا يعرف فى غيرها من المدن[1].

فيها خمسمائة دينار و لا يعرف فى غيرها من المدن قد احتلت مكانة متميزة فى نفوس

وتجدر الإشارة أيضاً إلى أن صناعة المنسوجات التنيسية قد احتلت مكانة متميزة فى نفوس

السلاطين حيث حرصت الدولة على الإشراف على مصانع النسج والتى كان يصنع بها المنسوجات[2]

الخاصة بالوزراء والسلاطين وكبار رجال الدولة وكذلك كانت الدولة تحرص كل الحرص على توفير

الأمن والحماية لأهليها إلى جانب توفير الحوانات الخاصة بها[3]. واستمرت تنيس تنسج المنسوجات الكتانية

التي كان يحصل منها ما يبلغ مائة دينار حتى سنة (٦٢٥هـ/١٢٢٧م) بعد أن أمر الملك الكامل

بهدمها[4].

ومن أشهر المنسوجات التى صنعت بتنيس المنسوجات التى عرفت بقباطي مصر أى التى

صنعها الأقباط. و التى ارتبطت باسمها بكسوة الكعبة و بشرف إهدائها إلى الرسول (ص) [5]، وقد

عرفت مدينة تنيس بإنتاج المنسوجات الحريرية والتى اعتمدت على الحرير المستورد من سوريا، وقد

عرفت بالمنسوجات الحريرية المموهة بالذهب والتى ازدهرت بها[6].

كما تميزت المدينة بصناعة المنسوجات الدبيقية أي التي على الطراز الدبيقي[7] والشرب

القصبي[9] بحيث أن الشخص كان يلبس منه عمامة طولها مائة ذراع (خمسين متر) [8] وليس فى الدنيا

---

[1] سعيد مغاوري: النشاط التجاري بين بلدان العالم العربي، ص١٤٩.

[2] ناصر خسرو : سفرنامة ، ص٧٧.

[3] سلام شافعي: أهل الذمة في مصر ، ص٤٥١ - ١٤٧.

[4] الحويري: مصر فى العصور الوسطى، ص٢٣١.

[5] عبد الرحمن زكي : تاريخ فن النسيج ، ص٤٠-٤٢.

[6] المقريزي : الخطط ، ج١ ، ص٥٠٨ - ٥١٩ .

[7] نفس المصدر ، ج١ ، ص٥٠٨ .

[8] عبد المنعم ماجد : الحضارة الإسلامية ، ص١١٤ .

[9] السيد طه ابو سديرة: الحرف والصناعات في مصر الإسلامية منذ الفتح حتى نهاية العصر الفاطمي ، الهيئة المصرية العامة, القاهرة، ١٩٩١م، ص ٦٥.

من إهداء صلاح الدين إلي نور الدين بدمشق هدية كانت تحتوي على ذلك النوع من المنسوجات التنيسية[1].

كما كان ينسج بها نوع من القماش يسمى القصب[2] والذي يعد نوع من الكتان الرقيق المطرز ولا ينسج إلا في تنيس ودمياط والقماش رقيق جداً[3]. وكانت تنيس تنتج منه النوع الملون، وكانت ملابس السلطان تنسج منه[4]. حتى يذكر أن أمبرا فارسيا أرسل مندوبيه وسعيهم عشرين ألف دينار ليحصل على كسوة كاملة من النسيج السلطاني الذي يصنع في تنيس ولكنهم لم يتمكنوا من ذلك لأن ذلك النسيج كان خاصاً بالسلطان فقط[5].

كما عرفت تنيس بإنتاج نوع من المنسوجات يسمي البوقلمون ويحمل منه إلي المشرق والمغرب[6]. كما كان يصنع منه هوادج الجمال ولبد سروج الخيل الخاصة بالسلطان، كان السلطان يشتريه نقداً من صناعه، وما ينسج منه في مصانع السلطان لا يباع ولا يعطي لأحد. وقد نقل هذا النوع من صناعة المنسوجات من بلاد اليونان[7]. ويصنع منه (البوقلمون) الفرش والثياب النفيسة. وكما يُصدر منه إلي بلاد العراق ما تتراوح قيمته ٢٠,٠٠٠، ٣٠,٠٠٠ دينار في السنة[8].

كما كان يصنع بها نوع من القماش يسمى القرقوبي[9]. وليس أدل على الشهرة التى وصلت إليها تنيس أنه قد اقترن اسمها باسم المنسوجات التى تقوم بتصنيعها[10]. ولم يقارن ما ينسج فى شطا،

---

[1] السيد أبو سديرة: الحرف والصناعات، ص٦٥.

[2] ناصر خسر: سفرنامة ، ص٧٧.

[3] عبد المنعم ماجد: تاريخ الحضارة الإسلامية، ص١١٣-١١٤ ، أبو صالح الألفي: الفن الإسلامي، ص٢٩١.

[4] ناصر خسرو: مصدر سابق ، ص٧٧.

[5] أبو صلاح الألفي: مرجع سابق ، ص ٢٩١.

[6] ناصر خسرو: مصدر سابق ، ص٧٧.

[7] نفس المصدر، ص٧٩.

[8] ياقوت الحموي: معجم البلدان، م٢، ص٥١ ، ابن دقماق: الأنتصار، ق٢، ص٧٨.

[9] نقولا يوسف: دمياط ، ص١١٤-١١٥.

[10] عبد المقصود عبد الحميد: السياسة الداخلية للأيوبيين، ص٢١٩.

وبحيرة، ويوبنه، بما قاربهم من تلك الجزائر بعض الرفيع من القماش، وغير ذلك بمقارب للتنيسي والدمياطي[1]. وظلت المدينة عامرة بتلك الصناعة وغيرها حتى سنة ٦٢٤هـ/١٢٢٦م حتى أمر الملك الكامل بهدمها[2]، وانتقل أهلها إلى دمياط، والمحلة، وبذلك فقدوا صناعتهم[3].

صناعة السفن

عرفت مدينة تنيس بإنتاج السفن حيث يوجد بها دار لصناعة السفن والتي كان مركزها الربض الغربي[4]. حيث عرفت بمراكبها الخاصة بإنتاج الأسماك ما يقرب من حوالي ثلاثمائة واثنين وسبعين مركبًا[5]. ويذكر ناصر خسرو أنها كان يرابط بها ما يقارب ألف سفينة منها ما كان للسلطان ومنها ما كان للتجار[6].

ومن أشهر المراكب والتي عرفت باستخدامها في صيد الأسماك الجرافات، والأكنابات، والطواعين، والجراحين، والبارينات، والقرقدس، والدور وغيرها[7].

إنتاج المعادن

عرفت مدينة تنيس بصناعة الآلات الحربية كالمقصات والسكاكين وقد صنع بها مقراض ثمنه خمسة دنانير مغربية يفتح إذا رفع مسماره ويقفل إذا نزل. كما كان بها يصنع الأبواب المصفحة بالحديد للكنائس والأديرة وغيرها[8]. كما صنعوا أيضاً الأواني النحاسية وفازات نزية على أشكال

---

(1) ابن دقماق: الانتصار، ق٢، ص٧٨.

(2) نفس المصدر والصفحة.

(3) نقولا يوسف: دمياط، ص١٢٦.

(4) ناصر خسرو: سفرنامة، ص٨٠.

(5) ابن بسام: أنيس الجليس، ص١٨٦.

(6) ناصر خسرو: مصدر سابق، ص٧٩.

(7) هذه مراكب كانت مخصصة لصيد الأسماك في البحيرة وكانت صغيرة الحجم خفيفة الحركة وأكثر ما تحمل المراكب منهم ستين رجلا وأقله ثلاثة رجال، وقد تسلطت هذه المراكب في بعض الأوقات ما يباع بمائة دينار أو أكثر (ابن بسام: مصدر سابق، ص ١٧٧، ١٨٦).

(8) ناصر خسرو: مصدر سابق، ص٨٠، سلام شافعي: أهل الذمة في مصر، ص٢٦٠.

مختلفة مثل إبريق من النحاس الأصفر على شكل فارس أو حيوان أو طائر وكان القسس يستخدمونها في غسل أيديهم قبل القداس وفي أثنائه وبعده. كما صنعت الأواني المعدنية النفيسة من الفضة والذهب[1]. كما اشتهرت مدينة تنيس بإنتاج الأواني الخزفية وأدوات المصابيح والطبخ[2].

الصناعات الغذائية بتنيس

أ- إنتاج الأسماك والطيور

اشتهرت مدينة تنيس بصيد الأسماك وتربية الطيور[3]. وتعد الحرفة الثانية لسكانها بعد صناعة المنسوجات الراقية، وتميزت المدينة بإنتاجها للأسماك والطيور حيث كانت بحيرتها تفيض فيها ماء النيل أثناء الفيضان، وتتصل ببحر الروم ولا يتيسر إليها إلا عن طريق السفن[4]. وكان يتوسطها عدة جزر تعرف اليوم بالعنب (جمع عنبة) يسكنها طائفة من الصيادين في بعضها ملاحات[5]. حيث كان بها حسب رواية ابن بسام من المراكب الخاصة فقط بصيد الأسماك حوالي ٣٧٢ مركباً، وقد تحمل المركب الواحدة منهم حوالي ستين رجلاً[6].

وقد يقدر ما يباع لصطياده في بعض الأحيان بمائة دينار أو أكثر[7]، وبلغ عدد أنواع الأسماك بها ٧٩ نوعاً[8]، وذكر القزويني أيضاً حوالي ٩٩ نوعاً منها البوري، الرعاد، الطوبار[9]، وحوت البحر، والدلفين. لذلك خصصت الدولة ديوان خاص بها يسمى بديوان الأسماك وكان يقع في الربض القبلي،

---

(1) سلام شافعي: أهل الذمة في مصر، ص٩٦.

(2) إبراهيم أحمد العدوي وآخرون: الدولة الإسلامية تاريخها وحضارتها، مؤسسة ناصر للطباعة، بيروت، د.ت، ص٣٩.

(3) ابن إياس: نزهة الأمم، ص٢٨٣.

(4) الأصطخري: المسالك والممالك، ص٥٦.

(5) المقريزي: الخطط، ج٢، ص٢١٠.

(6) ابن بسام: أنيس الجليس، ص١٨٦.

(7) نفس المصدر والصفحة.

(8) ياقوت الحموي: معجم البلدان، م٢، ص٥٢-٥٣.

(9) القزويني: آثار البلاد وأخبار العباد، ص١٧٦-١٧٨.

ويبلغ إيراد ما كانت تفرضه الحكومة على صيد الأسماك حوالى ٥٠ ألف دينار في السنة[١]. وكانت مدينة تنيس تقوم ببيع هذه الأسماك في جميع المدن المصرية[٢].

أما ما كانت تنتجه من الطيور، فقد بلغ ١٣٠ نوعاً من الطيور[٣] وقيل ١٣٥ طائراً[٤] ولكن الأغلب هو مائة وثلاثون صنفاً[٥]. ومن أمثلة تلك الطيور المساني،الصقر، القمري، السمان، الإوز، البسط، الشمس[٦].

ب-مدينة تنيس وإنتاج الخمور والنبيذ والزبيب

عرفت مدينة تنيس بإنتاج الخمور حيث يغلب على أهلها من السكان شرب الخمور وخاصة الأقباط الذين يميلون إلى صناعة الخمور وشربها و خير دليل على صناعة الخمور. ما ذكره ابن بسام أن بها مائة معصرة مختلفة الإنتاج ومن بينها معاصر الخمور. كما كان يرد إليها كل سنة من المنطقة والشعير مائة أردب وما يلزم صناعته من المزر والنبيذ حيث كان الرهبان في الأديرة يتعهدون الأعناب في بساتين الكروم الملحقة بها والموقوفة عليها ويعصرون النبيذ إلى جانب الزبيب لاستعمالهم الخاص[٧].

---

[١] ابن بسام: أنيس الجليس ، ص١٨٦.

[٢] ابن شاهين: زبدة كشف الممالك، ص٣٥.

[٣] القزويني: آثار البلاد وأخبار العباد، ص١٧٦-١٧٨.

[٤] محمود سعيد عمران، الحملة الصليبية الخامسة، ص٣٤٥.

[٥] ابن بسام: مصدر سابق ، ص٨٧.

[٦] المقريزي: الخطط، ج١، ص٥٠٠، القزويني، مصدر سابق، ص١٧٦-١٧٨.

[٧] سلام شافعي: أهل الذمة، ص١٦٩-١٧٠.

ج-مدينة تِنِّيس وإنتاج الزيت والملح

تميزت مدينة تنيس بإنتاج الزيوت، حيث يذكر ناصر خسرو أن بها مائة معصرة[1] للزيت والسيرج (زيت السمسم) [2]. وقد اختلفت المعاصر كبراً وصغراً فأصغرها كان يعمل بها رجلان وأكبرها يعمل بها عشرون رجلاً[3].

عرفت مدينة تنيس أيضاً بإنتاجها للملح، والذى يوجد بالقرب من تل كبير من الساحل خارج من البحر الشامي عرف بتل السباخ ينبت فيه ملح يحمله العربان إلى غزة والرملة[4].

د- صناعة طحن الغلال

عرفت المدينة بصناعة طحن الغلال، حيث كان بها من الأرحية (الطواحين) مائة وستون منها ما يشتمل على مدار واحد أو مدارين، وغيره على خمسة أحجار وبها مقشرة ومعجنة[5].

مدينة تِنِّيس التجارية

لم تقتصر مدينة تنيس على الجانب الصناعي بل عرفت أيضاً كمدينة تجارية ساعدها على ذلك موقعها, حيث كانت تطل على البحر الرومي من جهة وعلى نهر النيل من جهة أخرى. وقد اكتظت المدينة بالأسواق والتى اعتمدت على انتاجها المحلي فيما يخص المنسوجات الراقية واصطياد الأسماك والطيور[6].

وقد اعتمدت على ما يأتيها من خارجها من المأكولات من القمح والشعير. حيث كان الحاكة يدخرون الخبز المجفف لفصل الشتاء حتى لا يعتمدون على الدقيق الذى يطحن كل يوم حيث كانوا يخففون الخبز فى الشمس لفصل الشتاء وقصر النهار فيستغنون عن طبخة ويسمى الخبز الجريش. كما

---

(1) ابن إياس: بدائع الزهور، ج١، ق١، ص٢٥ ، ناصر خسرو: سفرنامة، ص٧٧.

(2) ناصر خسرو: مصدر سابق، ص٧٧.

(3) ابن بسام: أنيس الجليس ، ص١٧٥.

(4) المقريزي: الخطط ، ج١، ص٥٠٠.

(5) ابن بسام: مصدر سابق ، ص١٧٥.

(6) نفس المصدر، ص١٨٨.

اشتهرت تنيس ببيع نوع من المأكولات[١] يسمى الكشكاب[٢] إلى جانب الفواكه والتى كانت ترد إليها من مصر والإسكندرية وبلاد الشام[٣].

وقد بلغ عدد ما بها من دكاكين البز والثياب مائة وخمسين دكاناً، وما بها من الحوانيت التى استخدمت فى البيع والشراء ما يقارب ألفين وخمسمائة حانوت[٤]. كما تواجد بها مائة دكان للعطارين ومائة معصره للزيت والسيرج، حيث كان يؤخذ عليه ضرائب وقيل أن ضرائبياً كان يجلس قبالة هذا الموضع ويأخذ فى كل يوم ألف دينار[٥]. كما كان يباع بمدينة تنيس مادة النطرون التى كان يتم استخراجها من الطرانه كما سبق ذكره، والتى كانت احتكاراً حكومياً. ويؤخذ عليها العديد من الضرائب ولم يكن النطرون سلعة تباع محلياً بل كان يتم تصديره[٦].

وقد تعددت المرافق التجارية بالمدينة فتواجد بها من الفنادق، والقياسر خمسين،وبنى بها فى سنة ٤٠٥ ستة دور للتجار. أما القياسر فحوالى ست وخمسون، كما تواجد بها الكثير من المرافق العامة مثل الحمامات والتى بلغت مائة وثلاثون سوى الحمامات الخاصة بالمنازل[٧]. وتحدث عنها المقدسى فقال عنها كمدينة تجارية :" أنها مدينة و أى مدينة!! كما شبهها بأنها بغداد الصغرى وجبل الذهب ومتجر الشرق والغرب "[٨].

---

[١] ابن بسام :أنيس الجليس ص١٨٨.

[٢] الكشكاب: وهو صنفان صنف منعش ويشبه ما يعمل فى تركيا وإيران ويصنع من اللبن الزبادي المضروب مع الماء، وصنف آخرمسكر يتكون من السوبيا المخمرة مضاف إليها بعض العناصر الأخرى ويسمى هذا الصنف الفقاع ، (ناصر خسرو: سفرنامة، ص ٧٦).

[٣] ابن بسام: مرجع سابق، ص١٨٨.

[٤] نفس المصدر، ص١٨٨، ٢٥٥.

[٥] المقدسى: أحسن التقاسيم، ص١٨٥.

[٦] نقولا يوسف: دمياط ، ص١٢٥.

[٧] ابن بسام: مرجع سابق ، ص١٨٤.

[٨] الشيال: مجمل تاريخ دمياط، ص٧٢، ٨٤.

كما كان لموقعها الثغري على البحر الرومي (البحر الأبيض المتوسط) الأثر الكبير في حركة تجارتها، حيث كان يرابط حولها دائماً ألف سفينة منها ما هو للتجار، وكثير منها للسلطان و يُجلب إلى هذه الجزيرة كل ما تحتاج إليه إذ ليس بها من خيرات الأرض شيء. حيث تجرى المعاملات فيها [illegible]، ولأن هذه الجزيرة يقيم بتنيس جيش كامل السلاح احتياطياً وخاصة أنها كانت عرضه لهجمات الروم المذكورة كما سبق ذكره. لذلك نالت من اهتمام الكثير من سلاطين الدولة الأيوبية فوضعت [illegible] حولها الأساطيل حماية لها من هجمات الفرنجة[1]. ولكثرة الهجمات عليها أمر الملك الكامل بتخريبها [illegible] سنة ٦٢٤هـ/١٢٢٦م)[2].

وقد تواجد بمدينة تنيس باعتبارها من ثغور البحر الأبيض المتوسط ديوان يسمى المتجر [illegible] الذي كان مسئولا كما يبتاع الديوان من بضائع للتجار الواردين (الأجانب)[3] وكان الديوان [illegible] مسئولا عن جمع الضرائب المفروضة على التجارة الواردة على المدينة[4]، وشراء مختلف [illegible] البضائع اللازمة من الخشب والحديد، وحجارة الطواحين وغير ذلك مما تدعو إليه حاجة الدولة [illegible][5]، وكان حكم ما يجري [illegible] مدينة تنيس يجرى في دمياط والإسكندرية وبينهما فرق في [illegible][6].

وقد راجت حركة تجارة السفن في مدينة تنيس، فكانت السفينتان تسيران فتجانب إحداهما الأخرى، هذه صاعدة وهذه نازلة بريح واحدة وكلاهما مملوءة القلاع بالريح وسيرهما في السرعة واحد[7]، وكانت مدة سير [illegible] من تنيس إلى القسطنطينية عشرين يوماً[8].

---

(1) ناصر خسرو: سفرنامة، ص٧٧؛ فايد عاشور: العلاقة بين البندقية والشرق الأدنى، ص٢٦٧.

(2) المقريزي: السلوك، ج١، ق١، ص٢٦٢، جمال الشيال: مجمل تاريخ دمياط، ٦٦-٦٧.

(3) ابن مماتي: قوانين الدواوين، ص٣٢٦-٣٢٧.

(4) [illegible]: أنيس الجليس، ص٢٧٣.

(5) [illegible] الخطيب: منهج صلاح الدين، ص٤٠-٤١.

(6) ابن مماتي: مصدر سابق، ص٣٢٦-٣٢٧.

(7) ياقوت الحموي: معجم البلدان، ج٢، ص٥١، ابن دقماق: الانتصار، ق٢، ص٧٩.

(8) ناصر خسرو: مصدر سابق، ص١٠.

مدينة تُونَه

جزيرة قرب تنيس ودمياط[1]، وتقع في الجنوب الشرقي في بحيرة تنيس، وتعد جزيرة تونه من ضواحي مدينة تنيس[2]. واشتهرت تونه بصناعة الرفيع من الثياب ولكن ذلك لم يكن يقارب ما كانت تنتجه كل من تنيس ودمياط[3]. حيث كان يعمل بها مثل تنيس، وعرفت تونه بإنتاج المنسوجات الكتانية والتي اشتهرت بشهرة عالمية وجرى تصديرها إلى الأسواق الأوروبية وآسيا. كما كان يصنع بتونه المنسوجات التي عرفت بالقباطي[4].

وعرفت تونه بإنتاج الثياب القلموني والقصب وغيره من المنسوجات الرفيعة و الراقي الصنع، ليس فقط في تونه بل في تنيس وشطا ودبيق ودمياط[5]، ونظراً لكثرة ما كان يصنع بها من المنسوجات الرقيقة كان يفرض عليها ضرائب،وقد جمعت بين صناعة السفن والمتاجرة بها[6].

مدينة المَنْصُورَة

تقع على رأس بحر أشموم ، قبالة طلخا[7]، تقع على الطريق بين دمياط والقاهرة[8]، على الضفة الشرقية لفرع دمياط[9]، جنوب بحر أشموم عند مفترق البحرين أحدهما يتجه إلى دمياط والآخر إلى أشموم طناح[10]أي في منطقة تفرع البحر الصغير من

[1] البغدادي: مراصد الأطلاع ، ج1، ص٢٨٢.

[2] نقولا يوسف: دمياط، ص١٢٩ ، سلام شافعي: أهل الذمة في مصر،ص١٥٢،١٤٥.

[3] المقريزي : الخطط ،ج1، ص٤٩٩.

[4] سلام شافعي: مرجع سابق ، ص١٤٥ ، عبد الرحمن عمار: تاريخ فن النسيج المصري، ص٥٢.

[5] نقولا يوسف:مرجع سابق ، ص١١٥.

[6] عبد المقصود عبد الحميد: السياسة الداخلية للعصر الأيوبي، ص٢١٩.

[7] المقريزي: مصدر سابق،ج1، ص٦٤٣ ، ابن إياس: نزهة الأمم، ص٢٢٢.

[8] قاسم عبده قاسم: تاريخ الأيوبيين والمماليك، ص٩٥.

[9] علي إبراهيم حسن: مصر في العصور الوسطى، ص٢٢٦.

[10] ابن الوردي: تتمة المختصر في أخبار البشر، ج٢،ص١٩٦.

فرع دمياط [1]. وسميت بذلك الاسم (المنصورة) لما تحقق من النصر تيمنا بالنصر على الفرنجة الذين غزوا الأراضي المصرية[2].

هى من المدن التي أنشئت عسكرياً على نفقة الجيش[3] وخاصة بعد استيلاء الصليبيين على مدينة دمياط. حيث عسكر بها الجنود وأقيمت بها الأسواق والأبراج ثم الأسوار ، والحمامات والفنادق . واكتظت المدينة بالجنود من شتى مدن مصر الأمر الذي ساعد على رواج حركة النشاط التجاري بأسواقها خدمة للجيش : وكان ذلك نواة لما ستكون المدينة تجارياً وصناعياً فيما بعد[4] ؛ تميزت المدينة بإنتاجها من المواد الغذائية كالخضروات، والأسماك والطيور . كما كانت تجلب إليها الحبوب والتي ترتب عليها بدورها صناعة طحن الحبوب[5].

أُشْمُوْم طَنَاح

تقع ضمن إقليم الدقهلية والمرتاحية وهي بضم الألف وسكون الواو وفي أخرها ميم، تعرف بأشموم طناح، أو أشمون طناح. وهى قصبة كورة الدقهلية وقصبة الأشمور، في العصر الأيوبي[6] وهى من أشهر المدن المصرية لوقوعها على الشاطئ الشرقي للبحر الصغير وهى أيضاً مركز تجاري عظيم بالوجه البحري[7].

---

[1] محمد ابراهيم حسن : الملك الكامل منشئ المنصورة، المنصورة ، ١٩٥٩م ، ص١٧ .

[2] البغدادي: مراصد الاطلاع ،ج٣، ص١٣٢٢ ، ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة، ج٦، ص٢٣٢.

[3] الحويري : مصر في العصور الوسطى ، ص٤٢٨ .

[4] ابن إياس : بدائع الزهور ، ج١ ، ق١، ص٢٤ .

[5] ابن شاهين : زبدة كشف الممالك ، ص٣٤-٣٥ .

[6] ابن دقماق: الأنتصار، ق٢، ص٩٨-٦٩.

[7] ظلت اشموم طناح قصبة كورة الدقهلية وقصبة الأشمور واستمرت كذلك حتى أخر عصر المماليك وفي اواخر العصر العثماني ثم نقلت القاعدة إلى مدينة المنصورة التي لا تزال إلى اليوم عاصمة مديرية الدقهلية (ابن تغري بردي: مصدر سابق، ج٦، ص٢٣٢ حاشية [٥]).

اشتهرت مدينة أشموم طناح بوجود الأسواق والفنادق[1] كما عرفت بإنتاج الحبوب مثل القمح حيث كان ينتج بها ما لا يقل عن سبعة آلاف أردب قمح[2].

مدينة دَقَهْلَه:

وهى بفتح الدال المهملة، والقاف وسكون الهاء وفتح اللام وهاء فى الآخر: وهى مدينة قديمة بالجزيرة بين فرقة النيل التى تصب بدمياط والفرقة التى تصب ببحيرة تنيس وإليها ينسب عمل الدقهلية[3] . وبينها وبين دمياط أربعة فراسخ[4] .

اشتهرت دقهلة بإنتاج الورق، وخاصة القرطاس أو الطومار[5]،ويحمل منه إلى أقاصى بلاد الإسلام[6].

مدينة بلبيس

مدينة بلبيس بكسر الباء وسكون اللام وفتح الباء وسكون الياء المثناة من تحت سين مهملة، وعن البكرى بلبيس قال أنها بفتح الباء[7]،والعامة تقول بلبيس بضم الباء الأولى[8].

هى مدينة تقع ضمن إقليم الشرقية، وتعد قصبة الحوف أى عاصمة للحوف أو لولاية الشرقية[9]، وتبعد عن الفسطاط بعشرة فراسخ على طريق الشام، وعلى مسيرة نصف يوم من عين شمس[10]. وهي من مدن مصر القديمة واسمها الروماني.(phelbes) وقال عنها أحد الرحالة اليهود

---

(1) ابن دقماق :الإنتصار، ق٢ ، ص٦٨-٦٩ .

(2) النابلسي : لمع القوانين المضية ، ص٦٥ .

(3) الادريسي : نزهة المشتاق ، ص٣٣٥ .

(4) الفرسخ : ٣ اميال أو ١٨٠٠٠ قدم (ابن ظهيرة : الفضائل الباهرة ، ص٥٦) .

(5) القرطاس : الورق المصنوع من نبات البردي ، والطومار : الصحيفة الكبيرة منه (نفس المصدروالصفحة) .

(6) نفس المصدرو الصفحة .

(7) ابن دقماق:مصدر سابق ، ق٢، ص٥١.

(8) البغدادي: مراصد الأطلاع، ج١، ص٢١٦.

(9) ابن دقماق: مصدر سابق، ق٢، ص٥١.

(10) بنيامين التطيلي: رحلة بنيامين ، ص١٧٥ ، البغدادي: [illegible] ، ج ، ص٤١٦.

أنها المدينة التى وردت فى التوراة باسم جوشن وكان اسمها القبطي هو بلبيس وسماها العرب بنفس الإسم بلبيس عند فتحها سنة(١٩هـ/٦٤٠م) (١).

قيل عنها أنها مدينة كبيرة(٢)، امتازت بسورها المانع مما يدل على أهمية موقعها الحصين على الطريق الشرقي المؤدي إلى البلاد. تميزت بكثرة بساتينها ونخيلها(٣)، ويمر بها نهر النيل عن طريق فرسخ بحر أبو المنجا(٤). ونظراً لكونها قصبة الحوف فكان معيناً عليها والي الحرب(٥) .

وقد تعرضت المدينة للحصار أكثر من مرة،وخاصة فى عهد العزيز والعادل مما أثر على المدينة فى تعرضها للضيق وغلاء الأسعار بعض الوقت(٦)، وظلت مدينة بلبيس عامرة حتى سنة (٨٠٦هـ/١٤٠٣م) فتلاشى أمرها فيما بعد(٧).

الصناعات بمدينة بِلْبَيْس

صناعة قصب السكر

من بين الصناعات التي عرفتها بلبيس إنتاج السكر وساعدها على ذلك كثرة زراعة القصب(٨) والتي اشتهرت بها كفورها التابعة لها والتي تقع على شعبة النيل وزادت مساحة زراعتها من القصب في العصر الأيوبي . كما عرفت بإنتاجه وزراعته بلدة سفط الحنا(٩) التابعة لبلبيس ولإقليم الشرقية.

---

(١) محمد الشاعر: الشرقية ، ص١٢.

(٢) ابن بطوطة : مهذب الرحلة (تحفة النظار فى غرائب الأمصار عجائب الأسفار)، الأميرية، القاهرة، ١٩٣٣م، ج١، ص٤٣

(٣) ابن دقماق: الانتصار، ق٢، ص٥١.

(٤) محمد الشاعر:مرجع سابق ، ص١٢.

(٥) ابن دقماق: مصدر سابق ، ق٢، ص٥١.

(٦) المقريزي : السلوك ، ج١ ، ق١ ، ص٥٩١.

(٧) ابن إياس: بدائع الزهور،ج١،ق١، ص٢٦.

(٨) ياقوت الحموي : معجم البلدان ، ج٣، ص٤٣٦.

(٩) محمد الشاعر: مرجع سابق ، ص٧٥.

وكان الديوان الحكومي يزرع بها مقدار عشرة فدادين قصب سكر[1] وكانت مثل تلك البلدات تـزرع القصب ويتم عصره وإنتاج السكرويتم نقله إلى بلبيس نفسها[2].

صناعة الحنا والأدوية

عرفت بلبيس بإنتاجهامن الحنا والأدوية الطبية . وساعدها على ذلك زراعتهما بها وخاصة أنه كان بها بلدة اشتهرت بزارعتها لنبات الحنا، عرفت بسفط الحنا (sokhtion hennou) أي غيط نبات الحنا. لذلك نسبت إلى هذا النبات لكثرة زراعته بأراضيها وإنتاجها للحنا، وقد عرف نبات الحنا بأنـه ورق كورق الزيتون ولا يمكن سحقه إلا بالرمل[3].

وتستخدم الحنا فى الأغراض الطبية مثل قلع البثور، والتئام الجروح وكذلك فـي الإحتفـالات العائلية. ويذكر أن من استخداماتها صبغ أيدي العروسين فى حفل يسبق الزفاف ويستعمله الناس فـي الاحتفال بعاشوراء[4]. كما تستخدم في صبغ الملابس[5] بدلا من الفوه[6] وعرفت بلبيس بإنتاج الثـوم وخاصة ببلدة بشلا التابعة لها ولإقليم الشرقية في عصر الأيوبيين والتي سميت ببشلا الثـوم و التـى كانت تمد بلبيس بالثوم . والذى كان يستخدم إلى جانب استخدامه في الطعام في الأغـراض الطبيـة كعلاج لبعض الأمراض مثل السعال المزمن وآلام الصدر والبرد[7].

إنتاجها من العسل والشموع

عرفت مدينة بلبيس بإنتاج العسل وخاصة أنها اشتهرت ليس فقط بإنتاج للعسل بل المتـاجرة فيه[8] حيث عرفت بإنتاجها من العسل الذي عرف بجودته . حيث كان العسل من مفاخـر

---

[1] ابن مماتي : قوانين الدواوين ، ص٣٣٨ .

[2] ابن دقماق :الإنتصار ، ق٢ ، ص٦٢ .

[3] محمد الشاعر : الشرقية ، ص٧٥ .

[4] نفس المرجع و الصفحة .

[5] الشيزري : نهاية الرتبة ، ص٦٢ .

[6] الفوه : نبات عروقه حمراء تستخدم في صبغ الملابس (نفس المصدر و الصفحة) .

[7] محمد الشاعر: مرجع سابق ، ص٧٥.

[8] نفس المرجع و الصفحة

أهل مصر[1] وكانوا يفضلونه على الخمر . وكان يستخدم في علاج كثير من الأمراض بجانب استخدامه كغذاء إلى جانب استخدامه في حفظ الأغذية . حيث يوضع فيه اللحوم والفواكه دون أن تغسل لمدة ثلاثة شهور[2] .

كما عرفت مدينة بلبيس بإنتاج الشموع والتي اعتمدت في صناعتها له على بعض الأغذية مثل العسل . والذي كان يستخرج منه الشمع .والذي بدوره يستخدم في إضاءة القناديل، وفي الإحتفالات الرسيمة فى المساجد والاضرحة وترجع صناعة الشمع إلى العصر الفاطمي وامتد إلى العصر الأيوبي[3].

صناعة الخمور

عرفت مدينة بلبيس بصناعة الخمور كالمدن الكبرى[4]. وكان يمدها بالأعناب اللازمة لتلك الصناعة القرى التابعة لاقليم الشرقية والتي تعتبر بلبيس عاصمتها[5] . مثل قرية منية الامراء[6] وشبرا للتابعين لاقليم الشرقية .وتعد منية الأمراء والتى أغلب سكانها من الأقباط واحدة من أكبر مراكز صناعة الخمور فى ريف مصر.أما شبرا فكان فلاحوها يعتمدون فى وفاء خراجها على ما يبيعونه من الأعناب والخمور في عيد الشهيد[7] .ولم تقتصر مدينة بلبيس على صناعة الخمور بل عرفت بصناعة النبذا والتي كانت تصنع من القمح[8].

---

[1] ياقوت الحموي : معجم البلدان ، ج١ ، ص٥٠١ .

[2] محمد الشاعر :الشرقية ، ص٧٦ .

[3] نفس المرجع والصفحة .

[4] نفس المرجع ، ص٧٧-٧٨.

[5] البغدادي : مراصد الاطلاع ، ج٣ ، ص١٣٢٧ .

[6] منية الامراء : تتبع اقليم الشرقية واعتبرت ضمن ضواحي القاهرة ووردت باسم منية الامراء أو منية السيرج ؛ مما يدل على استمرار عمل معاصر السمسم بها حتى عصر المماليك (محمد الشاعر : مرجع سابق ، ص٧٧-٧٨).

[7] سلام شافعي : أهل الذمة في مصر ، ص١٧٠ .

[8] محمد الشاعر: مرجع سابق ، ص٧٨.

صناعة الزيوت ببِلْبَيْس

من بين المنتجات التي كانت تنتجها مدينة بلبيس صناعة الزيوت التي اعتمدت على قرية مينة الأمراء في إمدادها بالسمسم . والتي كانت تنتج منه زيت السمسم . حيث تعددت المعاصر اللازمة لانتاج الزيوت بها في العصر الأيوبي [1].

انتاجها من الحبوب

كماعرفت مدينة بلبيس بإنتاجها من الحبوب و التى إعتمدت على صناعة طحن الغلال و التى كانت أكثر ميرة الحجاز من الدقيق تحمل منها خلال العصر الأيوبى[2]. كما عرفت بإنتاجها من الأسماك ومن القرى التي أمدت بلبيس بإنتاج الأسماك قرية زفتى[3] .

مدينة بِلْبَيْس التجارية

كانت بلبيس ممراً تجارياً بين مصر والشام فلذلك توافرت بها المرافق الخاصة بحركة نقل التجارة حيث كان بها أكثر من سوق[4] وكان المحتسب المشرف على إدارته وضبطه للمكاييل والموازين، وعلى صلاحية الأطعمة[5] . كما كان بها الفنادق، والتى كان بها عدد كبير من الحوانيت والتى بلغت فى الفندق الواحد ستة عشر حانوتاً. كما كان ببلبيس مركز لنقل الثلج الوارد من بلاد الشام فى أشهر الصيف[6].

---

(1) محمد الشاعر :الشرقية ، ص٧٧-٧٨.

(2) نفس المرجع ، ص ٧٨ .

(3) زفتى : قرية من القرى التابعة لاقليم الشرقية وتقع علر رأس الجزيرة حيث ينقسم النيل إلى خليجان . (ابن دقماق : الانتصار ، ق٢ ، ص٦) .

(4) محمد الشاعر : مرجع سابق ، ص١٣ .

(5) الشيزري : نهاية الرتبة ، ص١٨ .

(6) نفس المصدر ، ص١١٦-١١٧ .

وساعد على حركة التجارة بمدينة بلبيس تواجد مراكز البريد حيث كان يتواجد بكل منزل من منازل البريد خان[1] ينزل به المسافرون بدوابهم،وامتازت خانات البريد ببساطة بنائها، ولكنها على اتساع كاف حيث يخصص فيها مكان لإقامة الصلاة ، وخان يشترى فيها المسافرون ما يحتاجونه، وكان بكل مركز من الخيول،ولا يركب أحد خيل البريد إلا برسوم، وتنتهى مراكز البريد بالشرقية عند رفح[2].حيث كانت القوافل التى تمر ببلبيس عبر الشرقية إلى بلاد الشام، حيث كانت تسيرمن بلبيس إلى القرين إلى الصالحية، إلى بئر الدويدار إلى قطيا وهى آخرحدود الشرقية إلى بئر المساعيد والعريش. وكانت هذه الطرق تعرف بالدرب السلطاني أو طريق الرمل[3].

وعن طريق بلبيس كانت السلع التي تستوردها مصر من بلاد الشام والعراق والحجاز تمر بها حيث كان يصلها من بلاد الشام: الأسلحة والأواني المعدنية والخشب واللوز والجوز والفستق. وهذا إلى جانب المنسوجات مثل الثياب الموصلي،البغدادي،الحموي ويؤخذ عليها مكس فى مدينة قطيا[4].

مدينة فاقُوس

بالقاف وآخره سين مهمله[5]، وتقع في حوف مصر الشرقي وبينها وبين مصر مسيرة يومين فى آخرديار مصر من الحوف الشرقي من جهة الشام[6]. وهى من أعمال الشرقية[7] .

---

[1] الخان : كلمة فارسية تعلي المنازل الذي يسكنها المسافرين من التجار (محمد الشاعر: الشرقية، ص١٣، ٨٣) .

[2] رفح: من أعمال الشرقية منزلها فى طرق الجفار (سيرد شرحها) من جهة الشام على مرحلة من غزه(ابن دقماق: الإنتصار ، ق٢، ص٥٣ ، محمد الشاعر : مرجع سابق ، ص٢٥-٢٦.)

[3] طريق الرمل : هو الجهة الواقعة بين العريش والصالحية وساحل البحر الابيض المتوسط (محمد الشاعر: مرجع سابق ص٨٣).

[4] نفس المرجع ، ص٨٠ .

[5] ياقوت الحموي : مُعجم البلدان ، ج٣ ، ص٢٣٢ .

[6] نفس المصدروالصفحة، البغدادي: مراصد الأطلاع ، ج٣، ص١٠١٥.

[7] ابن مماتي : قوانين الدواوين ، ص٣٣٤ .

عرفت مدينة فاقوس بإنتاج النطرون وهو معدن شفاف وقد عرف فى ذلك الوقت نوعان من النطرون منه النوع الأحمر ينتج بمنطقة يقال لها الطرانه. أما النوع الثاني الأخضر والأقل جودة كان ينتج بفاقوس[١]، وبها أيضاً النطرون الخطاري نسبة إلى بلده الخطارة قرب فاقوس الشرقية[٢].

ونظراً لأهمية معدن النطرون، فقد احتكرته الدولة وعينت المتخصصين لاستخراجه من قبل الدولة أو الديوان. وكانت النفقة على كل قنطار منه درهمين وثمن القنطار لضيق الحاجة إليه بمصر والإسكندرية سبعين درهماً. وكان الديوان ينفق أجرة العربان على كل خمسة عشر قنطاراً عشرة قناطير وما يستهلك من النطرون فى السنة يقدر بثلاثة الاف قنطاراً[٣].

وكان النطرون يتم توريده سواء كان من فاقوس أو الطرانه إلى الإسكندرية . حيث يقوم الضمناء بالطرانه بتسلمه إلي الديوان، وإذا حدث له نقص فى الوزن فإن ذلك يؤدى بدوره إلى تأخير الأقساط على الضمناء،وبلغ ثمن المباع من النطرون سنة (٥٨٥هـ/١١٨٩-١١٩٠م) نقلاً عن القاضي الفاضل مبلغ ١٥٥٠٠ دينار وبلغ فى السنة التالية ٧٨٠٠ دينار[٤].

مدينة الصالحية

تقع فى أول الصحراء التى تفصل بين مصر والشام[٥] على طريق الرمل[٦] وتتبع إقليم الشرقية[٧]، وهى من المدن التى أنشئت عسكرياً على نفقة الجيش[٨]

---

[١] ابن مماتي :قوانين الدواوين ، ص٣٤٤.

[٢] القلقشندي: صبح الأعشى، ج٣، ص٢٨٣ ، محمد الشاعر: الشرقية ، ص٧٩.

[٣] ابن مماتي: مصدر سابق، ص٣٣٤.

[٤] ولم يقتصر النطرون فقط على فاقوس والطرانة بل كان يستخرج من بركة بالبحيرة تقع بالجبل الغربي غربي عمل البحيرة . وهو من أعظم المعادن بها . ولا يعرف بركة يبلغ ما يستخرج منها نحو ١٠٠ فدان وتبلغ ١٠٠,٠٠٠ دينار إلابها (القلقشندي : مصدر سابق ، ج٣،ص٢٨٣) .

[٥] ابن اياس: بدائع الزهور، ج١، ق١، ص٢٧٥ ، نزهة الأمم، ص١٨٥.

[٦] محمد الشاعر : مرجع سابق ، ص١٤-١٥.

[٧] المقريزي: السلوك، ج١، ق١، ص١٦٧.

[٨] الحويري: مصر فى العصور الوسطى، ص٢٢٨.

(سنة ٦٤٤هـ/١٢٤٦م) [١] وذلك لتكون نقطة أمامية للدفاع عن حدود مصر عندما شاع في ذلك الوقت قرب وصول حملة صليبية إلى مصر عبر طريق البر[٢]،وسميت الصالحية نسبة إلى الصالح نجم الدين أيوب[٣]. حيث أقيم جيش الصالح في تلك المنطقة في الحملة السابعة على مصر، في الوقت الذي كان فيه الصالح مريضاً بأشموم طناح، لذلك دعت الضرورة إلى إنشاء تلك المدينة والتي أنشئت في مدة أربعة أشهر[٤].

لذلك دعت الضرورة الملحة إلى إنشاء أسواق وفنادق وطواحين استمرت من يومئذ تتزايد في العمارة حتى صارت مدينة بها كل ما يلزم الجند ، ولم تلعب المدينة دوراً تجارياً فقط في تواجد كافة المنشآت التجارية بها من الأسواق والفنادق وغيرها[٥]. بل لعبت المدينة دوراً صناعياً في تواجد الصناعات المختلفة بها مثل : صناعة طحن الغلال. وليس أدل على ذلك من تواجد الطواحين بها. كما عرفت بإنتاج السكر [٦] .

---

[١] ابن اياس: نزهة الأمم،ج١، ق١، ص٢٧٥.

[٢] حسنين ربيع: النظم المالية، ص٧٠.

[٣] ابن اياس: مصدر سابق ، ج١، ق١، ص٢٧٥.

[٤] محمد الشاعر:الشرقية ، ص١٤-١٥.

[٥] ابن اياس: بدائع الزهور، ج١، ق١، ص٢٧٥.

[٦] الإدريسي: نزهة المشتاق، ص٣٣١ ، محمد الشاعر: مرجع سابق ص١٤-١٥.

مدينة قَطْيا

سميت بذلك الاسم نسبة إلى عرب من قبيلة جذام يقال لهم القاطع نزلوا في ذلك المكان بعد [illegible] خربت[1] مدينة الفرما سنة(٥٦١هـ/١١٦٥م) [2]. وهي بمفردها مزم الدرب[3] وتتبع الجفار[4] وتقع في طريق الشام إلى الديار المصرية[5] ولا يمكن التوصل إلى الديار المصرية إلا منها وتقع على بعد ستة وعشرين ميلاً من القنطرة إلى العريش. ولم تكن بلدة صناعية تنتج الرطب، والأسماك [illegible] كانت تجارية. ففي بداية أمرها كانت قرية صغيرة مساكنها من جريد النخل وبها بئر ماء وسوق صغير[6].

ولكن ما لبثت أن أصبحت بلدة تجارية بها جامع ومارستان،وقاضي،وناظروشهود.ولا يمكن لأحد الجواز من مصر إلى بلاد الشام أو العكس إلا بورقة[7]. حيث كان يؤخذ منها [illegible] من التجار. وكان السلاطين يعينون القبائل لحفظ هذا الطريق وخاصة أنها كانت عرضة دائماً [illegible] الفرنجة[8].

---

(1) محمد الشاعر : الشرقية ، ص٨٣ .

(2) الفرما : على وزن فعلان ، تقع على الساحل الشرقي لمصر على نهر النيل ، على [illegible] بحيرة تنيس ، عرفت بإنتاجها من التمر والاسماك والرخام الأبلق . ولعب دوراً تجارياً حيث [illegible] قبرص كما كان ينقل من خلالها التجارة الواصلة إلى القلزم إلى سواحل البحر الابيض [illegible] سنة ٥٤٥(هـ/١١٤٥م) وظلت تمارس عملها حتى سنة(٥٦١هـ/١١٦٥م). (ابن [illegible] : [illegible] ، ص١٠٠ ، المقريزي : الخطط ، ج١ ، ص٥٩١ ، ابن دقماق : الانتصار ، ق٢ ، ص٥٣ ، [illegible] : أحسن التقاسيم ، ص١٨-٢٠ ، ابن اياس : نزهة الامم ، ص٢٠٣) .

(3) ابن شاهين: زبدة كشف الممالك، ص٣٤.

(4) الجفار: يشمل خمس مدن (الفرما، الوارده، العريش، رفح، البقارة) سمي بذلك لان كله رمل ولشدة الشمس فيه على الناس ، ولكثرة رمله وبعد مراحله . حيث تحفر فيه الابل وغيرها فتهلك (العمري: مسالك الأبصار، ص٩٥-٩٥).

(5) القلقشندي: صبح الاعشى، ج٣، ص٣٦٦.

(6) محمد الشاعر : مرجع سابق ، ص١٦-١٧ .

(7) ابن دقماق:مصدر سابق ، ق٢، ص٥٣.

(8) ابن شاهين: زبدة كشف الممالك، ص٣٤.

وعرفت بتجارتها فى الأسماك التى عرفت بدسامتها، وبإنتاجها من التمر حيث يصعب حصر نخيلهـــا، لذلك لوحظ باعة الرطب بطريقها[1].

مدينة العَرِيش

بفتح أوله وكسر ثانية وشين معجمة بعد الياء المثناة. هى مدينة كانت أول عمل مصـــر مـــن ناحية الشام على ساحل بحر الروم وسط الرمل[2]، وهى من أعمال الشرقية، وتتبع الجفار، تقـــع فـــى الغرب والجنوب من رفح على مسيرة يوم [3]، وهى مدينة بها آثار قديمة وعمائر ورخام، كما تقع بين أرض فلسطين وإقليم مصر[4].وهى مدينة قديمة وكان يطلق عليها قديماً العريش لذلك أطلـــق عليهـــا العامة العريش[5]. وفى سنة (٥٧٧هـــ / ١١٨١) ورد الخبر بأن نخل العريش قطع الفـــرنج أكثـــره وحملوا جذوعه إلى بلادهم وملئت منه[6] .

تميزت العريش بصناعة المنسوجات وخاصة المنسوجات التي عرفت بالقيسية[7] كما عرفـــت بإنتاجها من المنتجات الغذائية: مثل صيد الأسماك وبها من الطيور والجوارح والمأكول مـــن الصـــيد الكثير[8] وعرفت بإنتاجها من الرمان العريشي الذى يحمل منها إلى سائر البلدان ، كما عرفت بإنتاجها من التمر أصناف عديدة[9]، وكان يصنع بالعريش المكاييل والتى كانت تحمل إلى جميع مدن مصر[10]

---

(1) محمد الشاعر: الشرقية ، ص١٦-١٨.

(2) البغدادي: مراصد الأطلاع، ج٢، ص٩٣.

(3) ابن دقماق:الأنتصار، ق٢، ص٥٢.

(4) المقريزي: الخطط،ج١، ص٥٨٩-٥٩١.

(5) نفس المصدر والصفحة .

(6) المقريزي : مصدر سابق ، ج١ ، ص٥٨٩-٥٩١.

(7) هي منسوجات صوفية راقية الصنع ، وعرفت بالقيس لاشتهار مدينة القيس بصناعتها (المقريزي : مصدر سابق ، ج١ ، ٥١١ ، ابن ظهيرة : المحاسن الباهرة ، ص٥٥).

(8) القزويني : آثار البلاد واخبار العباد ، ص٢٢٠ .

(9) ياقوت الحموي : معجم البلدان ، ج٤ ، ق٤ ، ص١١٣ .

(10) المقريزي :مصدرسابق ، ج١ ، ص٥٨٩-٥٩١ .

مدينة القُلزُم

بضم القاف وسكون اللام وضم الزاي وميم[1]. بلدة تقع على الساحل الغربي فى شرقي أرض مصر على بحر القلزم (البحر الأحمر) والذى سمي باسمها [2].

وتعد مدينة القلزم مرفأ مصريا قديما فى شمال البحر الأحمر. وهى كوره من كور مصر ولم يكن بالقلزم ماء ولا شجر ويحمل الماء إليها من آبار بعيدة. وكان يحمل منها حمولات مصر والشام إلى بلاد الحجاز واليمن. وكانت تقوم بتصدير المنتجات إلى الهند والصين[3] وبلاد الشحر[4].

حيث كان التجار يركبون فى البحر الغربي ويخرجون بالفرما ويحملون تجارتهم على الظهر إلى القلزم. وبينهما خمسة وعشرون فرسخاً ثم يركبون البحر الشرقي من القلزم إلى اتجاه جده فالهند والسند والصين حيث ينزل الناس فى برية وصحراء ست مراحل فيطريقهم إلى أيله ويتزودون من الماء بهذه المراحل الست[5].وكان يؤخذ فى ميناء القلزم فى كل حمل درهم[6]، حيث كانت المدينة نفسها تعيش على تجارة البحر الأحمر[7]. ولما خرب ذلك الموضع تحولت التجارة إلى موضع السويس[8].

---

[1] المقريزى :الخطط ، ج١، ص٥٩٦.

[2] بحر القلزم من الجنوب إلى الشمال و يتفرع فرعان فرع يتجة شرقاً إلى أيلة و فرع غربى على رأس البر الداخل فى البحرين حيث الطور و التى عرفت بأنها مدينة تجارية يقصدها التجار وتقع على بعد مرحلة من طور سيناء (بنيامين التطيلي: الرحلة، ص١٨٠، إبن اياس : نزهة الامم ، ص١٥ ؛ ابن دقماق : الانتصار ، ق٢ ، ص٥٣)

[3] المقريزى: الخطط ، ج١، ص٥٩٦.

[4] الشحر: ساحل على ساحل بحر الهند (المحيط الهندي) من ناحية اليمن وقال الأصمعي: هي بين عدن وعمان، والسند وسواحل البر(ابن ظهيرة: الفضائل الباهرة ، ص١٠١).

[5] المقريزي: الخطط ، ج١، ص٥٩٦ ، البغدادي: مراصد الأطلاع، ج١، ص١٦٦.

[6] المقدسي: أحسن التقاسيم، ص٢٠٠ ، ابن اياس: بدائع الزهور، ج١، ق١، ص٢٧.

[7] فايد عاشور: العلاقة بين البندقية والشرق الأدنى ، ص٢٢٨.

[8] المقريزى: السلوك، ج١، ص١٠٢.

أما الجانب الصناعي بالمدينة: فعرفت بإنتاج معدن النفط على ساحل بحر القلزم حيث يسيل دهنه من أعلى وينزل إلى أسفله، وكان يحمل إلى خزائن السلاح السلطانية[1]. كما يستخرج معدن النطرون من الجزر الموجودة بالبحر الأحمر حيث يوجد هناك عمال مهرة يقومون باستخراج البللور أيضاً وهو غاية في الجمال ويسمى البللور القلزمي[2]،والذى عرف أنه من النوع الشفاف ويفوق ما يستورد من بلاد المغرب. وكان يصنع من البللور المصابيح والتى عرفت بالمصابيح البللورية والتى تزخرف بالنقوش والآيات القرآنية، والأحاديث، وكانت تزدان بها الجوامع والقصور[3].

مدينة المَحلّة

هى بفتح الميم والحاء المهملة وتشديد اللام ثم هاء ساكنة وتعرف بمحلا دقلا، وذكرها ياقوت الحموي بضم الدال المهملة والقاف. وتعرف بمدينة المحلة وهى مدينة كبيرة، كما أنها قصبة إقليم الغربية، و ولايتها قديمة تعرف بالوزارة الصغيرة، وفى بلاد مصر نحو مائة قرية تعرف بالمحلة، ولكنها تتميز بلقب ينسب إليها محلة دقلا، وتقع فى الإقليم الثالث وهو بين النيلين[4].

صناعة المنسوجات

اشتهرت المحلة بإنتاجها من المنسوجات الكتانية وساعدها على ذلك كثرة زراعتة فى المناطق المحيطة بها[5] إلى جانب ذلك اشتهرت بوصير التابعة للمحلة بانتاجها من المنسوجات الكتانية حيث ارتبطت صناعة المنسوجات بالمحلة بوجود المغازل اليدوية المستعملة التى كانت تستخدم فى صنع تلك النسوجات. أما المنسوجات الصوفية فكانت تالية للمنسوجات الكتانية فى الأهمية وكانت المحلة

---

(1) القلقشندي: صبح الأعشى، ج3، ص283.

(2) أحمد حسين النمكي: أسوان وصحراء مصر الشرقية، (بحث ضمن مؤتمر أسوان، جامعة جنوب الوادي، 2002م) ص1001.

(3) جمال سرور: تاريخ الحضارة الإسلامية فى الشرق، ص139.

(4) ابن دقماق: الأنتصار، ق2، ص82.

(5) القزويني : أثار البلاد واخبار العباد ، ص203 .

تجلب الصوف[1] من بلدة في شمال إقليم الدقهلية والمرتاحية تسمى البشمور والتى عرفت بوجود الكياش[2].

كما عرفت دميرة التابعة للمحلة بإنتاج الحرير حيث كانوا يقومون بتربية دودة القز. كماكان بها طراز للخاصة وطراز للعامة، كذلك بقرية أبيار التى لم تعرف بإنتاج الكتان فقط[3] بل عرفت بإنتاج الحرير، إلى جانب ذلك عرفت بسيون التابعة للمحلة بإنتاج المنسوجات والتى عرفت باسمها، على مثل الملاءات البسيونية[4]، كما عرفت مدينة سنبوطية أو سنباط بإنتاجها من القماش السنباطي الذى لا نظير له[5].

الصناعات الغذائية بمدينة المَحلّة

عرفت المحلة بإنتاج السكر وخاصة أنه كان يوجد بها ثلاث عصارات ساعد على ذلك توافر قصب السكر. كماعرفت بإنتاجها للزيوت، وخاصة الزيوت التى تعتمد على بذر السمسم و الكتان واستخدمت هذه الزيوت فى صناعة الصابون والأصباغ من نبات النيلة. كما اشتهرت مدينة المحلة بإنتاج الفراريج انتشر بها معامل الفراريج، وقد ساعد إنتاج الفراريج على إمداد الطبقة المعدومة من الفلاحين الذين لا يستطيعون شراء لحوم الجاموس. كما عرفت بإنتاجها للألبان وخاصة أن مدينة المحلة عرفت بأبقار الخيس المنتجة للألبان [6]. كمااشتهرت المدينة بصناعة طحن الغلال و ساعد

---

(1) السيد محمد عطا: إقليم الغربية فى عصر الأيوبيين والمماليك، الهيئة المصرية العامة، القاهرة، ٢٠٠٢م، ص١٢٨-١٢٩.

(2) البغدادي: مراصد الاطلاع، ج١، ص٢٠٠.

(3) السيد محمد عطا: مرجع سابق، ص١٢٩، ١٥٤.

(4) نفس المرجع،١٥٤-١٥٦.

(5) ابن دقماق: الأنتصار، ق٢، ص٩١-٩٢.

(6) السيد محمد عطا: مرجع سابق، ص ١٣٠، ١٥٦ - ١٥٧.

على ذلك كثرة مزارعها و إنتاجها من الحبوب[١] إلى جانب ذلك عرفت بصناعة الحصير من نبات البردي والحلفا ، وسعف النخيل وكانت من الحرف اليدوية[٢] .

المَحلّة مدينة تجارية

هى مدينة تجارية كبيرة ذات أسواق عامرة وذات تجارات فائقة وخيرات شاملة[٣]، ولذلك يكثر فيها الفنادق والبساتين إلى جانب الجوامع والمدارس والقياسر،وساعد على حركة رواج تجارتها أنه يمر بها نهر النيل فى أيام جريانه فيها تلك المنطقة التى جعل الكامل فيها الشواني لمعركة المنصورة حيث كانت الكسره على الفرنج حتى ضرب المثل بذلك فقيل كل شئ حسبناه إلا بحر المحلة[٤].

كان لوجود الترع والخلجان بمدينة المحلة إلى جانب فروع النيل وقنواته بالإقليم دوراً مهماً فى الربط بين أنحاء البلاد والمدن ونقل المسافرين وبضائعهم. الأمر الذي ساعد على انتعاش حركة التجارة ليس فقط بالمحلة بل بجميع مدن الغربية. حتى إنه كان المسافر لا يحتاج إلى حمل طعام معه لأنه مهما نزل على الشاطئ يجد سوقاً تجارياً يشترى منه ما يريد[٥].

كما كانت المدن الصغيرة التى تتبع مدينة المحلة تقوم بتصريف منتجاتها وسلعها سواء كانت زراعية أو حيوانية فى مدينة المحلة،وفى غيرها من المدن الكبيرة بإقليم الغربية. وساعد تصريف تلك المنتجات بالمدن الكبرى على رواج حركة التجارة، حيث يذكر أنه كان هناك أسواق أسبوعية تعقدها المدن الكبرى مثل مدينة المحلة والتى يجتمع بها منتجات القرى والعزب والكفور والمدن الصغيرة المحيطة بها.وإلى جانب الأسواق بمدينة المحلة تواجد بها أيضاً الفنادق، والتى ساعدت على رواج حركة البيع والشراء، وهى جارية فى الديوان الشريف السلطاني[٦] .

---

(١) الإدريسي : نزهة المشتاق، ص٣٣٦-٣٣٩ .

(٢) السيد محمد عطا : الغربية ، ص١٣٠ .

(٣) الإدريسي: مصدر سابق ، ص٣٤٠.

(٤) ابن دقماق: الأنصار، ق٢، ص٨٢.

(٥) السيد محمد عطا : مرجع سابق، ص١٤٩-١٥٠.

(٦) ابن دقماق: مصدر سابق ، ق٢، ص٩١-٩٢.

مدينة سنباط

عرفت بسنباط أو سنبموطية وهي مدينة صناعية وتجارية حيث توجد بها الأسواق واشتملت بجانب الأسواق على العديد من المرافق التجارية مثل الفنادق، و القياسر،وبها تجار كثيـرون . كمـا عرفت بصناعتها للمنسوجات حيث يباع بها القماش السنباطي[١].

مدينة سَمَنّود

هى مدينة صغيرة من أعمال الغربية[٢]، تقع على ضفة فرع دمياط الغربى[٣]، وبينهـا وبـين المحلة ميلان، حيث كانت تعرف من قبل بسمناط ، وتقع على مسيرة أربع فراسخ من الدميرة[٤]. وكان لها عمل مستقر في أول الأمر ثم أضيفت إلى عمل الغربية[٥]، وعرفت مدينة سمنود بحسنها وكثـرة الدخل بها، وبأنها مدينة عامرة ، وبها مرافق وأسعار رخيصة[٦].

عرفت المدينة بإنتاج المنسوجات الكتانية، حيث كان الكتان من المنسوجات المشهورة فى مـدن إقلـيم الغربية[٧]. كما عرفت سمنود بإنتاجها للأواني الفخارية والتى تعددت منتجاتها فأنتج منهـا الأبـاريق والبرادات ومطاحن البن[٨].

كما عرفت مدينة سمنود بأنها ميناء تجاري على فرع دمياط ، وهى من المراسى المشـهورة بإقليم الغربية،وكانت حركة النقل أثناء الفيضان هى المراكب والقوارب والتى كانت الوسيلة السـريعة للتنقل لذلك كانوا يستخدمون المعديات والقناطر المتحركة للمرور. وقيل ان بها سـوقاً تجاريـاً يعـج

---

[١] السيد محمد عطا : الغربية ، ص١٥٠-١٥١ .

[٢] القلقشندى: صبح الأعشى، ج٣، ص٣٨٣.

[٣] الإدريسي: نزهة المشتاق، ص٣٣٥ ، القزويني: آثار البلاد وأخبار العباد، ص٢٠٢.

[٤] عبد العال عبد المنعم: مدن مصر وقراها عند ياقوت، ص٤٨.

[٥] القلقشندى:مصدر سابق ، ج٣، ص٣٨٣.

[٦] الإدريسى: مصدر سابق ، ص٢٣٦.

[٧] نفس المصدر ، ص٣٣٥.

[٨] السيد عطا: مرجع سابق ، ص١٣٠.

بالرجال والنساء وخاصة من الأعيان إلى جانب أرباب الحرف والصناعات، وعرف سوق سمنود بإنعقاده يوم الإثنين[1].

مدينة فُوَّه

من المدن التى تقع ضمن إقليم الغربية و تعرف أيضاً بفورا[2] ، عرفت بإنتاجها اقصب السكر،كما عرفت بأسواقها والتى كانت تعقد يوم السبت، وكانت أسواقها عامرة بالحوانيت ويباع فيها كافة الملابس والأطعمة[3].

إلى جانب ذلك كانت من الموانى الهامة فيما يتعلق بالتجارة الخارجية،حيث كانت مقراً لسفراء الدول الأجنبية كالبنادقة فى إيطاليا[4].

مدينة النحراوية

هى من أعمال الغربية عرفت بأنها من المدن الصناعية والتجارية[5]، فاشتهرت بإنتاجها وصناعتها للمنسوجات والتى عرفت بحسنها وزخرفتها برسوم نباتية مأخوذة من الطبيعة[6].

عرفت المدينة بتوافر كافة المرافق التجارية من الأسواق ، والقياسر، والفنادق، الجوامع. وبها تجار مياسير[7]. كماعرفت مدينة النحراوية بارتباط أسواقها بالأعياد الدينية مثل مولد السيد البدوي،والسيد إبراهيم الدسوقي[8].

---

(1) السيد محمد عطا: الغربية ، ص١٤٨-١٥١.

(2) ابن مماتى : قوانيين الدواوين ، ص ١٦٦ ، ابن شاهين: زبدة كشف الممالك، ص٣٥.

(3) السيد عطا:مرجع سابق، ص١٣٠-١٥١.

(4) نفس المرجع ، ص١٤٨.

(5) ابن دقماق: الأنتصار ، ق٢، ص٨٦.

(6) السيد محمد عطا: مرجع سابق ، ص١٥٤-١٥٦.

(7) ابن دقماق: مصدر سابق ، ق٢، ص٨٦.

(8) السيد محمد عطا:مرجع سابق ، ص١٥٠-١٥١.

مدينة قليوب

تقع مدينة قليوب ضمن إقليم القليوبية بالوجه البحري[١]، وتبعد ستة أميال من القاهرة[٢].عرفت مدينة قليوب بإنتاجها للفاكهة ويذكر أن بها سبعمائة بستان، وعرفت برخص أسعارها وكثرة ألبانها وقشطتها. كما عرفت بإنتاج الزيت حيث يكثر بها معاصر السيرج.كما عرفت بأسواقها التجارية [٣].

مدينة مليج

ومن المدن التي تتبع إقليم القليوبية مدينة مليج وهي مدينة عامرة تتميز بأسواقها وتجارتها تحدها من جهة الغرب مدينة طنطنة : وهي مدينة متحضرة بها أسواق ، وأهلها يعيشون في رفاهية ورغد كما يوجد على مقربة منها مدينة البوهات :وتتبع إقليم الجيزية وهي من المدن العامرة ذات أسواق تجارية[٤] .

مدينة أنتوهي

هي من مدن إقليم المنوفية [٥]وهي مدينة صغيرة وبها بساتين وجنات وزراعات وغلات معلومه، وبها سوق في يوم معلوم[٦] .

تتميز المدينة بإنتاج الكتان اللازم لإنتاج المنسوجات . و عرفت بإنتاج الفاكهة والحبوب خاصة السمسم والقمح كما تميزت المدينة بوجود أسواقها العامرة . ويوجد بالقرب منها مدينة جدوة، وهي مدينة صغيرة تتميز بأسواقها العامرة وزراعتها المتصلة،وخيراتها الكثيرة، وعرفت بكثرة مراكبها المتخصصة لتعدية العساكر[٧].

---

[١] ابن شاهين: زبدة كشف الممالك، ص٣٤.

[٢] ابن جبير: رحلة ابن جبير، ص١٨.

[٣] ابن دقماق :الأنتصار ، ق٢ ، ص٣٨.

[٤] الإدريسي : نزهة المشتاق ، ص٣٣٤-٣٣٥ .

[٥] البغدادي: مراصد الأطلاع، ج٣ ، ص١٣٢.

[٦] الادريسي : مصدر سابق ، ص٣٣٣ .

[٧] نفس المصدر ، ص٣٣٢-٣٣٤ .

مدينة دَمَنْهُور

بفتحتين ونون ساكنة وهاء وواو ساكنه وأخرها راء ، هى من أعمال البحرية أو البحيرة. هى بلدة بينها وبين الإسكندرية يوم واحد فى طريق مصر متوسطة [1]. وتعتبر دمنهور قاعدة البحيرة وبها مقام نائب الوجه البحري ويطلق عليه ملك الأمراء.هى مدينة قديمة عــامرة يتواجــد بهــا الفنــادق والحمامات إلى جانب ذلك الجوامع والمدارس، ولها خليج من خليج الإسكندرية [2].

مدينة بلقطر

من المدن التابعة أيضاً للبحيرة ضمن عمل البحرية، وبها يعمل الطراز من الصــوف، حيــث ينتج منها العبى والتى لا يعمل مثلها فى الدنيا، والأكسية والسرويات والكنابيش والعرقيات ، ما تبلــغ قيمة العباءة الواحدة مائتي درهم[3].

مدينة رَشِيد

هى من أبرز ثغور قصبة البحيرة[4] ذكرها ابن حوقل بقوله: هى مدينة على النيل قريبة مــن مصب فوهته على البحر، وتعرف هذه الفوهة وهى المعرفة بالأشتوم[5].

مدينة رشيد هى مدينة حضارية بها كافة المرافق التى تدل على المدينة منها الجوامع،و منــار يرى منه مراكب الفرنج القادمة، وبأسفله برج عمره الأمير صلاح الدين بن عرام على شاطئ النيل و أوقفه وجعل به سلاح وجعله وقفاً للمجاهدين. وبالبرج سبيل للأيتام و عرف أهل رشيد بأنهم قليلــون ومعروفون بصلاحهم [6].

---

[1] البغدادى: مراصد الإطلاع ، ج٢، ص٥٣٥.

[2] ابن دقماق: الأنتصار، ق٢، ص١٠١.

[3] نفس المصدر، ق٢، ص١٠٥.

[4] سعيد مغاورى: النشاط التجاري بين بلدان العالم العربي، ص٨٥١.

[5] ابن دقماق : مصدر سابق ، ق٢ص١٢٣.

[6] نفس المصدر و الصفحة .

جمعت المدينة بين الصناعة والتجارة: فمن أشهر الصناعات بها صناعة الفخار والخزف، والقفف، والأقفاص، و المعادن مثل المجوهرات، النسيج ،كما يوجد بها عدد من المناسج لصنع الأقمشة الكتانية والقطنية. حيث كان يصنع بها قمصان النساء ، وجميع الملبوسات ، والمطرزات كما كان الصناع فى مدينة رشيد يجلبون الحرير من الشام(١). كما كانت المدينة تنتج الفاكهة وخاصة التمر والرمان، كما كانت تنتج الأسماك لإعتماد أغلب أهلها على صيد السمك والطيور(٢).

مدينة رَشِيد التجارية

هى مدينة متحضرة تجارية حيث عرفت بأسواقها وجوامعها(٣). وكان لموقعها على البحر المتوسط وعلى النيل. الأمر الذى جعلها موقعاً مهماً بالنسبة للتجارة البحرية(٤). فقد يحدث أن الرياح توجه السفن والمراكب إلى جهة رشيد. فترسل المستخدمين بالإسكندرية فى استلام هذه البضائع من ينوب عنهم فى ذلك(٥). وكانت فى مقابل ذلك تحصل على ضريبة ولكنها لا تصل إلى ضريبة الخمس(٦).

أما أسواقها فكانت مليئة بما يصنع بالمدينة أو ما تنتجه من الفخار و الخزف والقفف والأقفاص والنسيج والمجوهرات والمعادن والأقمشة(٧)، وإنتاج الخضروات والفواكه والأسماك، والتى كانوا ينقلونها إلى مدن مصر(٨) وخاصة أنه كان بالقرب منها بحيرة بوقير وهى بحيرة عرفت بكثرة السمك، وبجانبها الملاحات التى اعتمد عليها فى أخذ الملح الذى كان يتم تصديره إلى بلاد الفرنج(٩).

---

(١) سعيد مغاوري، النشاط التجارى بين بلدات العالم العربى، ص٨٥١ .

(٢) ابن دقماق: الإنتصار، ق١، ص١٢٣ ، المقريزي: الخطط ، ج١، ص٤٥٧-٤٩١.

(٣) الإدريسي: نزهة المشتاق ، ص٣٤٤.

(٤) سعيد مغاوري: مرجع سابق ، ص٨٥١.

(٥) ابن مماتي: قوانين الدواوين، ص٣٢٦.

(٦) نفس المصدر و الصفحة ، المقريزي : مصدر سابق ، ج١،ص٤٥٧-٤٩١.

(٧) سيعد مغاورى: مرجع سابق ، ص٨٥١.

(٨) الإدريسى: مصدر سابق ، ص٣٤٤.

(٩) القلقشندى: صبح الأعشى ،ج٣، ص٣٣.

﴿ الفصل الثالث ﴾

مدن مصر الصناعية والتجارية بالوجه القبلي

مدن الوجه القبلي

يقصد بالوجه القبلي أو الصعيد : المنطقة التي تقع جنوب الفسطاط حتى حدود مصر الجنوبية[١] . وبالوجه القبلي مدن كثيرة من أهمها أسوان وقوص وقفط وأخميم والبهنسا.وينقسم الصعيد إلى ثلاثة أقسام: الصعيد الأعلى من أسوان إلى قرب أخميم، والأوسط: من أخميم إلى البهنسا، والأدنى: من البهنسا إلى قرب الفسطاط[٢] ، كما ينقسم أيضاً الوجه القبلي إلى قسمين والنيل فاصل بينهما، ويتصل القسم الشرقي بالبحر الأحمر[٣] وبأرض البجاه[٤]، و القسم الغربي بالواحة. ويكثر على الجانبين النخل وتصل مسافة الأراضي التي بها نخل إلى ما يقارب عشرين ألف فدان[٥].

لعبت مدن الوجه القبلي دوراً بارزاً في العصر الأيوبي في المجالين الصناعي والتجاري.ففي المجال التجاري كان للطرق البرية والبحرية دور في ربط أجزاء البلاد بالعاصمة، وربطها بالعالم الخارجي، مما يؤدى إلى ازدهار التجارة كما نشطت حركة التجارة الداخلية وخاصة في المدن الواقعة على النيل إلى جانب تلك المدن الواقعة على طول الطرق المؤدية إلى التجارة بين الشرق والغرب كعيذاب على البحر الأحمر . فأصبحت أسواق تلك المدن تموج بكبار التجار كما كانت الحوانيت تضيق بالباعة في بعض الأحيان[٦].

كانت الصناعة بمدن الوجه القبلي تعتمد على المواد الخام التي ينتجها أقاليم الصعيد . فضلاً عن أن معظم الصناع كانوا على علم ودراية بأمور الصنائع.وكانت أكثر الصناعات انتشاراً في الصعيد

---

[١] ياقوت الحموي : معجم البلدان ، ج٣ ، ص٤٠٨ ، القزويني : آثار البلاد وأخبار العباد ، ص٢١٣،.

[٢] ياقوت الحموي: مصدر سابق، ج٣، ص٤٠٨، البغدادي: مراصد الأطلاع ، ج٢، ص٨٤١ .

[٣] المقريزي: الخطط ، ج١، ص٥٣٢.

[٤] البجاه أو البجه: جمع باج ويقال أنهم من البربر وكان أول بلادهم قرية تعرف بالخربة وآخر بلادهم أول بلاد الحبشة، وقيل البجه قبيلة من الحبش. وأسلموا في إمارة عبد الله بن سهل بن أبي الساج (ابن ظهيرة: الفضائل الباهرة، ص٦٣).

[٥] المقريزي: مصدر سابق، ج١، ص٥٣٣.

[٦] محمد محمد أحمد: مظاهرة الحضارة في الوجه القبلي ،ص أ – ب.

الصناعات الغذائية، كما أولت الدولة الأيوبية اهتمامها باستخراج المعادن وخصصت لها المباشرين والأمناء.وعرف صناع الصعيد بالإبداع والتخصص فيما يصنعونه من صناعات محلية[١].

مدن الصعيد الأقصى

مدينة قُوص

مدينة قوص بالضم ثم السكون وصاد مهملة[٢]. هي مدينة قديمة[٣] كبيرة المساحة عظيمة القدر[٤]، تقع على الضفة الشرقية للنيل[٥] وتعد قصبة الصعيد بمصر[٦]، وتعرف بقوص العالية. وتقع ضمن إقليم القوصية، وهى مدينة الإقليم وقصبته[٧].

ونظراً لمكانة قوص بين مدائن الصعيد فقد كانت أعظمها[٨]. كان بها متولي الحرب السعيد، وقاضي القضاه، فهى تعد باب أو مدخل مكة واليمن والنوبة وسواكن، وواليها تكاتبه ستة ملوك[٩]. وكان لواليها حرمة موقرة ومنزلة رفيعة عند السلطان ، حيث كان يختار واليها من أقارب السلطان أو من كبار قادة الجيش . ففى العصر الأيوبى ولى صلاح الدين أخاه تورانشاه على قوص[١٠].

---

[١] محمد أحمد محمد : مظاهر الحضارة ، ص٥٣-٥٤.

[٢] البغدادي: مراصد الأطلاع، ج٣، ص١١٣٣.

[٣] ابن دقماق: الأنتصار ج١، ق٢، ص٢٨.

[٤] البغدادي: مصدر سابق، ج٣، ص١١٣٣.

[٥] الإدريسي: نزهة المشتاق، ص١٢٨.

[٦] البغدادي: مصدر سابق، ج٣ ، ص١١٣٣.

[٧] ابن دقماق : مصدر سابق،ج١، ق٢ ، ص٢٨ .

[٨] المقريزي: الخطط، ج١، ص٦٥٧.

[٩] ابن دقماق: مصدر سابق، ق٢، ص٢٨.

[١٠] أحمد موسى: تاريخ محافظة قنا، ص٢٢٦.

وكان حكم ولاية قوص يسير على جميع بلاد الصعيد، وعلى المنطقة الجنوبية[1] من صحراء مصر الشرقية[2]، كما كان لوالي قوص نائبان، نائب بأسوان، ونائب آخر[3] بعيذاب. كما يذكر أن ولاية قوص في العصر الأيوبي كانت تشمل قنا وأسوان [4]. وعرفت بأنها ذات أبنية عظيمة من الحجارة ، ومحاطة بسور من الحجارة ، [5] ولم تزل محكمة العمارة حتى سنة (٧٧٦هـ / ١٣٨٤م)[6].

جمعت المدينة بين الصناعة والتجارة[7]فاكتظت ، بمنازل التجار وأرباب الأموال[8]، وسكنها من اليهود ٣٠,٠٠٠ [9]. وكانت المدينة محطاً رئيسياً للبريد الطائر والراكب من العواصم العربية إلى القاهرة[10].

---

[1] النمكي: أسوان وصحراء مصر الشرقية، ص٢٠٦.

[2] صحراء مصر الشرقية وتنحصر بين وادي الطميلات وإلى عيذاب جنوباً وتمتد من أسوان إلى عيذاب (نفس المرجع السابق والصفحة) .

[3] نفس المرجع والصفحة.

[4] ابن مماتي : قوانين الدواوين ، ص ١٠٨ ، ١٧١ .

[5] ناصر خسرو: سفرنامة، ص١١٦.

[6] ابن اياس : نزهة الامم ، ص٢٢٥ .

[7] الإدريسي: نزهة المشتاق، ص١٢٨.

[8] البغدادي: مراصد الأطلاع، ج٣، ص١٣٢٨.

[9] بنيامين التطيلي: الرحلة، ص١٧١.

[10] أحمد موسى: تاريخ محافظة قنا، ص٢٠٨.

مدينة قُوص وصناعتها

قُوص وإنتاجها من المعادن

من المعادن التى كانت تنتج بقوص أو بالقرب منها معدن الزمرد والذى كان يتواجد فى منطقة تعرف بالخربة[١] فى جبل قرشنده[٢]، حيث ينتشر فى مناجم الصحراء الشرقية على حدود مصر والنوبة.حيث يوجد فى مغاير مظلمة لا يدخل إليها إنسان إلا بمصابيح ويحفر عليه بالمعأول فيوجد فى وسط حجارة خضراء اللون. ويتركز فى مكان منقطع العمارة ويعرف بغدير أعين والذى يكثر بكثرة المطر [٣]، حيث يكثر البجاه حول ذلك المكان وبالقرب منه لحفره وحفظه[٤].

ويوجد معدن الزمرد فى حجر أبيض يستخرج منه الزمرد وهذا الحجر الأبيض ثلاثة أنواع: أحدها يقال له: طلق ناري، والثاني رونق فضي، والثالث حجر جروي. ويضرب فى هذا الحجارة حتى يخرج الزمرد [٥]. وأنواعها أيضاً الزباني، السلقي، الريحاني، الصابوني، والزباني أفضلهم وهو نادر وقليل[٦]، وإذا استخرج ألقى فى الزيت ،والطلب على شراء هذا المعدن كثير جداً [٧]. ومن أسماء الزمرد أيضاً والذى كان يستخرج من الخربة أعلاه الذى يعرف بالمرو وهو كثير المائية وتشبه خضرته السلق إلا أنه يضرب إلى السواد. والنوع الثاني هو البحري فى لون ورقه الآس وأطلق عليه اسم البحري لأن ملوك الهند والسند والصين يرغبون في شرائه . والنوع الثالث الذى يعرف بالمغربى لأن ملوك المغرب والفرنج والأندلس كانوا يتنافسون علي شرائه. والرابع يعرف بالأمم وهو أدناهم وأقلهم ثمناً لقلة مائه وحفرته وكثرة ركوده[٨].

---

[١] المقريزي : الخطط ، ج١ ، ص٦٤٩ .

[٢] يقع جبل قرشنده شرقي النيل على بعد ثمانية أيام بالسير المعتدل عن قوص (نفس المصدر و الصفحة).

[٣] نفس المصدر و الصفحة.

[٤] العمري: مسالك الأبصار، ص١١-١٣.

[٥] المقريزي:مصدر سابق، ج١ص٦٤٩.

[٦] العمري: مصدر سابق، ص١١-١٣.

[٧] المقريزي : مصدر سابق ، ج١ ، ص٦٤٩ .

[٨] مجهول: الأستبصار فى عجائب الأمصار، ص٨٥.

كان يتم التشديد على العمال فى استخراجه حتى أنهم كانوا يبتكرون فى سـرقته[١]. وكـان لا يزال يستخرج هذا المعدن من تلك المنطقة حتى عهد السلطان محمد بن قلاوون[٢].

ويذكر أن الزمرد من النوع الزباني إذا نظرت إليه الحيات سالت دموعها[٣] وإذا سـقي منـه المسموم شفي فى وقته، كما كان يعالج الصرع والجذام[٤]. وكانت ملوك اليونان من أربـاب الحكمـة تفضله على جميع الأحجار ويقولون أن شعاعه نوري وخضرته تفوق بزيادة القمر وامتلائه. كما يذكر أن أكثر حجارة الزمرد الفائق تبلغ وزن العدسة ١٠دنانير[٥].

كمـا تنتج نفـس المنطقة معدن الذهب[٦] والفضة[٧] وكانت تستخدم مثل تلك المعادن سـواء الزمرد أو الذهب أو الفضة في صناعة الحلي كالأساور ، والأقراط ، والخواتم وغيره[٨] . كما أنـتج بمدينة قوص معدن الرخام والذى يوجد فى أوائل الجبل الشرقي من جهة الجنوب على مقربة من مدينة قوص. حيث يكثر وجود الرخام من النوع الملون ، ومن النوع الأبيض والساقي وعلى مقربة من جبل قرشنده . وكان يستخدم هذا النوع من الرخام فى تزيين رؤوس الأعمدة والقواعد[٩].

كما أنتج بمدينة قوص الفحم الكارمى أو الحطب الكارمى الذى لا رماد له والفحم الجافي[١٠]. ومعدن اللؤلؤ الذى كان يتم استخراجه من مياة عيذاب ويتم نقله إلى مدينة قوص [١١]وكان يستخدم في

---

[١] العمري: مسالك الأبصار ، ص١١-١٣.

[٢] القلقشندي: صبح الأعشى، ج٣، ص٢٨٢.

[٣] مجهول: الاستبصار ، ص٨٦.

[٤] ابن اياس: بدائع الزهور، ج١، ق١، ص١٩-٢٠.

[٥] مجهول: مصدر سابق ، ص٨٦.

[٦] نفس المصدروالصفحة .

[٧] ابن ظهيرة: الفضائل الباهرة، ص٦٤-٦٥، ابن اياس : ، مصدر سابق، ج١ ، ق١ ، ص١٩-١٢.

[٨] الشيال : مصر الاسلامية ، ص٧٦.

[٩] ابن ظهيرة: مصدر سابق ، ص٦٤-٦٥.

[١٠] نفس المصدر، ص٦٥.

[١١] النمكي : أسوان وصحراء مصر الشرقية ، ص٢١٠-٢١٦ .

صناعات الحلي [1]كما كان يباع في أسواق قوص[2] . ومعدن البازهر، والبرام[3] : والذي كان يستخدم في الصناعات المنزلية كالأزيار والقدور وغيرهم[4] .

صناعة المنسوجات

عرفت مدينة قوص بإنتاج المنسوجات بأنواعها المختلفة الصـوفية، الكتانيـة، الحريريـة، والقطنية. حيث كانت عملية الغزل تتم في البيوت، واشتغل بها الرجال والنساء حيث كان يتم نقل ما صنع في المنازل إلى دور الطراز العامة لإجراء عملية النسج. وكان لكثرة الآلات التى تستخدم فـى صناعة المنسوجات كالأنوال وأجزائها التى تتركب منها كالمكوك والنير وغيرهـا مـن الآلات فـي العصر الأيوبي أثرها بمدينة قوص والتى أصبحت حديث الشعراء[5] .

كما اشتهرت مدينة قوص بإنتاج المنسوجات الصوفية وساعدها على ذلك وفرة المواد الخـام اللازمة لهذه الصناعة فى تلك المنطقة [6] . فأنتج من المنسوجات الصوفية بها الشـيلان والأبسـطة والأكلمه[7].

وشاع استخدام النيلة فى صبغ المنسوجات الحريرية والصوفية فى قوص وساعد علـى ذلـك كثرة زراعته (نبات النيلة) فى المواسم الصيفية فى قوص فى العصر الأيوبي . كما كان يدخل في

---

(1) الشيال : مصر الإسلامية ، ص٧٦ .

(2) ابن ظهيرة : الفضائل الباهرة ، ص٦٤-٦٥ .

(3) الأدفوي : الطالع السعيد الجامع لأسماء الفضلاء والرواه بأعالي الصعيد، ضبطه عبد الحميد قريط ، الجمالية، القاهرة، ١٩١٤م، ص١١١.

(4) أبوصالح الألفى : مذكرات فى التذوق وتاريخ الفن، ص٢٦٨

(5) محمد خليل الهميمي : اقليم قوص من الفتح حتى نهاية عصر المماليك ، رسالة ماجستير غير منشورة ، معهد الدراسات الإسلامية ، ١٩٩٢م ، ص ١٣١ .

(6) الادريسي : نزهة المشتاق ، ص١٢٨، المقريزي : الخطط ، ج١ ، ص٥٣٤ ،.

(7) محمد خليل : مرجع سابق، ص١٠.

عملية الصباغة معدن الشب والذى كان يتم استخراجه من صحراء مصر الشرقية[١]، ومن بين العائلات التي عرفت بحرفة الصباغة بقوص، أبو الحسن الصباغ القوصى ابن حميد الصعيدي والذى عرف بحرفة الصباغة . ومن بين البلدات التابعة لقوص واشتهرت بانتاجها لمختلف أنواع المنسوجات، بلدة نقادة والتي عرفت بصناعتها للعركة وهى تشبه الملاءة ويتم تصديرها إلى السودان والدول الأوربية ويرتديها القضاة [٢].

صناعة الفخار والخزف

ومن الصناعات الشعبية التى عرفت بها قوص صناعة الفخار والتي برع فيها الصناع، حيث اعتمدوا فى صناعتهم على عناصر البيئة الطبيعية[٣] وقاموا باستغلالها، كوجود الطمي المناسب وخاصة من أسوان حتى قنا[٤] . إلى جانب وجود جبل الطفل والذي يوفر الطفلة اللازمة لصناعة الفخار[٥] .

وصنع من الفخار : الأباريق، القدور، الأزيار، أوعية الخل، العسل، النبيذ والسمن[٦] . إلى جانب تلك الأواني التي تم استخدامها في حفظ العطور والبخور وغيرها وزاد الطلب عليها لامتلاء خزائن السلاطين والوزراء وكبار رجال الدولة بأوانى العطور . إلى جانب ذلك اشتهارهم بصناعة أواني البرام والتى عرفت بجودة الطبخ فيها [٧].

---

[١] محمد خليل هميمى :إقليم قوص ، ص١٢ .

[٢] نفس المرجع ، ص١٠٧ ، ١١١ .

[٣] نفس المرجع ، ص١٠٥ .

[٤] مجدي عبد الرشيد : القرية المصرية في عصلا سلاطين المماليك ، الهيئة المصرية العامة ، القاهرة ، ١٩٩٩م ،ص١٦٣-١٦٥ .

[٥] الادفوي : الطالع السعيد ، ص١٠-١١ .

[٦] محمد أحمد محمد : مظاهر الحضارة في الوجه القبلي ، ص٦٦ .

[٧] محمود الحويري : أسوان في العصور الوسطى ، ص٨٨-٨٩ .

عرفت مدينة قوص بإنتاجها للخزف وتعددت أنواعه منها الأواني الخزفية وخاصة ما سمي بالسيلادون ومن تلك الأواني : الفناجين، القدور، الصحون، المواعين[1] .

إنتاج الأخشاب بقوص

عرفت مدينة قوص بانتاج الأخشاب وخاصةً أخشاب السنط ، والتى أطلق عليها الحراج ، والتى كانت ملكا للسلطان[2] ، حيث اعتبرها صلاح الدين مثل المعادن أى ليس لأحد فيها اختصاص[3]. وكان الديوان السلطاني حريصا كل الحرص على عدم سرقتها لذلك وضع عليها حراس يحمونها وذلك مقابل رسم عرف برسم الحراج[4] ، وكان ينتفع بتلك الأخشاب فى صناعة السفن والأساطيل ، أما ما كان يستخدمه الأهالي وينتفعون به من الأخشاب فكان ذلك مقابل رسم عرف برسم الحراج . وما كان يزيد على الديوان السلطاني من أخشاب فكان الديوان يقوم ببيعها إلى التجار[5] . لأهمية تلك الأخشاب حرصت الدولة على زيادة انتاجها منها لذلك انتشرت زراعتها في كل من أسيوط ، أخميم ، وقوص ، والأشمونيين ، والبهنسا ، وغيرهم[6] . وقد ترتب على إنتاج مدينة قوص للأخشاب صناعتها للسفن التي عرفت بها فى العصر الأيوبى[7] .

صناعة الكحل

مارس تلك الصناعة بمدينة قوص عدد من الأطباء الذين اكتسبوا مهارة كبيرة فى مثل تلك الصناعات المحلية ومنها صناعة الكحل وارتبطت صناعة الكحل بصناعة أدوات المكاحل والمزاود وهى الأدوات التى استخدمتها المرأة للتحلي بها ولإبراز زينتها ولإظهار جمالها[8].

---

(1) محمد خليل : اقليم قوص ، ص١٠٨.

(2) ابن مماتي : قوانين الدواوين ، ص ٣٤٥ ، المقريزى : الخطط ، ج١ ، ٣١٧ .

(3) حسنين ربيع : النظم المالية ، ص ٤٤

(4) المقريزى : مصدر سابق، ج١ ، ص ٣١٧ .

(5) نعمان الطيب : منهج صلاح الدين ، ص ٤١٦ .

(6) ابن مماتي : مصدر سابق ، ص ٣٤٤ ، المقريزى: مصدر سابق ، ج١ ، ٣١٧ .

(7) نفس المصدر والصفحة

(8) محمد خليل : مرجع سابق ، ص١٠٨.

الصناعات الجلدية

قامت الصناعات الجلدية بقوص على ما توافر لديها من المواد الخام المتمثلة في جلود الماشية والتي زادت بها لزيادة المراعي واستخدمت تلك الجلود في صناعة المنتجات الجلدية بأنواعها المختلفة[1] .

صناعة السلال والأطباق

كما عرفت مدينة قوص بإنتاج نوع من الحصير، والسلال والأطباق والتى صنعت من سعف النخيل، وشجر الدوم، وبرعوا فى صناعة نوع من الحصير يسمى البرش[2]. كما صنع من سعف النخيل المرأوح التى عمت وانتشرت بإقليم الصعيد وبأعماله لارتفاع درجات الحرارة فى تلك المنطقة، ولذلك راجت تلك الصناعة للتهوية من حرارة الجو القائظة التى تعم البلاد الجنوبية خصوصاً فى موسم الصيف. وصنع أيضاً بها نوع من القفاف والمذبات من الليف، والحبال، ومن الجريد والأقفاص والأسرة والكراسي. ومن العرجون الخاص بالنخيل صنعت المكانس كما ظهرت صناعة أخرى مثل المسابح، العقود وغيرها من الصناعات التى عرفت بها[3] مدينة دندرة[4]. ومن الذين عملوا بصناعة المرأوح القاضى الشافعي محمد بن سليمان بن فرج الكندي (٦٨٧هـ/١٢٨٨م)، حيث كان فى أثناء حكمه بإقليم قوص يضيق عليه الرزق فيعمل بصنع المرأوح بيده لكي يرتزق منها[5].

---

[1] المقريزي : الخطط ، ج١ ، ص٥٣٤.

[2] الحصير البرش : هو البساط المنسوج من أوراق البردى ، وعرف بالبرش لأنه ملون بألوان مختلفة فالبرش والبرشة : لون مختلف نقطة حمراء وأخرى سوداء أو نحو ذلك والأبرش الذي فيه ألوان وخلط وجمع برش(ابن منظور : لسان العرب ، ج ١ ، ص ٢٥٧ ، ج ٢ ، ص ٨٩٦ ، محمد أحمد: مظاهر الحضارة فى الوجه القبلي، ص٦٧-٦٨.

[3] محمد خليل: اقليم قوص، ص١٠٨.

[4] دندرة: بفتح أوله وسكون ثانيه ودال أخرى مفتوحة بليدة على غربي النيل من نواحي الصعيد دون قوص بينها وبين قوص بريد ، عرفت بكرومها ونخيلها (ياقوت الحموي: معجم البلدان، ج٢، ص٤٧٨، ابن جبير: الرحلة، ص٤٠.

[5] محمد خليل: مرجع سابق، ص١٠٨.

الصناعات الغذائية بقُوص

أ-صناعة قصب السكر

كانت قوص أشهر المراكز لإنتاج قصب السكر، حيث انتشرت زراعته فى الأراضي الجيدة الدافئة التى شملها الرى وعلاها النيل، وبعد أن يقلع القصب من الأراضى[1] يتم إرساله إلى معاصر خاصة وقد حرصت الدولة كل الحرص على إرغام أصحاب المزارع بعصر أقصابهم فى معاصرها المنتشرة بسائر الأقاليم[2] والتى عرفت بدار القصب[3].

كان يتم عملية تنظيف القصب من الزوائد غير الصالحة ، ثم يوضع القصب تحت الحجر، وتدور عليه الأبقار فيتم عصره وطحنه وتصفيته ويخرج منه عصائر القصب التي منها ما يتم تجميده، ومنها ما يترك عسل[4]. ويذكر أنه كان بقوص أربعون مسبكاً للسكر وست معاصر للقصب[5]، كما كان بمدينة قوص ما يزيد على أربعة آلاف عامل كانوا يشتغلون فى عصر وصناعة القصب وزراعته. وكان يستخرج من قصب السكر إلى جانب العسل، المولاس والذى كان يستخدم فى أغراض غذائية مختلفة، مثل صناعة المشروبات الروحية كالكحول، ويخلط بقطع القصب الجاف بعد استخراج العصير منه ويستعمل كعلف للماشية[6].

ب-إنتاجها من التمر

عرفت مدينة قوص بإنتاج التمر والرطب، حيث اشتهرت بكثرة نخيلها وأشجارها على شاطئ النيل من الجانبين الشرقي والغربي، ويشق بينهما النيل مسافة سبعة أيام[7].

---

(1) النويري: نهاية الأرب، ج٨، ص٢٦٤.

(2) محمد أحمد: مظاهر الحضارة فى الوجه القبلي، ص٦٦.

(3) النويري: مصدر سابق ، ج٨، ص٢٦.

(4) نفس المصدر و الصفحة .

(5) الأدفوي: الطالع السعيد، ص٨-١٠.

(6) محمد خليل: إقليم قوص، ص١٠٠.

(7) ابن ظهيرة: الفضائل الباهرة، ص٦٤-٦٥.

ويعد رطبها من أحسن الرطب، فهو صادق الحلاوة, كثير السكّر، وفيه شئ تمل النوى منه، وهو علىٰ عرجونه قبل أن يقطف وفيه رطب لا يمكن تأخيره بعد أن يجنى غير لحظة، لنعومته وكثرة سكّره فذكر عنه(التمر)أنه لايوجد نوع من أنواع التمر بالعراق إلا وفى صعيد قوص مثله وفيه ما ليس بالعراق ، وفيه رطب عجيب المنظر حسن المخبر[1].وكان يصنع من التمر العجوه [2] . وكان إنتاج التمر من أكثر المنتجات الغذائية شهرة فى أسواق قوص ليس ذلك فقط بل كان يتم نقله إلى العاصمة لبيعه بها [3] .

ج-إنتاج اللحوم والألبان

لم يقتصر انتاج الماشية والأغنام على مدينة قوص فقط بل انتشرت في مدن الوجه القبلي وذلك في العصر الأيوبي . تلك الماشية والأغنام التي عرفت بوفرتها وبرخصها وبجودة لحومها وحلاوة طعمها حتى ذكر عنها الأدفوي أنها عرفت بطيب لحم الحيوان بها ولذته، ذلك لأن الغالب على غنمها السواد، وهى عند الأطباء أشد حراره وأحلى طعماً. وسبب ذلك أيضاً طيب المرعى وجودة العلف وحسن الغلال[4].

كما يذكر عن المقريزي: أن أرض قوص كثيرة الضأن، وذلك لكثرة إنتاجها . وقد شوهد أن من أغنام الصعيد ما يلد فى السنة ثلاث مرات ويلد فى البطن الواحدة ثلاثة رؤوس. كما يكثر بمدينة قوص القبائل العربية والتى كانت تقوم بعمليات الرعى أمثال: بنو هلال ، وجهينه، وقريش، ولواتـه، وبنو كلاب[5]، وما كان ينزل مع هؤلاء عدة قبائل سواهم من الأنصار ومن مدينة ابن دراج، وبنى كلاب, وثعلبه, وجذم.وقد ساعد تواجد هؤلاء القبائل على زيادة الاهتمام بالمراعى التى زادت وكثرت

---

[1] الأدفوي: الطالع السعيد ، ص١١١.

[2] ابن اياس : بدائع الزهور :ج١، ص٤١ .

[3] أحمد موسى : تاريخ محافظة قنا ، ص ٢٢٨ .

[4] الادفوي : مصدر سابق ، ص١١١، محمد خليل : اقليم قوص ، ص١٠٩ .

[5] المقريزي : الخطط ، ج١ ، ص٥٣٤ ، أحمد موسى : مرجع سابق ، ص٢١٨ .

وترتب على ذلك كثرة اللحوم[1].

ومن الصناعات الغذائية التى ترتبت على توفر الأغنام والمراعي بقوص إنتاج الألبان والتى لم تروج فى قوص فقط بل راجت فى بلاد الصعيد والتى كانت أعظم بلاد بمصر ألباناً. حيث أنتجت كميات هائلة منها فى العصر الأيوبي، وعرف فى فصل الشتاء فى قوص بطيبه، ورخصه، وكثرة ألبانه[2].

التجارة في مدينة قُوص

لم تكن مدينة قوص مدينة صناعية فقط بل جمعت بين التجارة والصناعة، وليس أدل على لزدياد النشاط التجارى بها ما ذكره ابن جبير من كثرة المرافق التجارية. وعلى رأسها الأسواق التى ماجت بها والفنادق التجارية[3]، كما ذكر الإدريسي:" أنها مدينة كبيرة تجارية بها أسواق جامعة تكثر بها التجارات الداخلة والخارجة ويكثر بها المسافرون ، وإليها يرد الكثير من البضائع حيث عرفت أنها من المدن الرابحة فى التجارة والتى كانت تحصل من ورائها على مكاسب كبيرة "[4].

وقد لعب موقعها الجغرافي على ضفة النيل الشرقية[5]، وموقعها على الطريق الذى تمر به القوافل التجارية بين الشرق والغرب دوراً كبيراً وخاصةً بعد تحول طرق التجارة العابرة بين الشرق والغرب[6] إلى عيذاب الواقعة على البحر الأحمر وقوص الواقعة على نهر النيل[7] ، وبعد تعرض البحر المتوسط وثغوره لخطر الحروب الصليبية[8].

---

[1] الإدريسي: نزهة المشتاق، ص١٢٨.

[2] محمد أحمد محمد: مظاهر الحضارة فى الوجه القبلي، ص٥٨.

[3] ابن جبير : الرحلة ، ص٤١-٤٢ .

[4] الإدريسي: مصدر سابق، ص١٢٨.

[5] نفس المصدر والصفحة .

[6] محمد أحمد محمد: مرجع سابق ، ص٧٦.

[7] العمري: مسالك الأبصار، ص٨٦-٨٧.

[8] أحمد موسى: تاريخ محافظة قنا، ص٢٢٨.

وقد شاركت قوص إلى جانب المدن الكبرى مثل القاهرة والفسطاط فى حركة النشاط التجاري لمدن مصر وذلك بثراء وعظم تجارتها فى العصر الأيوبي[1].

حيث عمرت أسواقها بالسلع المختلفة سواء كانت المحلية من المعادن، كالزمرد، والذهب[2] والفضة[3].والمنتجات الصناعية مثل: المنسوجات أو المنتجات الشعبية مثل السلال والحصير وغيرها[4]، إلى جانب المنتجات الغذائية كاللحوم[5]، والسكر[6]، والتمر[7]. كما كانت قوص حلقة الوصل بين صعيد مصر والعاصمة ومنها كان يحمل ميرة الحج المتجه إلى عيذاب[8].

أما السلع الواردة من المدن الخارجية والتى امتلأت بها أسواق قوص وخاصة من البلاد الأجنبية مثل، الهند، الصين، اليمن[9]،التوابل، العطور، العقاقير الطبية والتى كانت ترد إلى قوص من عيذاب منها ما كان يستهلك فى قوص وأسواقها، ومنها ما كان يتم تصديره إلى أوروبا[10]. أما ما تحتويه أسواق قوص مما يأتيها من السودان والنوبة (الصمغ العربي، اللبان، التمر، والتمر الهندي، وريش النعام، المسك ، الرقيق). حيث كان يرد عن طريق أسوان ومنه إلى قوص أيضاً ومنه ما كان يستهلك محلياً فى مدينة قوص ومنه كان يتم نقله إلى القاهرة.

كما حوت أسواق قوص سلعاً أوربية مثل، الشمع، الجوخ، الفراء، الصوف، البندق، والتى ترد من أوروبا وتعرض فى أسواق قوص ومنها إلى عيذاب ومنها إلى مدن شرق أسيا[11].

---

[1] محمد خليل: إقليم قوص، ص١٤٢.

[2] المقريزي: الخطط ، ج١، ص٦٥٧.

[3] ابن ظهيرة: الفضائل الباهرة، ص٦٤-٦٥.

[4] محمد خليل: مرجع سابق، ص١٠٩.

[5] الإدريسي: نزهة المشتاق ، ص١٢٨.

[6] النويري: نهاية الأرب، ج٨، ص٢٦٤.

[7] العمري: مسالك الأبصا، ص٧٦-٨٧.

[8] أحمد موسى: تاريخ محافظة قنا ، ص٢٢٨.

[9] ابن ظهيرة: مصدر سابق، ص٦٤-٦٥.

[10] محمد خليل: مرجع سابق ، ص١٥٢.

[11] ابن شاهين: زبدة كشف الممالك، ص٣٣.

وبذلك راجت أسواق قوص بالنشاط التجاري، وامتلأت بالتجار، والحجاج، والوافدين من شتى الأقطار، وسائر الأمصار العربية والإسلامية فى العصر الإسلاميفى فترة الأيوبيين[١].

وأصبحت الميناء التجاري للتجار الواردين من عدن والهند، والحبشة، وملتقى التجار من مصر والإسكندرية والتجار من المغرب[٢].

كما سيطرت مدينة قوص على تجارة الصعيد كله إلى أقصى حدود جنوب بلاد النوبة، وامتدت شرقاً حتى ساحل البحر الأحمر، وغرباً حتى الواحات[٣]. فكانت مدن الصعيد بما فيها قفط وأسيوط ، وملوى ، ومنفلوط ، ومنية ابن خصيب كانت تصدر منتجاتها إلى قوص[٤].

فلذلك كانت مدينة قوص مستودعاً للبضائع التجارية فى العصر الأيوبي ، وليس أدل على ذلك من قول ابن جبير بما يتواجد بها من كثرة الخلق وكثرة الصادر والوارد من الحجاج والتجار اليمنيين والهنديين وتجار الحبشة[٥]. حيث كانت من أهم المراكز التجارية الضخمة، وكذلك من الموانى الهامة لتجارة النوبة والسودان[٦]. كما يذكر ابن جبير أنها لم تكن فقط محط للرحال، ومجتمع الرفـــاق، بـــل كانت محطاً للتجار والحجاج المغاربة والمصريين من مصر والإسكندرية ومن يتصل بهم ومنهم من يأتى عبر صحراء عيذاب فيتعرضون لأهوال الصحراء[٧].

كما كان لمكانة قوص التجارية أثر كبير فى تعدد أسواقها وما احتوته من منتجات مختلفة. فقد تواجد بها الأسواق الدائمة، الأسبوعية، والمتخصصة[٨].

---

[١] محمد خليل: إقليم قوص ، ص١٥٣.

[٢] ابن جبير : الرحلة، ص٢٢٨.

[٣] عبد العال الشامي: مدن مصر وقراها عند ياقوت، ص٥١.

[٤] محمد أحمد محمد: مظاهر الحضارة في الوجه القبلي، ص٥٧-٥٨.

[٥] ابن جبير: مصدر سابق، ص ٤١-٤٢.

[٦] العمري: مسالك الأبصار، ص٨٦-٨٧.

[٧] ابن جبير: مصدر سابق، ص٤١-٤٢.

[٨] محمد خليل: مرجع سابق ، ص١٤٢.

أما ما يخص أسواقها التجارية فقد كان يستمر سريانها، وتعقد طوال أيام السنة وعرفت هـذه الأسواق فى العصور الوسطى باسم الأسواق العامة أو الدائمة. وكان يقع سوق قوص العام فى وسـط المنطقة المجاورة للجامع الكبير بالمدينة، وكانت تلك الأسواق تحتل المقدمة الرئيسـية فـى النشـاط التجاري بالإقليم[١].

أما سوق قوص الأسبوعي فكان يقام يوم الأحد من كل أسبوع، ونظراً لمـا كـان يقـع مـن الحوادث وأعمال الشغب فى هذا اليوم الذى كان يواكب دخول وخروج النصارى من كنائسهم ، لـذلك قام الوالي بتغييره منعاً لإحداث الشغب[٢] أما أسواقها المتخصصة فقد اختصت ببيع سلعة معينة مثـل سوق الصباغين وغيره من الأسواق[٣] .

أما وسيلة التنقل في أسواق قوص فكانت تتمثل في الحمير وخاصة في المسـافات القصـيرة، وغالباً ما كانت تستخدم فى الانتقال بين المدن القريبة وبعضها واستعملت أيضاً فى التنقل داخل المدن والقرى. أما ما كان يستخدم فى التنقل فى الصحاري والقفارفهى الجمال، حيث يحمل على ظهورهـا التجار بمتاجرهم خلال تلك الطرق الصحراوية بين البحر والنهر[٤].

لم تقتصر حركة التجارة بقوص على أسواقها، بل ذكر ابن جبير وعدّد فنادقها وذكـر منـهم فندق شهير بها يقع بمنيتها وهو ربض كبير خارج المدينة. حيث كان يحط بها بضائع التجار والحجاج فى موضع المدينة يسمى الميزر وهو مكان مرتفع بها وعلى مقربة منه ساحة فسيحة يحط فيها الحجاج والمسافرون، وفيه يوزن ما يحتاج إلى وزنه وكانت القوافل العيذابية والقوصية تتبادل بـه الصـادر والوارد بقوص[٥] .

كما لم تقتصر حركة التجارة أيضاً بمدينة قوص على الأسواق والفنادق، بل اكتظت المدينـة بالوكالات والخانات والقيساريات وكان يتم من خلال تلك المرافق عمليات البيـع والشـراء بالجملـة

---

[١] محمد خليل: إقليم قوص، ص١٤٢.

[٢] نفس المرجع و الصفحة.

[٣] الشيزري : نهاية الرتبة ، ص١١٧ .

[٤] محمد خليل : مرجع سابق ، ص١٤٦.

[٥] ابن جبير: الرحلة، ص٤٢.

والتجزئة وخاصة الوكالات حيث كان يتم توزيع ما يرد إليها من الأسر . كما كان يتم فيها الأعمال المصرفية ، وسمحت الحكومة للتجار المسلمين أن يقيموا وكالات خا بهم . ومن الخانات التي عرفت بقوص: خان السلطان ، والذى كان يقع بظاهر مدينة قوص ، جهة الشرق ويذكر أنه قد حدث لأحد خانات السلطان حريق كبير كان حديث الشعراء[1].

وكان لحركة التجارة الواسعة التي شملت مدينة قوص أثر على ثراء أهلها لبراعتهم في التجارة ، حتى يذكر أنه من كان يملك عشرة آلاف دينار كان يشيد على داره قبه لبيان ثرائه [2].كما كانت منازل الأثرياء من أرباب التجار وأصحاب الأموال تتركز بموضع معين بالمدنية في الربض الكبيرة الواسعة[3]. كما أثرت حركة الرواج التجارى بالمدينة على اهتمام الدولة في نشر الأمن في المدينة وخاصة أن الجزء الجنوبي منها كان يشغي بالمعاملات التجارية[4].

كما كانت لحركة قوص التجارية أثر في إمداد الدولة بمورد مالي كبير ، وخاصة لما كان يجلب منها من ضرائب على الصادر والوارد من التجارة والحجاج والمسافرين عن طريق النيل سواء عن طريق القوافل التجارية التي تمر بها عبر النيل أو عن طريق القوافل التي تنقل بها إلى عيذاب بالبحر الأحمر. ولكنه في أعقاب سنة (٥٧٦هـ/١١٨٠م) كتب إلى قوص بإبطال المكوس التي تستأدي من الحجاج وتجار الهند[5].

---

[1] محمد خليل : إقليم قوص ، ص١٤٨-١٥٠.

[2] الأدفوي: الطالع السعيد ، ص٨-١٠.

[3] عبد العال الشامي: مدن مصر وقراها عند ياقوت ، ص٣٣.

[4] أحمد موسى : تاريخ محافظة قنا ، ص٢٣٥ .

[5] المقريزي : السلوك ، ج١ ، ق١ ، ص٩٧ .

مدينة أُسْوانَ

مدينة أسوان بالضم ثم السكون، وأو، وألف ، ونون ، ويقال بغير همزة[١]، وهى مدينة كبيرة[٢]. وأسوان من قولهم أس الرجل أس، وإذا حزن فهو أسيان وأسوان أى الحزين[٣]، وقيل بمعنى السوق[٤]. وهى مدينة بالصعيد الأعلى[٥]، وتبعد عن القسطاط بثلاثمائة فرسخ [٦] تقع على الضفة الشرقية للنيل في آخر بلاد صعيد مصر، وأول بلاد النوبة[٧]، وهى ثغر من ثغور الإقليم والذى يفصل بين بلاد النوبة وأرض مصر[٨].

وبمدينة أسوان الجنادل[٩] ، لذلك لا تستطيع السفن عبور النيل عقب وصولها أسوان إلى جنوبها ذلك لأن الماء يخرج هناك من شلالات فيندفع سريعاً[١٠].

---

[١] ياقوت الحموي: معجم البلدان، ج١، ق١ ، ص١٩٢، البغدادي: مراصد الأطلاع، ج١، ص٧٨.

[٢] البغدادي: مصدر سابق، ج١، ص٧٨.

[٣] المقريزي: الخطط ، ج١، ص٥٥٤.

[٤] التمكي: أسوان وصحراء مصر الشرقية، ص٢٠٥.

[٥] صر بن الوردي : خريدة العجائب ، ص٤٧.

[٦] ناصر خسرو: سفرنامة، ص٨٧.

[٧] بلاد النوبة بالضم ثم السكون وباء موحدة وهي بلاد واسعة في جنوبي مصر وتوجد على بعد أربع فراسخ منها ولا يستطيع أحد الذهاب من أسوان إلى النوبة بالمراكب لوجود الشلالات التي تنحدر في جبل جنوبي أسوان . أما أهلها يذكر عنهم أنهم كفرة ولولا ما بين بلاد مصر وبلاد النوبة من الجبال والأوعاد التى حالت بينهم لأفسد أهالى النوبة بلاد مصر، وساعد على ذلك هبوط النيل من بلاد النوبة على صخور وأوعاد ، ولا يدخل ذلك الموضع مركب (مجهول: الأستبصار، ص ٨٧، ياقوت الحموي : مصدر سابق ، ق١ ، ص١٩٢، البغدادي : مصدر سابق ، ج١، ص٧٨، ج٣ ، ص١٣٩١) .

[٨] المقريزي: مصدر سابق، ج١، ص٥٥٤.

[٩] وهى حجارة ثابتة فى وسط البحر حتى أنه فى وقت زيادة النيل يوضع عليها سرج فإذا زاد البحر أرسلوا البشير إلى مصر(الهروي: الإشارات إلى معرفة الزيارات ، ص٤٥).

[١٠] ناصر خسرو: مصدر سابق ، ص٨١.

ومدينة أسوان من المدن المحصنة[1] ذلك لوجود الجنادل والجبال بجنوبها والتي تفصلها عن بلاد النوبة[2] ، ومرور النيل بوسطها لذلك لعب ذلك التحصين دوراً في حمايتها من بلاد النوبة. ليس ذلك فقط بل كان يتواجد بها جيش دائم للمحافظة عليها وعلى ولايتها[3]، حيث كان يحكمها في العصور الوسطى دوق، وفي العصر الأيوبي كان لوالي قوص نائبان أحدهما في أسوان والآخر في عيذاب[4] .

الصناعات بأُسْوَانَ

صناعة المعادن

عرفت مدينة أسوان بثروتها من المعادن مثل الشب، والزبرجد، والذهب، واللؤلؤ، والبللور. أما معدن الشب فكان يستخرج بمقربة من أسوان[5] بالصحراء الغربية ، وكان ما يستخرج من الشب وينقل إلى أسوان من أكبر الكميات التى ينتجها الصعيد فى مدن مصر زمن الأيوبيين. وكان يحمل منها إلى القاهرة فى كل عام، وخاصة أيام السلطان الملك الكامل بن العادل, والسلطان الصالح نجم الدين أيوب، ما يقدر بألف قنطار شب أبيض[6].

وكان يتم استخدام الشب في الصباغة ويشرف عليه الديوان السلطاني. وخاصة أن الدولة احتكرت المعادن المستخرجة من أراضيها لشدة طلب الأوروبين وعينت أمناء يقومون بجمع ما يستخرج منه وحمله إلى الخزائن المصرية[7].

---

(1) ناصر خسرو: سفرنامة ، ص٨١.

(2) مجهول: الأستبصار فى عجائب الأمصار، ص٧٨.

(3) ناصر خسرو: مصدر سابق ، ص١١٦.

(4) المكى : أسوان وصحراء مصر الشرقية ، ص٢٠٦ .

(5) القلقشندي: صبح الأعشى، ج٣، ص٢٨٤.

(6) محمد أحمد: مظاهر الحضارة ، ص٧٢-٧٣.

(7) نفس المرجع ، ص٧٣.

كما عرفت مدينة أسوان بإنتاج الزمرد والذى يتركز فى جنوبها [١]وكان له ديوان خاص به فيه شهود وكتاب وينفق على العمال منه ويقدم لهم المؤن لحفره . ويتم استخراج الزمرد حيث يحفر له فى جبال مرمله وربما سقط على الحفارين ، وماتوا ، ويجمع الزمرد إلى السلطان وينقل إلـى الفسطاط ومنها يتم تصديره إلى سائر البلاد[٢]. إلى جانب أنه كان يتم تصنيع الحلى منه[٣] وعرف الزمرد الذي ينتج بأسوان بأنه من أجود أنواع الزمرد في العالم[٤] .

كما عرفت مدينة أسوان بإنتاج معدن الذهب ، حيث كان يستخرج مـن الصـحراء الشرقية والغربية وينقل إليها . وكان يستخدم في صناعة السكة وكان ينقل من أسوان إلى الفسطاط [٥].

وكان يوجد أكبر موضع لاستخراج الذهب فى جبل خلف أسوان. وقد تعددت طرق استخراجه حيث تذهب القبائل إلى تلك المواضع[٦] التى تبدأ من أسوان إلى وادي العلاقي وبعض أماكن متفرقة حوله[٧] ،ويمكثون فى الليالي التى يظهر فيها ضوء القمر ضعيف، حيث يعملون على المواضع التى يرون فيها شيئاً مضيئاً علامة يعرفونها. ويبيتون هناك فإذا أصبحوا حملوا أكوام الرمل التـى عملـوا عليها ومضوا بها إلى آبار هناك يغسلونها بالماء ويستخرج منها الذهب إلى جانب ذلك كانـت نفـس المناطق التي يستخرج منها الذهب يستخرج منها الفضة [٨].وكانت تلك المعادن إلى جانب اسـتخدامها في صناعة السكة تستخدم في صناعة الحلي[٩] .

---

[١] عمربن الوردي: خريدة العجائب، ص٤٧، المقريزي: الخطط، ج١، ص٥٥٤.

[١] العمري : مسالك الابصار ، ص٦٧ ، المقريزي : مصدر سابق، ج١ ، ص٦٤٩ ،.

[٢] الشيال : مصر الاسلامية ، ص٧٦ .

[٤] النمكي : أسوان وصحراء مصر الشرقية ، ص٧٦ .

[٥] محمد أحمد محمد : مظاهر الحضارة بالوجه القبلي ، ص٧١ .

[٦] النمكي: مرجع سابق ، ص٢١٥.

[٧] عمربن الوردي: مرجع سابق، ص٤٧.

[٨] ابن دقماق : الانتصار ، ج١ ،ق١ ، ص٣٤ .

[٩] الشيال : مرجع سابق ، ص٧٦ .

ويوجد بمدينة أسوان معدن الزبرجد، والذى يجلب إليها من منطقة بالقرب منها[1] ، ويجلب إليها اللؤلؤ، والبللور المستخرجان من عيذاب، حيث يتم بيعه بأسواق أسوان[2]، ويأتيها معدن النطرون والملح والذى يجلب إليها من الواحات [3].

إنتاج المنسوجات

اشتهرت مدينة أسوان بإنتاج المنسوجات القطنية ، حيث تنوعت منتجات هذه الصناعة ، فعمل من القطن أغطية الرؤوس ، والملاءات.وفى أسوان صنعت الفوط والجباب وساعد على ازدهار ورواج هذه الأنواع كثرة العلماء والمتصوفين المستخدمين لها.حيث يذكر أن كسوة أهل الواح كانت من القطن وأن العلماء من أهل أسوان كانوا يرتدون الملابس القطنية وخاصة الجبه ويستخدمون الفوط القطنية. وقد شاعت تلك الصناعة على الرغم من قلة القطن فى مصر والذى كان لا يكفى الاستهلاك المحلي ، وكان يتم استيراد كميات كبيرة منه فى العصور الوسطى[4].

إنتاج الفخار

عرفت مدينة أسوان بإنتاج الفخار ، وساعدها على ذلك وجود جبل الطفل الذى كان يعمل منه الفخار الأسوانى[5] . وانتشرت تلك الصناعة فى العصر الأيوبى فى مدينة أسوان ،وصنع من الفخار : القدور ، والأباريق ، والأزيار ، وأوعية الخل والعسل والنبيذ وكيزان الفقاع بالإضافة إلى الأوانى التى كانت تستخدم فى حفظ العطور وخاصةً بقصور كبار رجال الدولة والسلاطين[6] .
كما مهر أهالى أسوان فى صنع أوعية الفخار التى تسمى بالبرام ، والتى امتازت بجودة الطبخ فيها ، وهى تصنع من حجر يسمى حجر البرام . حيث يتم سحقه ويضاف عليه الطين الأسود ويتم مزجه

---

[1] الاصطخري : المسالك والممالك ، ص٤٠، ٤٢ .

[2] المكي : أسوان وصحراء مصر الشرقية ، ص٢١٥-٢١٦ .

[3] عمر بن الوردي : خريدة العجائب ، ص٤٧.

[4] محمد أحمد محمد: مظاهر الحضارة فى الوجه القبلي ، ص٢٣-٦١.

[5] الأدفوى : الطالع السعيد ، ص١٠-١١ .

[6] الحويرى : أسوان ، ص ٨٩ .

ويعجن ويعمل منه أوعية البرام ويترك في الشمس حتى يجف[1] ، وعرفت أسوان أيضاً بإنتاج الفخار غير المدهون المصنوع من الطمي بعد حرقه ، وقد عوضت تلك الصناعة باستخدام أوانيها الفخارية عما يستخدم من أواني الذهب[2] .

مدينة أُسْوَان وإنتاج الكحل

برع أهالي أسوان في صنع الكحل، والتي عرفت في العصور الوسطى باسم صناعة اليد. ومن الذين أجادوا تلك الصناعة ونبغوا فيها، الطبيب "هبه الله بن صدقة الأسواني" (ت٦٤٢هـ/١٢٤٤م). إذ توارث أبناؤه تلك الصنعة واشتهروا بها في القاهرة[3].

مدينة أُسْوَان وإنتاج السلال والحصير والحبال وغيرها

مهر النوبيون في أسوان في صناعة السلال والأطباق من سعف النخيل وشجر الدوم، وعمل من لوف النخيل الأحبال. تعد هذه الصناعة من الصناعات الشعبية والتي انفردت بها أسوان وخاصة المراوح من سعف النخيل ، والتي استخدمت كوسيلة جيدة للتهوية. وقد اتخذ أحد الفقهاء عمل المراوح حرفة له وعرف بالمراوحي. وقد انتشرت تلك الصناعة حتى أن الفتيات كن يحترفن هذا العمل من سن السابعة حتى زواجهن محاكين في ذلك أمهاتهن والعجائز من أقاربهن[4].

الصناعات الغذائية

أ-إنتاج التمور بأُسْوَان

عرفت مدينة أسوان بإنتاجها للتمر ، وساعدها على ذلك كثرة نخيلها[5] ، والذى كان يتواجد بها وبالصعيد على شاطئ النيل من الجانبين الشرقي والغربي. حتى ذكر أنه كان يتحصل منها في كل سنة

---

[1] الحويري: أسوان فى العصور الوسطى، ص٨٩.

[2] محمد أحمد : مظاهر الحضارة فى الوجه القبلى ، ص ٢٣، ٦١ .

[3] المقريزي: الخطط، ج١، ص٥٥٤.

[4] الحويري: مرجع سابق ، ص٨٩.

[5] ناصر خسرو: سفرنامة ، ص١١٨، ابن شاهين: زبدة كشف الممالك، ص٣٣.

ثلاثين ألف أردب من التمر[1].ويذكر أن بها نوع من الرطب قريب من اللون الأخضر وهو شديد الحلاوة[2].

ب-إنتاج الأسماك واللحوم

عرفت مدينة أسوان بإنتاج الأسماك ، وساعدها على ذلك وقوعها[3] على نهر النيل . فكان من أسماكها منها ما هو يملح ،ويعرف بالملوحة والصير وهى أسماك لا يزيد حجمها عن قدر الأصبع ثم يعرض للبيع، وقد أنشئ ديوان خاص لصيد الأسماك[4].

أما اللحوم فقد عرفت أسوان بإنتاج اللحوم[5] حيث يكثر بها الإبل، والبقر، والغنم التى عرفت بلحمها السمين[6]. وكان أكثر الطلب فى أسوان على لحوم الأغنام, والتى عرفت برخص أسعارها. وكان لتربية الماشية والأغنام دور فى توفير الألبان والتى عرفت بدقتها وطول فترة بقائها بحالة جيدة[7].

ج-صناعة طحن الحبوب والزيوت

عرفت مدينة أسوان بإنتاجها من الحنطة وغيرها من الحبوب المختلفةحتى وصل إنتاج أسوان من الغلال فى الفدان الواحد إلى أربعين أردباً من الشعير [8]. وترتب على إنتاج الحبوب فى أسوان صناعة طحن الغلال، حيث كانوا يستخدمون حجارة الجرانيت فى عمل حجارة الطاحون التى كانت

---

[1] الأدفوي: الطالع السعيد ، ص١٠-١٤، ابن دقماق: الأنتصار، ج١، ق١، ص٣٤.

[2] ابن اياس: بدائع الزهور، ج١، ص٢٠، نزهة الأمم، ص١٩٤.

[3] الادفوي : مصدر سابق ، ص١٠-١٤ .

[4] الحويري: أسوان في العصور الوسطى، ص١٢٤.

[5] عمر بن الوردي: خريدة العجائب، ص٤٧.

[6] المقريزي:الخطط ، ج١، ص٥٥.

[7] ابن ظهيرة: الفضائل الباهرة ، ص٦٧

[8] ابن اياس: نزهة الأمم، ص١٩٤، ابن ظهيرة : مصدر سابق ، ص٦٧ .

تستخدم فى طحن الغلال[1].

كما عرفت مدينة أسوان بإنتاج البقول[2] إلى جانب الزيتون والذى ترتب عليهما صناعة الزيوت[3].

د-إنتاج الخمور

كما عرفت مدينة أسوان بإنتاج الخمور[4]، حيث يوجد بها قطف من العنب زنته ثمانية أرطال بالليثي ووزنت حبة فجاء وزنها أحد عشر درهماً[5]، وقد ترتب على إنتاجها للعنب صناعة الخمور، كما مهر الأهالي فى عمل النبذ من الشعير[6].

مدينة أُسْوَانَ التجارية

اتسمت حركة التجارة الداخلية فى أسوان فى العصور الوسطى بالسعة والفخامة فماج سوقها بالتجار الذين ترددوا عليه من كافة المدن الإسلامية لشراء سلع الشرق الأقصى ووسط أفريقيا. ولم تكن أسوان فقط حلقة الوصل بين شمال الوادي وجنوبه[7] وذلك لموقعها على نهر النيل[8]، بل كانت ملتقى طرق القوافل الآتية من الشرق ووسط إفريقيه[9]، إلى جانب ارتباطها بالكثير من البلاد المجاورة لها كالنوبة والسودان فضلاً عن الأماكن الملاصقة لها مثل صحراء مصر الشرقية التى

---

[1] الحويري: أسوان فى العصور الوسطى، ص٨٨.

[2] ابن اياس: نزهة الأمم ، ص١٩٤.

[3] ناصر خسرو: سفرنامة ، ص١٩٤.

[4] نفس المصدر، ص١٨٨.

[5] ابن دقماق : الانتصار ، ق٢، ص٣٤ ، ابن ظهيرة : الفضائل الباهرة ، ص٦٥ .

[6] محمد أحمد محمد: مظاهر الحضارة في الوجه القبلي ، ص٦٧-٦٩.

[7] الحويري: مرجع سابق ، ص١٢٢.

[8] قاسم عبده قاسم: النيل والمجتمع، ص٨٥-٨٦.

[9] الحويري: مرجع سابق، ص١٢٢.

تمتلك أهم الموانئ التجارية على ساحل البحر الأحمر مثل عيذاب والقصير ، والقلزم[١]. وزاد من حركة رواجها التجاري أنها كانت ملتقى طريق الحج حيث كان الحجيج يقضون حوائجهم من مواد تموينية وغيرها من أسوان أثناء ذهابهم إلى الحجاز لأداء فريضة الحج وعودتهم[٢]. كما لعبت تجارة الكارم دوراً هاماً فى تجارة أسوان[٣].

وعاش بها الكثير من العرب الحجازيين من قحطان ونزار وبني ربيعه, ومضر وخلق كثير من قريش . وقد نالت مدينة أسوان فى الجانب التجاري ما لم تنله فى الجانب الصناعي والزراعي ، فكانت من مراكز التجارة المهمة فى العصور الوسطى، وليس أدل على ذلك أن اسمها من كلمة سيبي يعني السوق[٤]. وساعد على رواج حركة تجارتها أن أسعارها عرفت بالرخص[٥].

وعرفت أسواق أسوان بأنها لم تنقطع بها حركة البيع والشراء طوال أيام السنة، وهي فى هذا تشبه أسواق المدن الكبرى فى مصر مثل الفسطاط ، القاهرة ، الإسكندرية ، وقوص وغيرها. وينطبق عليها اصطلاح السوق الدائم[٦].

وتعددت أسواق أسوان وما حوته من السلع التجارية فمنها أسواق السلع الغذائية والتي حوت الحنطة والحبوب المختلفة، والخضروات ، والفاكهة إلى جانب ذلك اللحوم من البقر، والغنم، والإبل وجلودهم[٧]، والأسماك وغيرها من المنتجات الغذائية التى تنقل إلى القاهرة والفسطاط عبر النيل عن طريق مراكب صغيرة وكبيرة تمر فى النيل تصل إلى قوص من أسوان والتى كانت تبعد عنها بخمس مراحل وتنقل الحنطة إليها ومنها إلى نواحي القاهرة[٨] .

---

[١] النمكي: أسوان وصحراء مصر الشرقية، ص٢١٢.

[٢] ناصر خسرو: سفرنامة ، ص١١٨.

[٣] الحويري: أسوان في العصور الوسطى، ص١٠٦-١٠٧، النمكي: مرجع سابق، ص٢١٦.

[٤] المقريزي: الخطط، ج١ص٥٥٤-٥٥٥، الحويري: مرجع سابق، ص٨١.

[٥] المقريزي: مصدر سابق، ج١ ، ص٥٥٥، أبن ظهيرة: الفضائل الباهرة ، ص ٦٧ .

[٦] الحويري: مرجع سابق ، ص١٢٢.

[٧] ابن اياس : نزهة الأمم ، ص١٩٤.

[٨] النمكي: مرجع سابق ، ص٢١٦ ، محمد أحمد محمد: مظاهر الحضارة فى الوجه القبلي، ص٨٢.

والمواصلات في أسواق أسوان كانت تتم عن طريق الإبل لنقل الغـذاء [1]. وكانـت المدينـة محصنة بالعساكر لحفظ الثغر من أى هجوم عليها وعلى أسواقها وتجارتهـا مـن عساكر النوبـة والسودان[2]. ولم تترك حركة البيع والشراء فى سوق أسوان دون رقيب ، فاختص بالإشراف عليها المحتسب الذى كان يختص بالطواف بالسوق للتفتيش على البضاعة وضبط من يحاول التلاعب فـي الأسعار، أو يغش فى الأقوات والمكاييل[3] .

ومن أسواق أسوان المتخصصة سوق الإبل والذي عرف بسوق درلو ويقع بشمالها حيث كان تجار البجة يذهبون طوال العصر الأيوبي والعصور الوسطى لبيع الإبل فى أسواقها[4]، كما كان بهـا سوق خاص لبيع الرقيق الأسود[5] ، حيث كان موقعها على طول الطرق الصحراوية عند شـواطئ نهر النيل ومخرج النيل حيث البلاد الأفريقية التى يسكنها الزنوج والتـي كانـت مصـدراً للرقيـق الأسود[6] من الزنوج[7].

كما كان بمدينة أسوان سوق خاص للذهب حيث كانت القبائل العربية تفد إلى أسوان للـذهاب إلى الصحراء الشرقية حيث تتواجد مناجم العلاقي [8] والتى تبلغ المسافة بين أسوان وبينها نحو خمسة عشر يوماً. إلى جانب المناطق الموجودة بالبحر الأحمر حيث كان التجار يذهبون من أسوان إلى مناجم

---

[1] النمكي: أسوان وصحراء مصر الشرقية، ص٢١٦.

[2] ابن اياس: نزهة الأمم ، ص١٩٤.

[3] الشيزري : نهاية الرتبة ، ص١١٦ .

[4] النمكي: مرجع سابق، ص٢١٦.

[5] عبد العزيز محمود عبد الدايم: الرق فى مصر فى العصور الوسطى، ص٣٩.

[6] بنيامين التطيلي: الرحلة ، ص١٧٠.

[7] الزنوج: كانوا يسكنون فى مخرج النيل جنوب أسوان ويحكمهم ملك يدعي سلطان الحبش وهم قوم متوحشون يأكلون الحشائش وعاداتهم مستقبحة. يعيشون عراه ويتزوجون من أخواتهم وغير ذلك. فكان أهالي أسوان يذهبون إلى تلك المناطق حاملين معهم الزبيب والتين لجذب هؤلاء وما يلبث أن يحملونهم إلى أسواق أسوان لبيعهم كرقيق (نفس المصدر والصفحة).

[8] العلاقي : وادي بالصحراء الشرقية يمتد من الشرق إلى الغرب وينتهى احد طرفيه قرب البحر الأحمر والأخر قرب النيل (الحويري : أسوان في العصور الوسطى ، ص ١٠٠) .

الذهب حاملين معهم المواد التموينية من أسوان حتى بلغ عدد الرواحل التى تحمل إلى صحراء مصر الشرقية ستين ألفاً من الإبل، الأمر الذى ساعد على انتعاش حركة التجارة بالمدينة[1].

ومن أشهر من عرفوا باستخراجهم للذهب بأسوان رجل يسمى عبد الرحمن العمري والذى اشترى عبيداً للحفر فى المناجم ونزح بهم من أسوان إلى العلاقي بمساعدة شخص يسمى عثمان بن حنجلة والذى خرج له من أسوان فى ألف رحلة. وكان التجار يتجهون إلى أسوان بما يستخرجونه من الذهب لبيعه في أسواقها[2].

كما حوت أسواق أسوان ما يجلب إليها من صحراء مصر الشرقية وودبانها من المنتجات اليدوية . كأدوات العطارة، وسن الفيل ، والصمغ ، وريش النعام . ولم يقتصر ذلك على بيع تلك المنتجات بأسواقها بل كانت أسوان تقوم بنقلها إلى عيذاب والبجه مما كان له بالغ الأثر على ثراء تجارها[3] .

كما كانت أسوان سوقا تجاريا لبلاد النوبة ، حيث كان أهالي النوبة يجلبون ما عندهم من بضائع يبيعونها بمدينة أسوان والتى كانت مركزاً للتبادل التجاري بين التجار والمسافرين ، وعلى الجانب الآخر كان أهالي النوبة يحملون مايحتاجونه من سلع وبضائع من أسوان إلى بلادهم [4].

أما بلاد البجة[5] فكانوا يحصلون من أسوان على ما يحتاجونه من الميرة إلى بلادهم . ولم يقتصر ذلك على أسوان بل تعداه إلى مدن الصعيد. في حين كان التجار بأسوان يشترون الذهب من أبناء البجة

---

[1] الحويري: أسوان في العصور الوسطى ، ص١٠٩، النمكي: أسوان وصحراء مصر الشرقية ، ص٢١٤-٢١٦.

[2] الحويري: مرجع سابق ، ص١١٠.

[3] النمكي : مرجع سابق ، ص٢١٤-٢١٦ .

[4] البغدادي: مراصد الأطلاع، ج٣، ص١٣٩٠، المقريزي : الخطط ، ج١ ، ص٥٥٤ .

[5] كما يذكر أن قبائل البجة تدخل ضمن التركيبة الاجتماعية لأسوان وصحراء الشرقية رغم اختلاط البجة بسكان الصحراء الشرقية ، إلا أنهم احتفظوا بعاداتهم وتقاليدهم وتمتد أوطانهم من صحراء مصر الشرقية فيما بين البحر الأحمر ونهر النيل ومن الحبشة جنوباً إلى أسوان. وكان سكان البجة يهاجرون إلى أسوان والبعض الأخر يهاجر من الشمال إلى أسوان ثم إلى الصحراء الشرقية ، ويذكر أنه كان هناك مهادنه بينهم وبين أسوان (الأصطخري: المسالك والممالك، ص٤٠-٤٢ ، النمكي : مرجع سابق ، ص٢١٦-٢١٧) .

الأمر الذي انعكس على ثراء تجار البجة[1]. أما ما يتعلق بالرسوم الجمركية ؛ على إحدى نهايات طرق القوافل والبضائع الواردة من عيذاب فضلاً عن أنها ـــ ـحر محطة تجارية تقف عندها سلع النوبة والسودان. مما كان له بالغ الأثر على زيادة إيرادها من الرسوم الجمركية والتي بلغت سنة (٥٨٥هـ/١١٨٩) ما يقدر ٢٥,٠٠٠ دينار [2].

مدينة عَيْذَاب

بالفتح ثم السكون وذال معجمه آخره باء موحده. وهى مدينة على ساحل بحر القلزم (البحر الأحمر)[3] وتقع فى أعلى الصحراء المنسوبة إليها والمعروفة بصحراء عيذاب[4]، ويعد ثغر عيذاب من أعظم الموانئ الذي عرف باتساعه وأمنه للركاب[5] فكان أكثر المراسي التي يرغبها رؤساء المراكب في الوصول إلى عدن ومنها إلى جدة كما يحط بها مراكب الهند واليمن ومراكب الحجاج الصادرة والواردة [6].

وهى مدينة غير مسوره إلى جانب بنائها من الأخصاص ولكنه سرعان ما أصبح من الجص[7].وذكر أنها أشبه بالضيعة من المدينة[8]، وهى فى صحراء رملية ليس لها طريق معروف إلا

---

[1] النمكي: أسوان وصحراء مصر الشرقية ، ص٢١٤.

[2] الحويري : أسوان في العصور الوسطى ، ص٩٦ .

[3] البغدادي: مراصد الأطلاع ، ج٢، ص٩٧٤.

[4] ابن جبير : الرحلة ، ص٤٥ ، الإدريسي: نزهة المشتاق، ص١٣٢.

[5] القلقشندي : صبح الاعشى ، ج٣ ، ص٤٦٤-٤٦٦ .

[6] المقريزي : الخطط ، ج١ ، ص٥٦٧ ، القلقشندي : مصدر سابق ، ج٣ ، ص٤٦٥ .

[7] ابن جبير: مصدر سابق، ص٤٥.

[8] ابن دقماق: الانتصار، ق٢، ص٣٥.

رمال وسيول ولا يستدل عليها إلا بالجبال الناتئة والنجوم، وربما أخطأها الدليل الماهر[1]. ونظـراً لوقوعها في الصحراء فكان كل ما يؤكل أو يشرب مجلوب إليها[2] .

ويذكر أنها ليست بأرض البجة بل هي من مدن الحبشة[3] والبعض يذكر أنها من بلاد البجاه، والبعض الآخر يذكر أنها من أعمال مصر. وتعد عيذاب من أعمال القوصية بمصر[4]. حيـث كـان لوالي قوص نائبان نائب على عيذاب، ونائب على أسوان. كما يوجد عليها أي عيذاب عاملان عامل من قبل ملك مصر، وعامل آخر من قبل البجة، يقتسمان جباياتها نصفين . و عامل مصر عليه القيام بإدارتها، وعامل البجة عليه حمايتها من الحبشة[5]، أما قاضي عيذاب فحرص سلاطين الأيوبيين على أن يكون ملماً بالفقه وعلوم الشريعة ويقوم بواجباته على خير وجه والتي تمثلت في مراعـاة شـئون التجار ومصالحهم وتقديم وسائل الراحة لهؤلاء المسافرين[6].

وكان لانتعاش التجارة بمدينة عيذاب والتي ظهرت بطابع تجاري غلب عليها وحظيت بشهرة تجارية واسعة أثر على رفاهية أهلها والذين كانو يحصلون على ضريبة على كل ما يحمل بها ، كما كان منهم من يملك الجلبة (السفينة) أو الجلبتان[7]. وكان من أشهر سكانها جماعة بني يوسف والتي كانت تأخذ مـن التجـار العشـور[8]. ويعتمـد أهالـي عيـذاب علـى مـا يحتاجون إليه من أرض

---

[1] الادريسي : نزهة المشتاق ، ص١٣٢ ، عمر بن الوردي : خريدة العجائب ، ص٧١ .

[2] ابن اياس : نزهة الامم ، ص١٩٦ .

[3] الأصطخري: المسالك والممالك، ص٤٢.

[4] واجمع المؤرخين المسلمين على انها تقع تجاه جدة على الساحل الشرقي للبحر الاحمر إلى ان الباحثين المحدثين يروا أن عيذاب تقع جنوب خط عرض ١٢ درجة شمالا . ويرى آخرين أن موقعها الحالي ميناء سواكن الكائن الذي يقع شمال مرسى حلايب حيث عثر في ذلك المكان على بقايا بيوت قديمة وسط التلال (ابن دقماق : الأنتصار،ج١، ق٢، ص٣٥، الحويري : أسوان في العصور الوسطى ، ص١٠٢-١٠٣).

[5] المقريزي: الخطط، ج١، ص٥٦٨، عمر بن الوردي : مصدر سابق ، ص٧١.

[6] ياسر حلمي: طبقة التجار، ص١١.

[7] ابن جبير : الرحلة ، ص٤٥ ، المقريزي : مصدر سابق ، ج١ ، ص٥٦٧ .

[8] ياسر حلمي : مرجع سابق ، ص١٠-١١ .

البجة[1] . حيث يتجولون بها لشراء السمن والعسل واللبن . كما يعتمدون في مأكولاتهم على صيد السمك[2]ويتم التعامل بعيذاب بالدراهم عدداً ولا يعرف أهلها الوزن . حيث يذكر أن فيها من البيع والشراء فوائد لا تحصى للتجار وغير ذلك [3] .

وقد بلغ عدد سكان عيذاب خمسمائة ، وبها مسجد[4]. ويوجد بينها وبين النوبة قوم يقال لهم البليون[5] وبها يأتي كل من حولها من الأمم[6].

المعادن في عَيْذَاب

عرفت مدينة عيذاب بأنها ثغر تجاري ، وكانت تعتمد في مأكلها على ما يأتيها من الخارج ولكن ذلك لم يمنع من إنتاجها للمعادن غالية الثمن. وكان من بين ما تنتجه مدينة عيذاب اللؤلؤ والذى كان يستخرج من مغاص قريبة من القاع فى جزائر البحر الأحمر بالقرب من عيذاب[7]. ويتم استخراجه فى أشهر يونيه ويوليو. حيث يذهب الغواصون إلى تلك الجزائر فى الزوارق يغوصون فيها أياماً ويعودون بما قسم الله لكل واحد من الرزق ويستخرجون من تلك المغاص التى ببحر عيذاب أصداف لها أزواج كأنها نوع من الحيتان فإذا شقت ظهرت الشقتان من داخلها كأنهما محارتان فضيتان ثم يشقون عليها فيجدون فيها الجوهر قد غطى عليه لحم الصدف فيجتمع لهم من ذلك بحسب

---

[1] أهالي البجة يتركزون على يمين عيذاب ناحية القبلة . حيث يقع جبل خلفه صحراء شاسعة بها قوم البجة . حيث يوجد مدينتين الأولى بحر النعام والثانية عيذاب . وتمتد تلك الصحراء إلى الحبشة طولا وعرضاً من بلاد النوبة حتى بحر القلزم . والبجة هم قوم ليسوا باشرار ولا يسرقون ويشتغلون بالرعي . على عكس من المصريين الذين يسرقون أولادهم ويبيعونهم في أسواق النخاسة (ناصر خسرو : سفرنامة ، ص١١٨) .

[2] الأدريسى : نزهة المشتاق،ص١٣٥،١٢٣

[3] ابن اياس: نزهة الامم، ص١٩٦.

[4] ناصرخسرو: مصدر سابق، ص١١٨.

[5] البليون : هم أهل عزم وشجاعة وهم نصارى على مذهب اليعقوبية (ابن الوردي : خريدة العجائب ، ص٧١) .

[6] نفس المصدرو الصفحة .

[7] ابن جبير: الرحلة، ص٤٤، المقريزي: الخطط ، ج١، ص٥٦٨، ابن اياس: مصدر سابق، ص١٩٦.

الأرزاق[١]. وكان يتم نقل اللؤلؤ من عيذاب إلى أسوان وقوص، كما كانوا يستخرجون من عيذاب البللور والذى كان يتم بيعه فى أسواق أسوان[٢].

عرفت مدينة عيذاب إلى جانب إنتاجها للؤلؤ والبللور بإنتاج الذهب والذى كان يتم استخراجه بمدينة عيذاب حيث يحفر فيه فى المغرة والكلس ويتم نقل الذهب إلى أسوان حيث يباع فيها[٣].

ثغر عيذاب التجاري

نشطت حركة التجارة بميناء عيذاب ، وساعد على ذلك النشاط كثرة الرحلات التجارية الآتيه إليها أو منها ، وليس أدل على النشاط والرواج التجاري من المكوس التى كانت تجبى منها ، حيث عينت الدولة من قبلها عمال لأخذ المكوس من مدينة عيذاب . والتي بلغت على الحاج ثمانية دنانير من الذهب ولا يعبر أحد من حاج المغرب بميناء عيذاب إلى جدة إلا بعد أن يدفع أو يظهر مكسه وفى مقابل ذلك يعطيه صاحب السفينة أو الرباني براءة بذلك. وكان يتم إثبات كل ما يحمله التجار أو الحجاج أو المسافرين في ميناء عيذاب أو ميناء جدة في دوأوين خاصة وإذا عثر على رجل أو تاجر لا مكس معه لزم حقه من الرباني الذى ربما يسجنه حتي يفوته موعد الحاج ، وكانت تلك المكوس تجمع سواء فى عيذاب أو فى جده لحساب صاحب مكه حتى ينفقها فى أرزاق أجناده ، ولكن سرعان ما أسقط صلاح الدين تلك المكوس حتى يسهل على الحجاج حجهم وعوض صاحب مكسه عن تلك المكوس[٤].

ولقى الحاج عقب وصولهم عيذاب ونزولهم في السفن إلى مكة أهوال كبيرة وربما هلكوا واستولى التجار منهم على ما يملكون وخاصة أن أصحاب السفن وأهالي عيذاب كانوا يشحنون سفنهم بالتجار والحجاج لدرجة أن يجلس بعضهم على بعض كأنهم أقفاص الدجاج المملوءه حتى يستوفى

---

[١] ابن جبير: الرحلة ، ص٤٦.

[٢] النمكي: أسوان وصحراء مصر الشرقية، ص٢١٥-٢١٦.

[٣] الإدريسي: نزهة المشتاق، ص١٣٢، الأصطخري: المسالك والممالك، ص٤٢.

[٤] الإدريسي: مصدر سابق، ص١٣٥.

صاحب الجلبه منهم ثمنها فى طريق واحد حتى يقال أنهم كانوا يقولون علينا بالألواح وعلى الحجاج بالأرواح وهو مثلٌ متعارف عليه بينهم[1].

ويرجع حركة الرواج والانتعاش التجارى فى ميناء عيذاب إلى اهتمام الدولة بهذا الميناء بعد سيطرة الصليبيين على ميناء أيله عام (٥١٠هـ/١١١٦م) [2].

إلى جانب أن الضرائب التى كانت تجبى من ميناء عيذاب لم تكن تأخذ فقط على الحجاج قبل إلغائها بل كانت تؤخذ أيضاً على التجار والمتمثلة في الزكاة ، وواجب أهل الذمة[3] . سواء كانت من التجار الآتيين أو الذاهبين من الحبشة أو زنجبار أو اليمن والشرق الأقصى كل ذلك كان له أثر على حالة المدينة الإقتصادية ورخاءها والتى كانت تنقل منها البضائع عن طريق الإبل إلى أسوان ومنها عبر السفن النيلية إلى مصر[4] .

بل قامت الدولة لتأمين الطرق المؤدية إليه بتعيين أسطول خاص بالميناء للحفاظ على تجارة الكارمية من التعرض للقراصنة الذين كانوا يعترضونها[5]. تلك التجارة التي نالت من التشجيع في عصر سلاطين الأيوبيين أقصاه حرصا منهم على ازدياد حركة التجارة بين مصر وأوربا عن طريق تنشيط التجارة بين عيذاب والتجارة الشرقية ، وليس أدل من حرص الدولة على توفير الأمن والحماية بعيذاب ما وصفه ابن جبير من أحمال الفلفل والقرفة وغيرها من التوابل الملقاة فى الصحراء بقارعة الطريق لا حارس لها. حيث تبقي بوضعها إلى أن ينقلها مصونة، من الأمان، مع كثرة المارة عليها.

---

[1] ابن جبير : الرحلة ، ص٤٧-٤٨.

[2] كان الحجاج والتجار يتخذون طريقين في العصور الوسطى أحدهما عن طريق سيناء حتى العقبة وأيلة ومنها إلى البلاد الحجازية . وتوقف ذلك الطريق لإستيلاء الصليبين على بلاد الشام حتى أعاده فيما بعد صلاح الدين وتحول الضغط إلى ميناء عيذاب الذي ظل نحو مائتي سنة لا يتوجهون إلى مكة إلا من صحراء عيذاب حيث يركبون النيل من ساحل مصر الفسطاط ومنها إلى قوص عن طريق الابل إلى عيذاب (نفس المصدر ، ص٤٤-٤٥) .

[3] ابن مماتي : قوانين الدواوين ، ص٣٢٧ .

[4] ناصر خسرو : سفرنامة ، ص١١٨ ، الحويري : أسوان في العصور الوسطى ، ص١٠٣ ، ١٠٥.

[5] أيمن فؤاد السيد: الدولة الفاطمية، الدار المصرية اللبنانية، بيروت، ١٩٩٢، ٢١٢.

كما عدد ابن جبير القوافل الواردة والصادرة، ولم يقدر على إحصائها ولا سيما القوافل العيذابية المحملة بسلع الهند الواصلة من اليمن إلى عيذاب[1].

وعلى الرغم من توفير الدولة للأمن والحماية بميناء عيذاب إلا أن ذلك لم يمنع من تعرضها سنة (٥٧٨هـ/١١٧٠م) لهجمات الفرنجة من قبل أرناط صاحب حصن الكرك الصليبي، والذى قام بإنزال أسطوله فى البحر الأحمر قرب أيله وشرع فى مهاجمة الموانى المصرية مثل عيذاب وكان فى طريقه لغزو الحجاز. لذلك أصدر صلاح الدين أوامره إلى أخيه العادل بمصر فأعد أسطولاً قوياً فى البحر الأحمر تحت قيادة حسام الدين لؤلؤ متولى الأسطول بديار مصر والذي ظفر بمراكب الفرنج فحرقها وأسر من فيها[2].

مما ساعد على انتعاش التجارة بعيذاب تشجيع الأسرة الزيديه [3] التجار الهنود والصينيين على القدوم إلى عدن حيث تنقل بضائعهم إلى جدة ومنها إلى الساحل الغربي حيث عيذاب، الأمر الذى ساعد على انتعاش تلك التجارة بعيذاب[4].

وزخرت مدينة عيذاب بكافة السلع المجلوبة لها من سفن اليمن ، الهند ، الحبشة وخاصة التجارة الكارمية كأحمال القرفة، الفلفل[5]، الزيت الآتية من اليمن[6] وغيرها من البضائع والسلع الآتية من الهند[7]. وكانت تلك البضائع تسلك طريقها من عيذاب حتى تصل إلى مصر الفسطاط .كما

---

[1] ابن جبير: الرحلة، ص٤٤.

[2] المقريزي: الخطط، ج١، ص٥٦٧، عاشور، الرافعي، مصر فى العصور الوسطى، ٤١٧.

[3] قامت في اليمن ، وكانت الرغبة الدولة العباسية في القضاء على المذهب الشيعي دورا في تأسيسها فعهدت لمحمد ابن زياد بحكم أجزاء كبيرة من اليمن فأسس زبيد سنة(٢٠٤ هـ / ٨١٩ م)ومنها حكم تهامة وظلت قائمة بقوتها حتى سنة (٣٧١ هـ /٩٨١ م)وسقطت سنة (٤٠٩هـ / ١١٨٥ م)وكان للحركات الشيعية الدور الكبير فى سقوطها . محمد عبد العال أحمد : الأيوبيون في اليمن ، الهيئة المصرية العامة ، الإسكندرية،١٩٨٠م، ص٤٠،محمد عيسى الحريري:الاتجاهات المذهبية في اليمن حتى نهاية القرن الثالث الهجري،عالم الكتب،القاهرة ، ١٩٩٦ م ، ص ٧٧ .

[4] عطيه القوصى : تاريخ الكنوز ، ص٧٢.

[5] ابن جبير: مصدر سابق، ص٤٤.

[6] ناصر خسرو: سفرنامة، ص١١٨.

[7] ابن جبير: مصدر سابق، ص٤٤.

عرفت مدينة عيذاب بتجارتها فى العبيد والذين كانوا يجلبون من بلاد الزنج[1]. كما كان يجلب لها الرقيق من بلدة تسمى زويلة بالسودان[2] .

الأَقْصُر

هى جمع كلمة قصر. اسم مدينة على شاطئ شرقي النيل بالصعيد الأعلى فوق قوص، وهى مدينة أزلية قديمة ذات قصور، ولذلك سميت الأقصر ويضاف إليها كورة[3] فقط. وتخضع إدارياً لإقليم قوص. ويذكر ابن مماتي (ت ٦٠٦هـ/١٢٠٩م) وأبو الحجاج الأقصري (ت ٦٤٢هـ/١٢٤٤م): أنه أطلق على الأقصر اسم الأقصرين حيث يذكر أبو الحجاج الأقصري فى رحلته: وسافرت إلى بلده الأقصرين. ثم شاعت هذه التسمية فى العصر الأيوبى ، واصطبغت الأقصر فى العصر الأيوبى بالصيغة الإسلامية حيث تحولت فيها الكنائس إلى مساجد[4].

وعرفت مدينة الأقصر بآثارها التاريخية ، فكان يتواجد بها القصور والأصنام وصور السباع والدواب والذى لا يوجد في غيرها من بلاد الصعيد[5].ولذلك كانت بلد تجذب إليها الرحالة. حتى يذكر أن ياقوت فى ذكره لتلك المدينة يرجعها للدلالة التاريخية والإدارية والتى أكسبت الأقصر صفة

---

[1] ابن اياس : بدائع الزهور ، ج١ ، ق١ ، ص٤٥ .

[2] زويلة : تقع في الغرب بين السودان وافريقيا ، وكانت ذات شهرة كبيرة فى الأزمنة الغابرة ، بتصدير الذهب،وتتصل بها الصحراء والتى تثير كثبان الرمل التى إذا عصف بها الرياح أثارتها وغطت القوافل السيارة فتهلكها. حيث كانت تلك القوافل تحمل السلع التجارية المتنوعة منها الحديد، النحاس، الفاكهة، البقول، الملح من مصر، وتعود إليها بالذهب، والجواهر الكريمة، حيث تقع تلك الصحراء على مسيرة ثلاث أيام من حلوان (بنيامين التطيلي: الرحلة، ص١٧٠-١٧١) .

[3] ياقوت الحموي: معجم البلدان، ج٣، ص٢٣٧، البغدادي: مراصد الأطلاع، ج١، ص١٠٠٥.

[4] ابن مماتي : قوانين الدواوين ، ص١٠٨ ، ابن دقماق: الأنتصار ، ق٢، ص٣١.

[5] الهروي: الإشارات إلى معرفة الزيارات، تحقيق على عمر ، مكتبة الثقافة الدينية ، القاهرة ، ٢٠٠٢م ، ص٤٤.

حضرية والتي لم تتواجد إلا في الكور الكبيرة على الرغم من أن الأقصر لم تكن إلا من الكور الصغيرة[1]. وكان يقطنها شعب يقال له المريسي[2] .

الصناعة بالأقْصُر

صناعة الفخار

عرفت الأقصر بإنتاج الفخار الأبيض[3] ، حيث اعتمدت في تلك الصناعة على عناصر البيئة الطبيعية وهي الطين[4] ، ووصلت الأقصر بصناعتها للفخار الأبيض النقي إلى أقصى درجاته من الدقة والإتقان[5] إلى درجة اقترن اسم هذه الصناعة باسم مدينة الأقصر فسميّ الفخار بها بالفخار الأقصري وكان يتم نقل فخار الأقصر إلى سائر مدن مصر عبر المراكب الشراعية والدواب[6] .

الأقصر وصناعة الحصير والنسيج

كما اشتهرت الأقصر بصناعة الحصير، والسلال، والأطباق من سعف النخيل ونخيل الدوم، وقد عرف الصعيد الأعلى بصفة عامة والأقصر بصفة خاصة بصناعة الحصير البرش[7] والذي مهر الصناع في صنعه . كما برع الصناع أيضاً إلى جانب صناعة الحصير في صناعة النسيج[8].

---

[1] ياقوت الحموي : معجم البلدان ،ج٣، ص٢٣٧،عبد العال عبد المنعم: مدن مصر وقراها عند ياقوت، ص٤٨.

[2] المريسي : هو جيش سوداني والمريس الآن تعرف ببلاد النوبة ، جاءو إلى الاقصر وأقامو فيها (المقريزي : الخطط ، ج١ ، ص٥٦٩ ، الحجاجي : الاقصر في العصر الإسلامي، الهيئة المصرية العامة ، القاهرة ، ١٩٧٨م ص٣٨) .

[3] ابن دقماق : الانتصار ، ق ٢ ، ص ٣١ .

[4] محمد أحمد محمد : مظاهر الحضارة في الوجه القبلي ،ص ٦٧ ، الحجاجي : مرجع سابق ، ص ٣٨ .

[5] ابن دقماق : مصدر سابق ، ق ٢ ، ص ٣١ .

[6] عبد المجيد بدوي : مصر الإسلامية في كتابات الرحالة ، ص ١١١ .

[7] محمد أحمد محمد: مرجع سابق ، ص٦٧.

[8] الحجاجي: مرجع سابق ، ص٣٨.

الأقْصُر مدينة تجارية

كان لموقع الأقصر وتبعيتها إدارياً لإقليم قوص دور فى حركة تجارتها حيث اشتغل معظم أهالي إقليم قوص بالتجارة، وذلك بصفة خاصة زمن الأيوبيين حيث انقسمت التجارة فى مدينة الأقصر إلى قسمينْ تجارة داخلية وتجارة خارجية[1].

أما التجارة الداخلية لمدينة الأقصر فقد تركزت فى يد أغلب أهلها حيث زخرت أسواقها بما تصنعه من منتجاتها وصناعاتها التى بدت متداولة فى أسواقها كالصناعات الفخارية، إلى جانب ذلك حوت متاجرها وحوانيتها بما كان يجلب من الخارج كالمنسوجات والأقمشة الصوفية والقطنية والحريرية والطيب والعطور. وعرفت الأقصر بسوقها الأسبوعي والذى كان يقام يوم الثلاثاء، حيث يتبادل الناس فيه البيع والشراء[2] بصفة خاصة الأغنام والحمير المريسية [3]والحبوب والفواكه كالرطب[4] والعنب والذى كانت تشتهر به هذه المدينة ، بالإضافة إلى أن أهل الأقصر كانوا يتجولون فى مختلف المدن والقرى يحملون على ظهور دوابهم بعض المنتجات الزراعية والحيوانية كالزيوت والألبان ومنتجاتها من زبدة، وجبن لبيعها، وقد أصاب أهل المدينة من وراء التجارة يسراً ورخاء[5].

أما تجارتها الخارجية فانتعشت هى الأخرى ، وكان معظم انتاجها يصدر إلى الخارج : مثل المنسوجات ، العطور ، الأصباغ . ويرجع ذلك الإنتعاش التجارى إلى وجود بعض الفقهاء والشيوخ الصوفية بمدينة الأقصر والذين كان لهم دوراً كبيراً فى اجتذاب العديد من الأسر المصرية والعربية[6]. ومنهم العارف بالله أبى الحجاج[7] وكان له دور فى استقدام الأسرة مثل

---

[1] الحجاجي :الأقصر في العصر الاسلامي، ص٣٨ .

[2] نفس المرجع و الصفحة .

[3] المقريزي : الخطط ، ج١ ، ص٦٩ .

[4] الادفوى : الطالع السعيد ، ص١٨ .

[5] الحجاجي: مرجع سابق ، ص٣٨.

[6] نفس المرجع، ص٣٢.

[7] العارف بالله أبى الحجاجى هو فى الأصل عراقي وعرف بالأقصري(نفس المرجع ، والصفحة).

العبابده[1] الذين يعملون فى النباتات الطبية، ورعى الماشية ويصدرونها إلى البلاد المختلفة ، إلى جانب ذلك المريسي والذين عملوا بتربية الدواب والحمير[2] وأولاد الصابوني[3] الذين طافوا العديد من البلاد كالحجاز واليمن وعدن والهند ويتاجرون في المنسوجات والعطور والأصباغ ويصدرونها . وقد اكتسبوا شهرة ومالاً عريضاً من خلال تجارتهم حتى أنهم كانوا يمثلون رأس المال فى هذه المدينة، وعلى الرغم منْ ثرائهم إلا أنهم عرفوا بقدر كبير من التقوى والصلاح والجود والعلم[4].

مدينة قِفْط

هى مدينة بصعيد مصر الأعلى[5]، وهى من أعمال القوصية[6]، وتبعد عن قوص بأربعة أميال، ولها سور[7].وعرفت بحسنها ونظافة بنيانها وإتقان وضعها [8]. ويذكر أنها قد خربت سنة (٤٠٠هـ/١٠٠٩م). ولكن ابن جبير ذكرها في رحلته في العصر الأيوبي[9] .

صناعة المنسوجات

كان لتوفير خامات النسيج ومستلزماته من أهم أسباب تقدم صناعة المنسوجات، حيث كثر بها زراعة الكتان ولذلك اشتهرت بإنتاج المنسوجات الكتانية[10].

---

[1] العبابدة: هم من عرب الحجاز (الحجاجى :الأقصر فى العصر الإسلامى ، ص٣٢).

[2] المقريزي : الخطط ، ج١ ، ص٥٦٩ .

[3] أولاد الصابوني: هم من خارج مصر من قرطبة ببلاد الأندلس، وكانت لهم مقدرة فائقة على ركوب البحار، والقدرة على اختراق المفاوز (الحجاجي : مرجع سابق، ص٣٦-٣٧).

[4] نفس المرجع و الصفحة .

[5] القزويني: آثار البلاد وأخبار العباد، ص٢٤٠.

[6] ابن دقماق: الأنتصار، ق٢، ص٣٢-٣٣.

[7] مجهول: الأستبصار، ص٨٧.

[8] ابن جبير: الرحلة، ص٤٠.

[9] نفس المصدر و الصفحة ، ابن اياس: بدائع الزهور، ج١، ص٢٣.

[10] سلام شافعي: أهل الذمة فى مصر، ص٢٤٧.

صناعة السكر

من المدن التى عرفت بإنتاج السكر[1]، حيث حوت أربعين مسبكاً للسكر وست معاصر للقصب ، والتى تواجدت بالقرب من أماكن زراعة قصب السكر. فوفرت الدولة المسابك والمعاصر[2]. وعلى الرغم من الخراب الذى لحق بها إلا أنها ظلت تنتج السكر[3].

صناعة الزيوت والصابون

عرفت مدينة قفط بإنتاج الزيوت ويرجع ذلك إلى كثرة زراعة البذور الزيتية سواء كانت من الكتان والخردل، والسمسم أو الخس حيث يقومون بطحنها واستخراج دهونها، ويستخرجون منها الزيوت. وتستخدم تلك الزيوت إلى جانب استعمالها فى الطعام تستعمل أيضاً فى صناعة الصابون، إلى جانب الإضاءة[4]. وعرفت مدينة قفط بنقلها لصابونها الذى عرف بنظافته إلى كافة مدن مصر[5].

صناعة المعادن

عرفت مدينة قفط بإنتاج معدن الزمرد وينقل إليها من مكان يقال له الخربة [6] والذى يوجد علىٰ مسيرة ثمانية أيام منها وهذا المعدن كما سبق ذكره يوجد فى مغاير طويلة فى جبل يسمى قرشنده ، وهو على ثلاث أنواع منه الطلق الكافور، وطلق فضي، وثالث ناري. ويضرب فى هذه الحجارة حتى يخرج منها الزمرد وكان أجودها نوع يسمى الزبائي، وهو لا يخرج إلا فى النادر. وإذا استخرج المعدن ألقي فى الزيت الحار ثم يوضع فى قطن ويلف فى خرق خام.وكانوا يفتشون الفعله عند خروجهم من المغارة خوفاً على المعدن ، ولم يزل هذا الموضع على ذلك حتى بطل وقل استخراجه

---

[1] البغدادي: مراصد الأطلاع، ج١، ص١٩ ، ابن دقماق: الإنتصار ، ق٢، ص٣٢-٤٣.

[2] محمد أحمد: مظاهر الحضارة، ص٥٣-٥٤، العبادي: الحياة الاقتصادية، ص٣٤٦.

[3] خالد مشهود : الصناعة في عصر سلاطين المماليك ، ص١٠٧ .

[4] الإدريسي: نزهة المشتاق، ص٢٢٨، العريني: مصر فى عصر الأيوبيين، ص٢٠٠.

[5] الإدريسي: مصدر سابق، ص٢٢٨، محمد أحمد محمد: مرجع سابق ، ص٦٩.

[6] الخربة :هي منطقة جبلية قاحلة ، تقع في الصحراء الشرقية في الصعيد الأعلى حيث يتركز معدن الزمرد والتى تقوم بحمايته قبائل البجة.(المقريزي:الخطط ، ج ١ص٦٤٨،الحويري : أسوان في العصور الوسطى ، ص ١١١).

حتى سنة (٧٦٧هـ/١٣٦٥م) [١]. وكان يتم نقل هذا المعدن إلى الفسطاط[٢]. كما كان يستخدم في صناعة الحلي[٣].

مدينة قفْط التجارية

ويذكر ابن جبير عن المدينة أن بها أسواق وأهلها أصحاب ثروة إلى جانب ذكره أنها مدينة حسنة[٤] وكان يباع بأسواقها الزيوت، الصابون، السكر، التمر[٥] والأسماك، وتقوم بنقل كل من الصابون والزمرد إلى باقي مدن مصر[٦] .

مدينة أُدفُوْ

بضم الهمزة وسكون الدال ، وضم الفاء وسكون الواو. مدينة بصعيد مصر تقع على الضفة النيل الغربية، وهي من أعمال القوصية[٧].

صناعة الفخار

عرفت مدينة ادفو أيضاً بإنتاجها من الفخار . حيث كان أهلها مشهورين بعمله وخاصة الجرار والتي كانوا يصنعونها من الطين الطفلي والذى يجلبونه من الجبال المجاورة لهم [٨] .

---

[١] ابن اياس: بدائع الزهور، ج١، ق١، ص٢٣، نزهة الأمم، ص٢٢٣.

[٢] جمال سرور: تاريخ الحضارة فى الشرق، ص١٣٩.

[٣] الشيال : مصر الاسلامية ، ص٧٦ .

[٤] ابن جبير: الرحلة، ص٤٠.

[٥] الإدريسي: نزهة المشتاق، ص٢٢٨ ، البغدادي: مراصد الاطلاع، ج١، ص١٩ ، القزويني: اثار البلاد واخبار العباد، ص٢٤٠.

[٦] ابن اياس: نزهة الأمم، ص٢٢٣ ، أحمد موسى: تاريخ محافظة قنا ، ص٢٠١.

[٧] البغدادي: مصدر سابق ، ج١، ص ، ٤٥ ، ابن دقماق : الانتصار ، ق٢ ، ص٢٩-٣٠ .

[٨] عبد المنعم المليجى : مجمع البدائع فى الفنون والصنائع ، ج٢ ، ص ٦٤ .

أدفوْ إنتاجها من النفط

عرفت مدينة أدفو بإنتاجها من النفط[1] والذى كان يتم استخراجه من ساحل البحر الأحمر فى الجهة الشرقية المقابلة لأدفو ، وكان يحمل من أدفو إلى مصر حيث خزائن السلاح السلطانية[2].

أدفوْ وإنتاجها من التمر

اشتهرت مدينة أدفو بإنتاجها من التمر[3] ، ويذكر أن بها تمر لا يقدر أحد على أكله حتى يدق فى الهاون مثل السكر ويزر على العصائد[4].

مدينة أدفوْ التجارية

نظراً لوقوع أدفو على ضفة النيل الغربية، والذى ساعدها على رواج حركتها التجارية ليس ذلك فقط بل مع مدن الصعيد الواقعة على نهر النيل، وعرفت أدفو بمنتجاتها المحلية من الأوانى الفخارية[5]، والتمر[6] ولحومها والتى عرفت بطيبها[7] إلى جانب نقلها للنفط إلى مصر الفسطاط[8].

---

[1] الادفوي : الطالع السعيد ، ص١٠-١٢ .

[2] محمد أحمد محمد : مظاهر الحضارة في الوجه القبلي ،ص٦٤.

[3] ابن ظهيرة: الفضائل الباهرة ، ص١٣٥.

[4] البغدادي: مراصد الاطلاع ، ج١، ص٤٥.

[5] محمد أحمد محمد: مرجع سابق ، ص٦٧.

[6] ابن ظهيرة: مصدر سابق، ص١٣٥.

[7] الأدفوي: مصدر سابق، ص١١-١٩.

[8] محمد أحمد محمد: مرجع سابق، ص٦٤.

مدينة إسنَا

بالكسر ثم السكون وألف مقصورة. هى مدينة بأقصى الصعيد وهى من المدن القديمة, تقع على ضفة النيل الغربية[١]، ومن أعمال القوصية، وتقع جنوبها أدفو وأسوان، كما تقع بين أسوان وقوص، وهى أقرب إلى قوص من أسوان[٢]. وهى من المدن العامرة تشمل ما يقرب ثلاثة آلاف منزل[٣]، ومن مرافقها الأسواق والحمامات كما يذكر أنّ بها حمامين[٤].

مدينة إسنَا وإنتاجها من التمر والفاكهة

عرفت مدينة إسنا بنخيلها وبساتينهاواشتهرت بإنتاج التمر, وليس أدل على ذلك من أنه وصل إنتاجها فى سنة واحدة ما يقارب ثلاثين ألف أردب من التمر. ويذكر أنه بلغ إنتاجها منه فى سنة واحدة ما يقارب لربعين ألف أردبا وأثنى عشر ألف أردب زبيب [٥] واشتهرت أيضاً بإنتاج العنب والذى كان يحمل زبيباً إلى جميع مدن مصر[٦].

مدينة إسنَا التجارية

توجد بمدينة إسنا كافة المرافق التجارية من الأسواق والفنادق ، وقد اكتظت أسواقها بما تنتجه من التمر والزبيب[٧]والعنب وكانت تقوم بنقل منتجاتها إلى مدن مصر بالوجه القبلى[٨] .

---

[١] البغدادي: مراصد الاطلاع، ج١، ص٥٦، ياقوت الحموي: معجم البلدان، ق١، ص١٨٩.

[٢] ابن مماتي : قوانين الدواوين ، ص ١٠٨ ، ابن دقماق: الأنتصار، ق٢، ص٣٠.

[٣] الأدفوي: الطالع السعيد ، ص١٠-١١، المقريزي: الخطط، ج١، ص٦٥٨.

[٤] الأدفوي: مصدر سابق، ص١٠-١١.

[٥] البغدادي:مصدر سابق ، ج١، ص٧٦، الأدفوي: مصدر سابق، ص١٠-١١، ابن ظهيرة: الفضائل الباهرة ، ص٦٥.

[٦] الإدريسي: نزهة المشتاق، ص١٢٩.

[٧] ابن دقماق : مصدر سابق ، ق٢ ، ص٣٠ ،الادفوي : مصدر سابق ، ص١٠-١١ .

[٨] الإدريسي:مصدر سابق ، ص١٢٩.

مدينة قِنَا

بالكسر والقصر[١]، وهى مدينة بصعيد مصر الأعلى واقعة على الشاطئ الشـرقي للنيـل[٢]، وهى من أعمال القوصية[٣]، تبعد عن كل من قوص وقفط بيوم واحد[٤]، وقد تكتب بألف فى أولهـا ، وأهلها ينطقونها بدون ألف[٥]. هى بلدة كبيرة من مدن الصعيد عرفت بأنها بيضاء أنيقة المنظـر ذات مبان حفيلة[٦] ، هواؤها غير وبائي وقد خرج من أهلها علماء ورؤساء ولايوجد بها من اليهود إلا نحو العشرة [٧].

صناعةُ الفخار بقِنَا

عرفت مدينة قنا بصناعة الفخار وساعدها على ذلك كغيرها من مدن الوجه القبلي توافر المواد الخام اللازمة لتلك الصناعة فأنتجت الفخار[٨] بمصنوعاته المختلفة إلى جانب ذلك أنتجت من البـرام: الأزيار، القدور، الأباريق، أوعية الخل، العسل، النبيذ، السمن وغير ذلك من الأواني التى كانت تحمل إلى جميع مدن مصر[٩] .

صناعة الحصير والسلال

من الصناعات الشعبية التى عرفت بها قنا صناعة الحصر ، السلال ، الأطباق من سعف نخيل والدوم ، وصناعة الحصير البرش والذى عرف بجودته ومتانته[١٠].

---

[١] البغدادي: مراصد الأطلاع، ج٣، ص١٠٩٠.

[٢] ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة ، ج٦ ، ص٢١٥.

[٣] البغدادي: مصدر سابق، ج٣، ص١٠٩٠.

[٤] نفس المصدر، ج١، ص١٠٦.

[٥] نفس المصدر، ج٣، ص١٠٩٠.

[٦] ابن جبير : الرحلة ، ص٤٠ .

[٧] الادفوي : الطالع السعيد ، ص١٩ .

[٨] نفس المصدروالصفحة .

[٩] محمد أحمد محمد : مظاهر الحضارة في الوجه القبلي ، ص٦٦-٦٧.

[١٠] نفس المرجع والصفحة .

صناعة السكر

عرفت مدينة قنا بإنتاج السكر. حيث حرصت الحكومة الأيوبية على توافر المسابك والدواليب والأحجار لعصر قصب السكر وإنتاجه[١]. إلى جانب تلك الصناعات السابقة عرفت مدينة قنا منذ العصر الأيوبي بكثرة الأنوال اليدوية لغزل ونسج الصوف والقطن[٢].

مدينة قنا التجارية

عرفت مدينة قنا بأسواقها الحسنة[٣]، وساعد موقعها على شاطئ النيل، على رواج حركة التجارة بها ، فعن طريق النيل [٤] كانت تحمل منتجاتها إلى العاصمة مثل الفخار[٥]، والحصير، والسلال، والأطباق وغيرها[٦] والمعادن، والزمرد، والنطرون، الرخام[٧].

مدينة البلْينا

بسكون اللام وياء مفتوحة والقصر. مدينة على شاطئ النيل من غربيه بصعيد مصر[٨]، وتتبع إقليم القوصية [٩] وتقع بالقرب من قوص[١٠] ، وأهلها أهل مكارم[١١].

---

[١] محمد أحمد محمد:مظاهر الحضارة في الوجة القبلى ، ص٦٨.

[٢] أحمد موسى: تاريخ محافظة قنا، ص٢٢٣.

[٣] ابن بطوطة: مهذب الرحلة، ج١، ص٣٧.

[٤] ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة، ج٦، ص٢١٥.

[٥] الأدفوي: الطالع السعيد ، ص١٩.

[٦] محمد أحمد محمد: مرجع سابق، ص٦٧.

[٧] الأدفوي: مصدر سابق، ص١٩.

[٨] ابن جبير: الرحلة، ص٤٠، البغدادي: مراصد الأطلاع، ج١، ص٢٢١،

[٩] ابن مماتى : قوانين الدواوين ، ص ١٠٨ .

[١٠] المقريزي: الخطط، ج١، ص٥٦٩.

[١١] الأدفوي: مصدر سابق ، ص١٨.

وهى مدينة صغيرة ، عرفت بإنتاجها من التمر[1]، كما عرفت بإنتاج السكر حيث يتواجد بها مسابك للسكر، وقد ترتب على صناعة السكر[2] صناعة الحلوى[3]، كما عرفت بإنتاج اللبن[4].

مدن الصعيد الأوسط

مدينة أسيُوط

بالفتح ثم السكون وياء مضمومة وأو ساكنة[5]. هى مدينة من أعمال الأسيوطية[6] وتعد قصبتها. تقع غربي النيل من نواحي صعيد مصر[7]، وبينها وبين الشط الغربي للنيل مقدار ثلاثة أميال، وهى مدينة قديمة مسورة جميلة القصبة. حيث يذكر أن سورها سور عتيق[8]، وتقع بين النيل والجبل[9].ويكثر بها النصارى ، ويذكر أن فيها خمساً وسبعين كنيسة [10].

مدينة أسيُوط وإنتاج المنسوجات

اشتهرت أسيوط بصناعة النسيج و خاصةً المنسوجات الصوفية [11] الرفيعة[12] التى

---

(1) ابن جبير: الرحلة، ص٤٠.

(2) الأدفوي: الطالع السعيد، ص١٨ ، المقريزي: الخطط، ج١، ص٥٦٩.

(3) الأدفوي: مصدر سابق، ص١٨.

(4) المقريزي: مصدر سابق، ج١، ص٥٦٩.

(5) ياقوت الحموي: معجم البلدان، ج١، ص١٩٤، البغدادي: مراصد الأطلاع، ج١، ص٧٩.

(6) يدخل ضمن إقليم الأسيوطية، إلى جانب أسيوط ومنفلوط، نيف وثلاثون بلداً .(ابن شاهين: زبدة كشف الممالك، ص٣٣، ابن دقماق: الأنتصار، ق٢،ص٢٢)

(7) البغدادي: مصدر سابق، ج١، ص٧٩، القزويني: آثار البلاد وأخبار العباد، ص١٤٧.

(8) ابن جبير: مصدر سابق، ص٣٥.

(9) ابن دقماق: مصدر سابق ، ق٢، ص٢٢

(10) ياقوت الحموي: مصدر سابق، م١، ص١٩٤، القزويني: مصدر سابق، ص١٤٧.

(11) سلام شافعي: أهل الذمة فى مصر، ص١٤٥- ١٤٦.

(12) جمال سرور: الحضارة الإسلامية فى الشرق، ص١٣٧.

ينتج منها العمائم وكذلك ينتج منها الفوط تحسبها من دقه صنعها ورفع خيوطها حريراً [١] .

ويتم توزيع هذا الإنتاج من الأصواف الرفيعة على مدن مصر ويتم تصديره عن طريق ميناء الإسكندرية [٢]. وترجع شهرة أسيوط فى هذا النوع من الأصواف إلى كثرة ما بها من المراعى ، حيث يكثر بها تربية الأغنام على يد القبائل العربية التى سكنت تلك المنطقة [٣] .

كما يتواجد بمدينة أسيوط مناسج على الطراز الدبيقى والثياب اللطيفة والتى اشتهرت بها فـي العصر الأيوبي ولا يوجد مثلها في البلاد[٤]. كما عرفت بمناسج الأرميني وسائر أنواع الملبوسات [٥]. وكانت المنسوجات الصوفية بمدينة أسيوط تصدر إلى بلاد فارس والتى عرفت بالمصرى هناك[٦].

إلى جانب إنتاج أسيوط للمنسوجات الصوفية أنتجت المنسوجات الكتانية[٧] وخاصة أنها توفر بها الكتان الذى كان يتم زراعته[٨] فيها بالنسبة لملكية مصانع الغزل والنسيج : فقد تواجد بها المصانع الأهلية التى كان أكثر تمركزلها فى الجهات التى يكثر فيها زراعة الكتان والقطن حيث كثرت المغازل والأنوال فى الصعيد الأوسط. وكانت تقوم بجانب المصانع الحكومية حيث كانت الحكومة المصـرية تقوم بتعيين تجار يقومون ببيع هذه المنسوجات بعد شرائها من المصانع الأهلية[٩]. وقد أقبل الحكـام ومنهم الأمراء وغيرهم على المنسوجات الكتانية وشراء ملابسهم الفاخرة منها وما يحتاجون إليه مـن

---

[١] ناصر خسرو: سفرنامة، ص١١٥.

[٢] نفس المصدر والصفحة .

[٣] أبو صالح الالفى : الفن الإسلامي، ص١٩٣ .

[٤] القزويني: أثار البلاد وأخبار العباد، ص١٤٧.

[٥] ابن ظهيرة: الفضائل الباهرة، ص٦٢.

[٦] جمال سرور: الحضارة الإسلامية فى المشرق ، ص١٣٨.

[٧] ابن ظهيرة: مصدر سابق ، ص٦٢.

[٨] سلام شافعي: أهل الذمة فى مصر ، ص١٤٥-١٤٧.

[٩] محمد أحمد محمد: مظاهر الحضارة فى الوجه القبلي، ص٦٠-٦١.

قرش، إلى جانب اهتمامهم بالخلع الفاخرة ، والتي كانوا يخلعونها على علية القوم كل ذلك كان من أثره أن يولد عوامل المنافسة والتي من خلالها تبرز عوامل الإتقان والمنافسة للمنسوجات الكتانية[1].

صناعة السكر

أسيوط من أشهر المدن التي عرفت بصناعة السكر[2]، حيث يذكر أنها أكثر البلاد إنتاجاً لقصب السكر[3]، فقد كان ينتج بها سائر أنواع السكر [4] ويصدر إلى الخارج [5].

وقد حرصت الحكومة على توجيه أصحاب المعاصر إلى عصر أقصابهم في المعاصر المنتشرة في سائر أنحاء الإقليم. كما اهتمت بتوافر المسابك والدواليب. والأحجار اللازمة لصناعة السكر، والتي تمركزت بجانب مناطق زراعته[6]. ويذكر أن أسيوط وملوى كان يزرع بها أولاد فضيل ما يقارب خمسمائة فدان من قصب السكر[7] وقد ترتب على صناعة السكر صناعة العسل الأسود[8] .

صناعة الفخار

مدينة أسيوط من المدن التي اشتهرت بإنتاج المصنوعات الفخارية حيث كانوا يعتمدون في صناعة الفخار على حجارة الدخان ، إلى جانب ذلك طين الملق الأبليزى المخلوط بمقدار الربع من طين أسوان فيمزجان ببعضهم ويدق الجميع حتى يصير ناعماً وينخل ويمزج بالماء ويداس بالأقدام حتى يتم مزجه وعجنه ويستعمل في عمل : الصحون ، والفناجين ، والصواني ، والقلل والتي كانت يزخرفونها بنقوش ورسوم طريفة[9] .

---

[1] عبد الرحمن عمار: تاريخ فن النسيج، ص٥٣.

[2] العبادي: الحياة الاقتصادية، ص٣٤٦.

[3] مجهول: الأستبصار، ص٨٤.

[4] ياقوت الحموى : معجم البلدان ، م١ ، ص١٩٤ .

[5] القزويني: آثار البلاد وأخبار العباد، ص١٤٧.

[6] محمد أحمد محمد: مظاهر الحضارة في الوجه القبلي، ص٥٣ ، العبادي: مرجع سابق ، ص٣٤٦.

[7] خالد مشهود: الصناعة في عصر سلاطين المماليك، ص٢٠٦.

[8] سلام شافعى : أهل الذمة في مصر ، ص١٧٢-١٧٤ .

[9] عبد المنعم المليجى : معجم البدائع فى الفنون والصنائع ، ص ٦٥ .

مدينة أسيُوط وإنتاجها للمنتجات الغذائية

عرفت أسيوط بإنتاج شتى أنواع الحبوب وسائر أنواع الغلات[1]، حيث كان ينتج بها القمح، والفول وسائر الغلات [2]حيث يقال أنها مدخرة لضروب الغلات[3].وترتب على ذلك صناعة طحن الحبوب[4] . .

مدينة أسيُوط التجارية

ساعد موقعها على شاطئ نهر النيل على نشاط ورواج الحركة التجارية بها[5] إلى جانب أنها كانت واسطة العقد في الإقليم المصرى بين شماله وجنوبه مما جعلها وسيطاً تجارياً[6]. توجد بها كافة المرافق التجارية مثل: الأسواق، القياسر، الفنادق، الجوامع، المدارس، وبها قاضى مستقل ويسكن بها نائب الوجه القبلي[7].

عرفت أسيوط بأسواقها التي اشتهرت بتجارتها في الصناعات الفنية في العصر الأيوبي وساعدها على ذلك وقوعها في نهاية طريق الأربعين فغدت بذلك أكبر سوق للصعيد فى تجارة صادرات السودان من العاج والأبنوس وقرن الخرتيت وريش النعام نظراً للمهارة المتوارثة لدى أبناء الإقليم فقد تفنن الصناع فى إنتاجهم إلى درجة كبيرة[8].

وقد اكتظت أسواق أسيوط بالمنسوجات سواء الصوفية أو الكتانية[9]. كما اشتهرت بالمنتجات

---

[1] ابن اياس: بدائع الزهور، ج١، ق١، ص١٨.

[2] الإدريسي: نزهة المشتاق، ص١٢٨.

[3] ابن الظهيرة : الفضائل الباهرة ، ج١ ، ص١٩٤ .

[4] العمري : مسالك الابصار ، ص١٦-١٧ .

[5] سلام شافعي: أهل الذمة في مصر ، ص١٧٩-١٨٠.

[6] محمد سيعد النعناعي وأخرون: أسيوط بين الماضي والحاضر مطبعة الهلالي، أسيوط، ١٩٥٩م، ص٢.

[7] ابن دقماق: الأنتصار، ق٢، ص٢٢.

[8] محمد سعيد النعناني: مرجع سابق ، ص٥٧-٥٨.

[9] ياقوت الحموي: معجم البلدان، ص٦٢.

الغذائية من الحبوب[1]، وصيد الأسماك ، ومنتجات الألبان ، والزيوت ، والفخار[2].

مدينة إخْمِيم

إخميم بالكسر ثم السكون وكسر الميم وياء ساكنه، وميم أخرى، بلد بصعيد مصر[3]. تقع على الشاطئ الشرقي للنيل[4]، وهي مدينة كبيرة، قديمة[5] . ومن أجل مدن الصعيد[6]. وهي من أعمال الأخميمية وتعد مدينة الإقليم.حيث كان بها مقام الوالي، ويسكنها نائب الوجه القبلي[7] . من أبرز الولاه الذين تولوا مدينة أخميم الطواشي شمس الدين صواب العادلي الذي كان يحكم أخميم وبعض البلاد الأخرى[8]. كما كان بمدينة إخميم قاضي[9].

مدينة إخميم من المدن الواسعة العامرة، ويذكر أن رجالها أشداء وتتميز بوجود سور حصين لها، ويكثر بها البساتين ويوجد بها طريقين بري وآخر نيلي وفي غربيها جبل[10].

إنتاج المنسوجات

إخميم من المدن التي اشتهرت بإنتاج المنسوجات الصوفية والحريرية والقطنية والكتانية[11].حيث يذكر ابن جبير أن بها مصانع من بنيان القبط[12].

---

[1] ابن ظهيرة: الفضائل الباهرة ، ص٦٢.

[2] محمد سيعد النعناني: أسيوط بين الماضي والحاضر ، ص٥٧-٥٨.

[3] البغدادي: مراصد الأطلاع، ج١،ص٤٣.

[4] ابن دقماق: الإنتصار ، ق٢، ص٢٥-٢٦.

[5] ابن جبير: الرحلة، ص٣٥-٣٦ ، مجهول: الأستبصار ، ص٨٤.

[6] ابن إياس: نزهة الأمم، ص٢٢٦.

[7] ابن مماتي : قوانين الدواوين ، ص ١٠٧ ، ابن دقماق: مصدر سابق، م٢، ص٢٥-٢٦.

[8] محمد عبد الستار: أخميم في العصرين القبطي والإسلامي، مطبعة العصرية، الإسكندرية ، ١٩٨٢م، ص٥١-٥٢.

[9] ناصر خسرو: سفرنامة، ص١١٦.

[10] الهروي: الإشارات إلى معرفة الزيارات، ص٤٤.

[11] العريني: مصر في عصر الأيوبيين، ص١٩٧-١٩٨.

[12] ابن جبير: مصدر سابق ، ص٣٥-٣٦.

وقد بلغت إخميم درجة كبيرة فى صناعة المنسوجات الصوفية، ويرجع ذلك لوفرة الصوف بها، حيث يكثر بها تربية الأغنام، والتى كانت تربى على يد القبائل العربية الذين يشتغلون بتربية الأغنام[١].

وصنع بإخميم طراز من الصوف الشفاف والمطارف[٢] المطرز والمقلم الأبيض والملون والذى يحمل منه إلى أقصى البلاد، ويبلغ الثوب منه عشرين ديناراً وكذلك المطرف من الخيل ونحوه الأبيض الرأسى أو الذنب، وصنع بإخميم الأنطاع والتى كان يتم نقلها إلى مصر الفسطاط [٣].

إلى جانب ذلك اشتهرت مدينة أخميم بإنتاج المنسوجات الحريرية، والتى عرفت بقلتها لأن مادة الحرير الخام كانت قليلة وتتميز بغلاء سعرها. كما عرفت بإنتاج مواد الصباغة حيث يزرع بها نبات يشبه الشلجم له عصاره حمراء داكنه تستعمل فى صباغة الحرير القرمزي .وكانت تصدر إخميم منتجاتها إلى بيزنطة وإلى بابوات روما[٤]

إخْمِيم وإنتاجها من السكر والتمر والحبوب

عرفت مدينة أخميم بإنتاج قصب السكر والذى يذكر أنه كان بها الكثير منه كغيرها من مدن الصعيد[٥].كما عرفت مدينة أخميم بإنتاج التمر حيث يكثر بها النخيل[٦].وعرفت بكثرة بساتينها[٧]. وكان ينتج بها أيضاً الحبوب التى كان يتم نقلها إلى الفسطاط ، كما ترتب عليها صناعة طحن الحبوب[٨].

---

(١) سلام شافعي: أهل الذمة فى مصر، ص١٤٦.

(٢) المطارف :جمع مطرف وهو رداء أو ثوب مربع ذو أعلام (ابن ظهيرة: الفضائل الباهرة، ص٦٣).

(٣) ابن اياس: نزهة الأمم، ص٢٢٦.

(٤) محمد عبد الستار: أخميم، ص٣٥-٣٧.

(٥) الإدريسي: نزهة المشتاق، ص١٢٥-١٢٦.

(٦) نفس المصدر والصفحة.

(٧) ناصر خسرو: سفرنامة، ص١١٦.

(٨) العمري : مسالك الابصار ، ص١٦-١٧ ، سلام شافعي : مرجع سابق ، ص١٨٠ .

مدينة إخْمِيَم التجارية

عرفت مدينة إخميم بأنها مدينة متحضرة وقد حوت بداخلها كافة المرافق الحضارية، والتجارية فتواجد بها الجوامع والكنائس[١]، المدارس[٢]، والمصانع، الأسواق، القياسر[٣]. كما كان بها طريقان نهري وبري والإثنين لعبا دوراً فى حركة نقل البضائع التجارية من وإلى الوجه البحري والقبلي[٤]. حيث كان التجار يصعدون فى المراكب لاستجلاب البضائع[٥]، وكانت تفرض فيها الضرائب على البضائع التى ترد أو تنقل من وإلى أخميم ويتولى جمع الضرائب الديوان السلطاني الحكومي[٦]. وكثر بمدينة أخميم تجارة السكر والتمر[٧] والحبوب[٨] إلى جانب الأخشاب التى يقطعها بها الديوان [٩].

مدينة مَنْفَلُوط

بالفتح ثم السكون ثم فاء مفتوحة ولام مضمومة وآخره طاء مهملة. تقع بصعيد مصر فى غربي النيل على مقربة منه[١٠]، وهى مدينة الإقليم، وتتبع أعمال المنفلوطية[١١]، وفيها سكن متولى الحرب، والقاضي ، كما بها دولاب السلطان، وبها سائر المرافق من المدارس والجوامع[١٢].

---

[١] ابن جبير: الرحلة، ص٣٥-٣٦.

[٢] ابن دقماق: الأنتصار، ق٢، ص٢٥-٢٦.

[٣] ابن جبير: مصدر سابق، ص٣٥-٣٦.

[٤] ناصر خسرو:سفرنامة ، ص١١٦.

[٥] سلام شافعي:أهل الذمة في مصر، ص١٨٠.

[٦] ابن مماتي: قوانين الدواوين، ص٣٤٩.

[٧] الإدريسي: نزهة المشتاق ، ص١٢٥-١٢٦.

[٨] سلام شافعي: مرجع سابق، ص١٨٠.

[٩] المقريزي:الخطط ، ج١، ص٣١٧.

[١٠] البغدادي: مراصد الأطلاع،ج٣،ص١٣٢٣.

[١١] ابن مماتي:مصدر سابق ، ١٩٣ .

[١٢] ابن دقماق: مصدر سابق ، م٢، ص٢٢.

مدينة منَفلُوط وإنتاجها من السكر

عرفت مدينة منفلوط بإنتاج السكر، حيث حرصت الدولة الأيوبية على توفير المعاصر لعصر أقصابهم في معاصرهم المنتشرة بسائر الإقليم وخاصة أن الدولة الأيوبية كانت تتحصل على مقادير طائلة من الخراج من الأراضي المزروعة قصباً وأكثرت من عمل الدواليب والمسابك والأحجار بمدينة منفلوط بالوجه القبلي.حيث كان الأمراء يتنافسون فيما بينهم على اختيار مسابك السكر في الوجه القبلي[1].

إنتاج الحبوب والنيده

كما اشتهرت مدينة منفلوط بإنتاج الغلال. ويذكر أن أحد الثقات اطلع على متحصل الغلال المستخرجة من الشون السلطانية بمدينة منفلوط فوجدها ألف ألف ومائة وخمسين ألف أردب[2]. كما ذكر ابن دقماق : أن ما يتحصل منها من الغلال ألف ألف أردب وعشرين ألف أردب[3] وقد تكون هذه الارقام مبالغاً فيها وربما يرجع ذلك إلى ما كان ينتج فيها من كميات كبيرة من الحبوب، ويذكر أن قمحها يجلب إلى مصر لطيبه ورزانة حبته[4].

من الصناعات التي قامت على إنتاج الحبوب وخاصة القمح صناعة النيدا سواء المفرودة والموصوفة[5]، وتباع بأسواق مصر[6].

---

[1] محمد أحمد محمد: مظاهر الحضارة في الوجه القبلي، ص٥٣.

[2] ابن شاهين: زبدة كشف الممالك، ص٣٣.

[3] ابن دقماق: الانتصار، ق٢، ص٢٢.

[4] ابن جبير : الرحلة، ص٣٧.

[5] النيده المفرودة والموصوفة : المفرودة والتي عرفت بالبوش وسميت بذلك لأنها كانت تتخذ من القمح بعد أن ينبت ثم يطبخ ثم يخرج النشا في الماء ثم يصفي ويطبخ حتى يغلظ ثم يذر عليه الدقيق ويعقد ويرتفع ويباع بسعر الخبز ويبدو أنها كانت تفرد كالخبز . وقد يطبخ الماء وحده بالقمح حتى ينعقد من غير دقيق ويسمى النيده المعقوده أو الموصوفه وهي أغلى من المفرودة (البغدادي : الإفادة والإعتبار ، ص ٧٣ ، ابن شاهين: زبدة كشف الممالك، ص٢٣).

[6] ابن بطوطة: مهذب الرحلة، ص٣٧.

مدينة مَنفَلُوط التجارية

وجد بمدينة منفلوط سائر المرافق التجارية وسائر ما يُحتاج إليه من السلع في أسواقها، حيث يذكر أن التجار كانوا يصعدون في المراكب إليها ومنها لاستجلاب البضائع . ذلك علاوة على امتلاء أسواقها بما تنتجه من الحبوب كالقمح والذى كان ينقل إلى سائر مدن مصر بالوجه البحرى[1]، وخاصة أن التجار كانوا يأتون من مدن الوجه البحري لشراء المحصول قبل نضجه بسعر أرخص ويستعينون على ذلك بالوسطاء وينقلون تلك السلع إلى مدن الوجه البحري. وليس أدل على ذلك من ذكر الوثائق البردية التى ترجع إلى ق٦هـ/١٢م، من أن تجار الصعيد اعتادوا على تخزين القمح وعدم بيعه لأهالي البلاد طلباً لزيادة سعره أيام المحن والشدائد.حيث أقبل أهل الوجه البحري إلى ساحل القاهرة لشراء القمح لقلته وعلى الجانب الأخر أمسك أهل الصعيد أيديهم عن بيع القمح لقلته. وعلى الرغم من ذلك ظل نقل غلال الصعيد إلى القاهرة باقيا طيلة العصور الوسطى[2]، كما تواجد بأسواق منفلوط النيده المصنعة بها.

مدينة ملوى

تقع مدينة ملوى على الجانب الغربي من النيل[3]، في الصعيد الأوسط ، وهي من مدن إقليم الأشمونيين[4].

إنتاج ملوى من المنسوجات

عرفت مدينة ملوى بصناعة المنسوجات القطنية، والتى انتشرت فى بلاد ملوى حيث تنوعت منتجات هذه الصناعة فصنع من القطن أغطية الرأس. وساعد على ازدهارها استخدام العلماء والفقهاء لها على الرغم من قلة الخامات القطنية والتي كانت تستورد[5].

---

(1) ابن جبير :الرحلة ،ص٣٧ .

(2) ابن شاهين: زبدة كشف الممالك، ص٣٣ ، محمد أحمد محمد: مظاهر الحضارة فى الوجه القبلي، ص٨٣-٨٤.

(3) المقريزي: الخطط، ج١، ص ٥٧٠ ، ابن اياس: نزهة الأمم، ص١٩٧.

(4) ابن مماتي : قوانين الدواوين ، ص١٩٢ ، محمد أحمد محمد: مرجع سابق ، ص٨٧-٨٠.

(5) محمد أحمد محمد: مرجع سابق، ص٦١.

إنتاج ملوى من السكر

عرفت مدينة ملوى بإنتاج قصب السكر، والذى كان أهم الحاصلات الزراعية بها. فيذكر أنـه كان بها إحدى عشرة معصرة للسكر وعدد آخر من المطابخ. وبلغ إنتاجها من الســكر فــى إحـدى السنوات إثنين وثلاثين ألف قنطاراً وهو رقم يدل على كثرة مزارعها[1].ومن أشهر الأسر التى عرفت بصناعة السكر أولاد فضيل[2] حيث كانوا يزرعون بمدينة ملوى ألف وخمسمائة فدان فـي العصــر الأيوبي[3].

حركة التجارة بملوى

ساعد موقعها على النيل على رواج حركتها التجارية ومنتجاتها المحلية مثل الجبن، اللحــوم، القصب، الفسيخ[4].

مدينة أو واحة سنترية

يقال لها سنترية، وبالسين المهملة[5] ، وهي ثالث واحة من الواحات[6] . حيث قيل أن الواحات

---

[1] سلام شافعي: أهل الذمة في مصر، ص١٣٦.

[2] محمد أحمد محمد: مظاهر الحضارة فى الوجة القبلى ، ص٢٦.

[3] خالد مشهود: الصناعة في عصر سلاطين المماليك، ص١٠٦.

[4] محمد أحمد محمد: مرجع سابق، ص٧٨-٨٠.

[5] البغدادي : مراصد الاطلاع ، ج٣ ، ص١٤١٦ .

[6] الواحات : تقع غربي مصر غرب الصعيد ، في حد الصعيد الجنوبي على بعد نحو ثلاث ايام في الصحراء . وتتصل بالنوبة ببارية ، وتنتهي ببلاد السودان ، وتقع على بعد ثلاث ايام من اسيوط وهي اقليم غير متصل بغيره يحيط بها الصحاري . وتقع بين مصر والإسكندرية والمغرب والصعيد والنوبة والحبشة ومسافتها من كل جانب متقاربة بالاخرى ويقال انه كان لصاحب مصر على صاحبها قطيعة ثم سارت مضافه إلى مصر . عرفت الواحات بانها معمورة بالمياه والاشجار والقرى والناس وبها ثمار ومراعي(الاصطخري : المسالك والممالك ، ص٤١ ، ياقوت الحموى : معجم البلدان ، ج٣ ، ص٣٤٢ ،البغدادي : مصدر سابق ، ج٣ ، ص١٤١٦ ، ابن شاهين : زبدة كشف الممالك ، ص٣٣ – ابن دقماق : الانتصار ،ق٢ ، ص١١) .

ثلاثة : الداخلة [1]، والوسطى[2] ، والخارجة . عرفت بمياهها الحامضيه والتي يشربها أهلهـا الـذين عرفوا بنظافتهم وبين الواحة الثالثة سنترية وبلاد النوبة ست مراحل ، وبها قبائل البربر من لواته[3] . وتقع على بعد ست أيام من أسيوط حيث يحملون منها الزاد والماء إلى تلك الـواح ويوجـد بـالواح نصارى عرفوا بعرب سليم يقومون بقطع الطريق على المسافرين سواء الداخلين بها أو الخارجين منها كذلك بها عرب يسمون العكارمة كانوا يغزونها[4].

مدينة سنترية وإنتاجها من المعادن

عرفت مدينة سنترية أو الواح الخارجة بإنتاج المعادن. فاشتهرت بإنتاج معدن الشب الأبـيض والأصفر فى المنطقة المنبتة[5]،حيث كان مقرر عليهم فى عهد الملك الكامل أن يتم حمل ألف قنطـار من الشب الأبيض فى كل سنة إلى القاهرة، ويطلق لهم فى نظير ذلك جوالي الواحات ثم بطـل هـذا الأمر بعد ذلك[6].

كما كان ينتج الواح معدن الزاج[7] بمنطقة تسمى مويط إلى جانب ذلك عرفت مدينـة سـنتريه بإنتاج معدن اللازورد الذى يستخرج من جبل علسباني المعترض بالواحات الخارجة ويحمل هذا الزجين إلى مدن مصر[8].

---

[1] الواح الداخلة أو الأولى : هي مقابلة للفيوم ممتدة إلى أسوان ، وهي كورة عامرة ذات نخيل وضياع حسنة ، عرفت بإنتاج التمر ويعرف انه افخر التمور بمصر وهي أكبر الواحات ، وبعدها جبل ممتد كامتداد الواحة الذي قبلها وبليها الواح الوسطى (البغدادي : مراصد الأطلاع ، ج٣ ، ص١٤١٦) .

[2] الوسطى أو الواح الثانية : يخلفها جبل كامتداد الواح الداخلة ووراءها كورة اخرى يقال لها الواح (ياقوت الحموي : معجم البلدان ، ج٣ ، ص٣٤٢) .

[3] البغدادي : مصدر سابق ، ج٣ ، ١٤١٦ .

[4] ابن دقماق : الانتصار، ق٢، ص١٠-١٤.

[5] نفس المصدر، ق٢، ص١٢.

[6] ابن اياس: نزهة الأمم، ص٢٢٤-٢٢٥.

[7] ابن دقماق: مصدر سابق، ق٢، ص١٢.

[8] الإدريسي: نزهة المشتاق، ص١٢٢.

مدينة سنترية وإنتاجها للفاكهة والحبوب

عرفت مدينة سنترية(الواح الثالثة أو الخارجة) بإنتاج التمور وزراعة نخله، حيث عرف تمرها وعجوتها بأنها من ألذ الثمار وأحلاها ويسمى ثمرها البيدور ويؤكل بالسمسم فتكون له لذة كبيرة[1].

كما عرفت بإنتاج: الزبيب، المشمش، العناب، العرق سوس، الموز، الرمان، البرقوق، السفرجل، النارنج، وقيل أن بعض القضاه سمع عنها أن نخلها يطرح فيه من النارنج ما يقارب الواحدة وعشرون ألف نارنجة، في حين ينتج منها في السنة الواحدة أربعة عشر ألف حبه نارنج[2].

الجانب التجاري بمدينة سنترية

راجت حركة تجارة الواحات وخاصة الواحة الثالثة التى تسمى سنترية والتى كانت تقوم بتصدير معدن الشب واللازورد إلى القاهرة[3] وساعد على رواج حركة تجارتها أنها تقع على طول الطرق الصحراوية التجارية المؤدية إلى الإسكندرية ، الصعيد، النوبة، الحبشة[4]. وخاصة أن تلك الواحة تقع على بعد ستة مراحل من بلاد النوبة وعلى بعد ستة أيام من أسيوط كما سبق ذكره لم تروج للمعادن فقط بل لمنتجاتها الغذائية من التمر وغيرها من الفاكهة المختلفة مثل الموز، الرمان، البرقوق،الزبيب، وغيرها إلى المدن التى تحيط بها[5].

مدن الصعيد الأدنى

مدينة الفَيُّوْم

بالفتح وتشديد ثانيه ثم وأو ساكنة وميم ، فتقع فى غربي مصر فى منخفض من الأرض ، وتشرف على النيل[6]

---

[1] ابن دقماق: الإنتصار ، م٢، ص١٤.

[2] ابن اياس: نزهة الأمم، ص٢٢٣-٢٢٤ ، ابن دقماق : مصدر سابق ، ص١٢ .

[3] الإدريسي: نزهة المشتاق، ص١٢٢.

[4] ابن دقماق: مصدر سابق ق٢، ص١٤ ، محمد أحمد محمد : مظاهر الحضارة فى الوجه القبلى ، ص ٧٦-١٨٠.

[5] البغدادى : مصدر سابق ، ج٣ ، ص ١٤١٦ ، ابن اياس: مصدر سابق، ق٢، ص١٢.

[6] البغدادي: مراصد الأطلاع، ج٣، ص١٥٣.

وتتصل الفيوم بنهر النيل ولكن ينقطع عنها المياه في فصل الشتاء[١] ويغذيها النيل من خليج أعلى الصعيد يدخلها[٢] يسمى اللاهون[٣] ، وبينها وبين الفسطاط أربعة أيام كما يذكر انه بها ٣٦٠ قرية عامرة آهلة[٤].ولكن الهروي ت(٦١١هـ/١٢١٤م) يذكر أن بها ثلاث وستون قرية لا غير[٥] . حتى قدر أن كل قرية من قرى الفيوم تستطيع أن تمير بلد بمصر[٦] .

أما مدينة الفيوم : فهي مدينة كبيرة[٧] عامرة وآهلة كلها مزارع وغلات وتتميز بكثرة أشجارها وبساتينها[٤].على الرغم من اختلاف أرضها[٨] . وعرف هواؤها بأنه وباني ، ويحيط بالمدينة سور[٩] . وتتصل بمدينة الفيوم بحيرة عرفت ببحيرة الفيوم وهي بحيرة حلوة لا يوجد بها منفذ لاحاطتها بجبل وتصب فيها فضلات خليج المنهى . ولذلك غلبت على كثير من قرى الفيوم وعلا ماؤها على أرضها[١٠] ، ووعاش في الفيوم في هذه الفترة مائتا يهودي، وقد تولاها الملك الأفضل قطب الدين أخو الملك الكامل . وتولى بعده الأمير فخر الدين عثمان[١١].

---

[١] عمربن الوردي : خريدة العجائب ، ص٣٦ .

[٢] القزويني : اثار البلاد واخبار العباد ، ص٢٣٨ .

[٣] اللاهون: قرية من قرى الفيوم كبيرة وبنيت من أجل رد الماء إلى الفيوم، واللاهون وهو عبارة عن حجر مبني بأحكم صنعة مدرج على ٦٠درجة وتروى الأراضي بالفيوم عند مستوى ١٢ زراعاً في حين تروى أراضي الوجه البحري من ١٦ زراع (مجهول: الأستبصار، ص٩٠-٩١).

[٤] عمر بن الوردي: مصدر سابق، ص٣٦.

[٥] الهروي : الاشارات إلى معرفة الزيارت ، ص٤٤ .

[٦] الادريسي: نزهة المشتاق ، ص٣٢٦-٣٢٧ .

[٧] نفس المصدر، ص٢٣٦.

[٤] عمر بن الوردي: مصدر سابق ، ص٣٦.

[٨] النابلسي : تاريخ الفيوم وبلاده ، دار الجيل ، بيروت ، ١٩٧٤ م ، ص٥ .

[٩] الادريسي : مصدر سابق ، ص٣٢٦-٣٢٧ .

[١٠] القلقشندي : صبح الاعشى ، ج٣ ، ص٣٠٣ .

[١١] ابن العميد : أخبار الأيوبيين ، ص١٢-١٣ .

صناعة المنسوجات بالفَيُّوم

اختصت مدينة الفيوم بصناعة المنسوجات حيث عرفت بصناعة المنسوجات الكتانية[1]. وساعدها على ذلك توفر مادة الكتان والتي كانت تزرع بها حيث كان بها طرازها المشهور بها [2]. فعلى الرغم من أن كتان الفيوم عرف بأنه أقل جوده من غيره لأنه فى غاية الغلظ والخشونة وقليل البقاء عند استعماله بخلاف ما حولها من البلاد، الا أن الصناع وأرباب الحرف من النساجين بها أنتجوا المنسوجات الكتانية السميكة والتى حظيت بشهرة كبيرة في العصر الأيوبي[3].

كما اشتهرت الفيوم بصناعة المنسوجات الصوفية . وساعدها على ذلك توافر المراعي وتربية الأغنام بها على أيدي القبائل العربية التى سكنت بها[4] الأمر الذي ترتب عليه وفرت الصوف من تلك الأغنام . كما عرفت بانتاج المنسوجات القبطية لسكن عدد كبير من الأقباط بها[5].

كما عرفت الفيوم بصناعة الخيش، والستور الفيومية، والطنافس، البسط التى لا تعمل إلا بها[6]. وكان يتم تصدير تلك المنسوجات إلى كثير من المدن. وربما وصل تصديرها إلى بلاد فارس[7].

صناعة الزجاج

كانت الفيوم من المراكز التى انتشرت فيها صناعة الزجاج[8]، وكان بالفيوم أسرات بأكملها متخصصين في هذه الصناعة حيث ورث أحفاد هذه الأسرات فى العصر الأيوبي أسرار هذه الصناعة،

---

[1] المقريزي : الخطط ، ج١ ، ص١٣٤ .

[2] سلام شافعي : أهل الذمة ، ص٧٣٧، ١٥٤ .

[3] العبادي: الحياة الاقتصادية، ص٣٣٤، عبد المقصود عبد الحميد : السياسة الداخلية ، ص٢١٧-٢١٨ .

[4] سعيد مغاوري : النشاط التجاري بين بلدان العالم العربي ، ص٨٤٧ .

[5] سلام شافعي : مرجع سابق ، ص١٥٤ .

[6] ابن اياس: بدائع الزهور، ج١، م١، ص٤٦.

[7] سعيد مغاوري : مرجع سابق ، ص٨٤٧ .

[8] الحويري : مصر في العصور الوسطى ، ص٥٩ ، ٣٣٢ .

ومهر هؤلاء الصناع فى عمل مصنوعات من الزجاج وخاصة لإقبال السلاطين على إنشاءالمنشـآت الدينية والتى تقتضي صناعة القناديل الزجاجية[1].

صناعة الخزف

عرفت مدينة الفيوم بصناعة الخزف[2] والذي اقتصر صناعة الخزف بها في العصر الأيـوبي على صناعة الخزف الصيني ولا سيما ما كان منه ذو طلاء من لون واحد[3].

صناعة السكر

اشتهرت الفيوم بزراعة القصب والذى ترتب عليه صناعة السكر، ويذكر أنه كان بهـا مـن النقائع وأجام القصب الكثير[4]، وقد انتشرت صناعة السكر بها بالقرب من منـاطق زراعتـه حيث تواجدت المسابك والمعاصر ومطابخ السكر[5].

وزادت صناعة السكر والإقبال عليه في العصر الأيوبي حيث كانت مدن مصر تنتج كميـات كبيرة بما فيها مدينة الفيوم وذلك لسد حاجة المآدب والأسمطة التى كانت توزع فيهـا كميـات مـن الحلوى ومقادير السكر والعسل على الناس من العامة والخاصة [6]. وكان السكر وإنتاج الفيوم منه يتم نقله على الفسطاط [7].

---

[1] محمد أحمد محمد:مظاهر الحضارة فى الوجه القبلي، ص٥٩.

[2] جمال سرور : الحضارة الاسلامية ، ص١٣٦،١٣٤ .

[3] صفى محمد عبد الله: مدن مصر الصناعية، ص٢٥٢.

[4] المقريزي: الخطط، ج١، ص١٣٤.

[5] العبادي: الحياة الاقتصادية، ص٣٤٦، سلام شافعي: أهل الذمة فى مصر، ص١٧١.

[6] سلام شافعي : مرجع سابق ، ص١٧٢-١٧٤ .

[7] المقريزي : مصدر سابق ، ج١ ، ص١٣٤ .

صناعة العسل

وبجانب انتاج الفيوم من السكر والعسل الأسود [1] عرفت أيضاً بإنتاج عسل النحل وخاصة أنه انتشرت بها مناحل النحل [2].

صناعة الزيوت بالفَيُّوم

عرفت الفيوم بصناعة الزيوت حيث يتوافر بها المواد الخام اللازمة لصناعته وعرفت بإنتاج الزيتون الفيومي وهو غاية في الكبر والطعم[3] . كما عرفت بإنتاجها للزيوت من السمسم والكتان ساعدها على ذلك توافر معاصر الزيت بها [4]ولزيادة أهمية الزيوت والتي لم تقتصر على صناعة الصابون ، والإضاءة، بل كانت تستخدم كغذاء للطبقات الفقيرة من الفلاحين والعمال ولذلك عنوا بزراعة السمسم والزيتون بالفيوم[5] .

الفَيُّوم وإنتاجها من التمر والحصر

عرفت مدينة الفيوم بإنتاج التمر[6] الذى لا ينقطع صيفاً ولا شتاء[7] والذى ترتب عليه استخدام جريد نخله فى صناعة القفاف والمراوح والتى عرفت بها قرى الفيوم بالذات. كما كان يصنع من ليف النخيل وجريدة الحبال التى كانت تصنع من ألياف الكتان وكان الفلاحون يقومون ببيع تلك الحبال بالقاهرة لشدة الاحتياج إليها. كما كان يصنع من الجريد أقفاص للطيور وغيرها[8].

---

[1] النابلسي : تاريخ الفيوم وبلاده ، ص٢٦-٣٠ .

[2] سلام شافعي : أهل الذمة فى مصر ، ص١٧٤ ، مجدي عبد الرشيد : القرية المصرية ، ص١٨٨- ١٨٩ .

[3] ابن اياس : بدائع الزهور ، ج١ ، ق١ ، ص٢٤ .

[4] عبد المقصود عبد الحميد : السياسة الداخلية للايوبيين ، ص٢٢٢ .

[5] نفس المرجع و الصفحة .

[6] مجهول: الأستبصار، ص٩٠-٩١.

[7] المقريزي: الخطط، ج١، ص١٣٤.

[8] مجدى عبد الرشيد: مرجع سابق ، ص١٩٠.

الفَيُّوْم وإنتاجها من الخضر والفاكهة والثروة الحيوانية

كما عرفت الفيوم بإنتاج الخضروات كالسمسم، والكرأويا، والثوم، والفول،والقلقاس، كما كـان يوجد بها معامل للفراريج[١]. ومن الحبوب التي كانت تنتجها أيضاً الأرز، القمح، الشعير[٢]، وترتـب عليها صناعة طحن الحبوب إلى جانب انتاجها من الفاكهة والتي لم تنقطع صـيفاً ولا شـتاء[٣] كمـا عرفت الفيوم بكثرة المراعي والتي ترتب عليها إنتاجها من الألبان[٤] .

الفَيُّوْم وإنتاجها من الملح

نظراً لموقع الفيوم بالجانب الغربي من أرض مصر بين مريوط[٥] والفيوم، حيث كان يتمركز بها الملح الأندراني والملح السلطاني، والذي يوجد فيها على هيئة ألواح الرخام[٦] .

مدينة الفَيُّوْم التجارية

نشطت بالفيوم حركة التجارة وساعدها على ذلك تواجد المرافق الخاصة بهـا مـن الأسـواق العامرة، والدور، الحمامات، الوكالات. كما تعددت بها الأسواق المختلفة كسوق القطانين ، وسـوق البزازين وغيرها من الأسواق التي أشاد بها النابلسي والذي شاهد حركة للرواج التجاري بنفسه فيها[٧] فحوت المدينة المنسوجات المختلفة كالصوفية والكتانية والستور الثمينة حتى قيل أنها كانت تصدر إلى بلاد إيران ، كما اشتهرت أسواق الفيوم بكثرة وجود الحاصلات الزراعية كالتمر والحبوب ، والفاكهة وغيرها بالاضافة إلى الزيوت العطرية مثل زيت الياسمين، الزنبق،وأشار بعض المؤرخين أن بعضها

---

[١] النابلسي : تاريخ الفيوم وبلاده ، ص٢٦-٣٠ .

[٢] المقديسي: أحسن التقاسيم، ص١٨٥، العمري : مسالك الأبصار ، ص١٦-١٧ .

[٣] مجهول: الاستبصار ، ص٩٠-٩١.

[٤] النابلسي : مصدر سابق ، ص٢٩ .

[٥] مريوط: كوره من كور الإسكندرية وكان لشدة بياض حيطانها لا يدخل الليل إلا بعد مضي عشر درجات من الغروب، وكانت متصلة بالعمارة إلى أرض برقة (ابن اياس: بدائع الزهور، ج٢، ق١، ص١٨-١٩).

[٦] ابن لياس : نزهة الامم ، ص١٨٧ .

[٧] النابلسي: مصدر سابق ، ص٢٦،١٧ .

كان يتم تصديره إلى الخارج وقد وردت صناعة الزيوت في نصوص عديدة من البرديات العربية بعضها محفوظ في دار الكتب المصرية بالقاهرة[1].

وقد لعب النيل دوراً كبيراً في حركة تسويق المنتجات الفيومية، حيث كانت المراكب المقلة للحجيج تبحر من الفسطاط وفي طريقها لمدن الوجه القبلي الواقعة على النيل يقومون بالتنقل للفيوم لبيع ما يريدون من السلع وشراء ما يحتاجونه من سلع وبضائع منها حيث يذكر النابلسي وأن فيها الركاضين [2] يجلبون إليها، ويجلبون منها ويكسبون في ذهابهم وإيابهم.وخير مثال على ذلك أن التجار كانوا ينقلون الفواكه من الفيوم والواحات إلى القاهرة وسائر مدن مصر[3] .

ونظراً لأهمية المدينة فقد ازداد اهتمام الولاة بها حتى أن أحد عمالها في عهد الكامل فخر الدين عثمان أستادار الكامل، كان من كثرة اهتمامه بها قام بقطع الأشجار المحيطة ببحيرة الفيوم حرصا على نظافتها، كما استعان بالمهندسين في توسيع فتحة نهر المنهى حتى ينظف بحره كما قيل له (نظف بحرك) كما اهتم الولاة الذين أتوا بعده بالمدينة[4] .

مدينة البَهْنَسا

البهنسا: بالفتح ثم السكون وسين مهمله مقصورتتبع إقليم البهنساوية[5] مدينة بمصر من الصعيد الأدنى، تقع غربي النيل ،وهي من البلاد الواقعة على رأس الطرق الصحراوية في الواحات[6] ، وأطلق عليها بهنسا الواحات، وهي مدينة مسورة[7]، وهي من المدن العامرة الكبيرة كثيرة

---

[1] سعيد مغاوري : النشاط التجاري ، ص ٨٤٨ .

[2] الركاضون : ركض الرجل أي عدا مسرعا ، وركض الأرض ضربها برجله والركض مشي الإنسان برجليه (ابن منظور: لسان العرب ، ج ٣ ، ص ١٧١٨، النابلسي : تاريخ الفيوم وبلاده، ص١٧، سعيد مغاوري: مرجع سابق ، ص٨٤٨.) .

[3] النابلسي : تاريخ الفيوم وبلاده، ص١٧، سعيد مغاوري: مرجع سابق ، ص٨٤٨.

[4] النابلسي : مصدر سابق ، ص١٧-٢٤ .

[5] ابن مماتي : قوانين الدواوين ، ص ١١٩ ، ياقوت الحموي: معجم البلدان، م١، ص٥٢٦ .

[6] المقريزي: السلوك، ج١، ق١، ص١١٠، محمد أحمد محمد: مظاهر الحضارة في الوجه القبلي، ص٧٦-٨٠.

[7] أبو عبيد البكري: المغرب في ذكر بلاد إفريقيا والمغرب موجز كتاب المسالك والممالك ، مكتبة المثنى ، بغداد، د.ت ، ص١٤.

الدخل، وتقع بالقرب من ضفة النيل وليس عليها[1]. وينسب إليها جماعة من أهل العلم والأدب ومنهم أبو الحسن أحمد بن عبد الله بن الحسين بن محمد العطار البهنسي وغيره[2]. وهى جامعة لأمم شتى[3]، حيث يتواجد بها عرب مسلمون ونصارى[4].

تقع البهنسا على بعد سبعة أيام من مصر الفسطاط[5]، وكانت متحصلات قريتي أشميم وطنبدي التابعين لعمل البهنسا مخصصين للإنفاق على ديوان الأسطول[6].

البَهْنَسا وإنتاج المنسوجات

من المدن التى اشتهرت بإنتاج المنسوجات البهنسا ، فكان ينسج بها طراز للخاصة وطراز للعامة، فأما طراز الخاصة فكان ينسج به الستور المعروفة بالبهنسا، والمقاطع السلطانية،والمضارب الكبار والثياب المتحيزة .أما طراز العامة فهى كثيرة، ويقيم التجار هذه المنسوجات، ففى الستور الثمينة والغالية والتى بلغ طول الستر فيها ثلاثون ذراعاً وأزيد وأنقص، وقد بلغ قيمة الزوج منها مائتا مثقال من الذهب وأكثر من ذلك وأقل.وكان يكتب اسم الطراز المتخذ بالبهنسا سواء كانت عامة أو خاصة على الستور والأكسية وسائر أنواع الثياب، حيث يكتب عليها اسم الجيل المتقدم ومن تبعهم من الصناع[7].

وتنوعت المنسوجات بالبهنسا فمنها الصوفية، حيث كان يصنع بها الثياب الصوفية الجيدة[8]. واشتهرت بالطراز البهنسأوية حتى بلغ الطراز منها مائة دينار وهى بغير ذهب، وصنع بها أيضاً

---

(1) ياقوت الحموي: معجم البلدان ، ق١، ص٥٢٦، البغدادي: مراصد الأطلاع، ج١، ص٢٣٥.

(2) ياقوت الحموي: مصدر سابق، ق١،ص٥٢٦.

(3) الإدريسي: نزهة المشتاق، ص١٣٠.

(4) البكري : المغرب فى ذكر بلاد إفريقيا، ص١٤.

(5) الإدريسي: مصدر سابق ، ص١٣٠.

(6) حسنين ربيع: النظم المالية، ص٧١.

(7) الإدريسي: مصدر سابق، ص١٣٠ ،المقريزي: الخطط، ج١، ص٦٦٠.

(8) ابن بطوطة: مهذب الرحلة: تحفة النظار، ج١، ص٣٦-٤١.

الأكسية الصوفية العسلية [1].

لم تقتصر صناعة البهنسا على المنسوجات الصوفية، بل عرفت بصناعة المنسوجات القطنية أيضاً والتي اشتهرت بها في العصر الأيوبي[2]. فعمل من القطن أغطية الرأس، والملاءات، وساعد ذلك على ازدهار هذه الصناعة ورواجها كثرة العلماء والمتصوفين المستخدمين لها، غير أن القطن كان لا يكفى الإستهلاك المحلي بمصر ولذلك استوردت مصر كميات هائلة منه واستمرت فى استيراده حتى نهاية العصور الوسطى. وقد تواجدت مناسجها ومصانعها بجوار مناطق الخامات الصناعية سواء القطن أو الكتان[3]. كما اشتهرت البهنسا بإنتاج المنسوجات الكتانية[4].

مما سبق يتضح أن البهنسا تواجد بها سائر أنواع المنسوجات الصوفية والقطنية[5]، والكتانية[6]. واشتهرت منسوجاتها من الستور البهنسية وغيرها بشهرتها فى جميع أنحاء الأرض[7] حتى بلغ الزوج من الستور ثلاثمائة دينار[8]، كما صنع بها الستور والمضارب والخيام من الأقمشة الثيلية السميكة[9]

[1] ابن اياس: بدائع الزهور، ج١، ق١، ص٤٥.

[2] سلام شافعي: أهل الذمة فى مصر، ص ١٤٥ ، العريني: مصر فى عصر الأيوبيين، ص١٩٧-١٩٨ .

[3] محمد أحمد محمد: مظاهر الحضارة فى الوجه القبلي، ص٥٧-٥٨.

[4] سلام شافعي: مرجع سابق، ص١٤٥.

[5] الإدريسي: نزهة المشتاق، ص١٣٠.

[6] سلام شافعي: مرجع سابق، ص١٤٥.

[7] الإدريسي: مصدر سابق، ص١٤٥.

[8] عبد الرحمن عمار: تاريخ فن النسيج، ص٥٣.

[9] العبادي: الحياة الاقتصادية، ص٣٣٤.

إنتاج البَهْنَسا من المعادن

تميزت مدينة البهنسا بإنتاجها لمعدن الزمرد الذى ليس فى الدنيا معدن مثله إلا بمصر، ويوجد بها أيضاً معدن الشب، الرخام والذى يتواجد بها فى شكل مقاطع رخامية إلى جانب ذلك عرفت بإنتاج الملح[1].

البَهْنَسا وصناعة الورق

واشتهرت أيضاً بصناعة ورق البردي من نبات البردي الذى ينتمي إلـى الفصـيلة السـعدية (ذوات الفلقة الواحدة). حيث عرفت مدينة البهنسا بزراعته بالوجه القبلي[2] .

البَهْنَسا وإنتاج التمر

كما اشتهرت بإنتاج التمر، حيث يذكر أنه كان ببعض ضياعها نخلة بلح تطرح مائـة وواحـد وعشرون عرجوناً من البلح الفاخر في كل سنة أما ما كان يتحصل من البهنسا وقراها فقد بلغ إثنـي عشر أردباً بلحاً فى كل سنة[3].

البَهْنَسا وإنتاجها من الزيوت

وكذلك بإنتاجها للزيوت وساعدها على ذلك زراعتها لكميات كبيرة من النباتـات الزيتيـة فـى العصر الأيوبي فاشتهرت بإنتاجها لكميات كبيرة من الزيوت والتي كان يتم نقلها إلـى سـائر مـدن مصر[4].

---

(1) ابن إياس: نزهة الأمم، ص٢٩.

(2) سعيد مغاوري : النشاط التجاري بين بلدان العالم العربي ، ص٨٦٠ .

(3) ابن إياس : بدائع الزهور ، ج١ ، ص٢٢ .

(4) محمد أحمد محمد : مظاهر الحضارة في الوجه القبلي ، ص٥٧-٥٨ .

مدينة البَهْنَسَا التجارية

نظراً لوقوع مدينة البهنسا على رأس الطرق الصحراوية فى الواحات، وعلى الرغم من موقعها الجغرافي إلا أن ذلك لم يمنع من نشاط حركة الرواج التجاري بها وخاصة ما تحتاجه القوافل المتجهه إلى الواحات لاستخراج المعادن المختلفة[١].

أما أسواق البهنسا فعرفت هى الأخرى برواجها التجاري، حيث كان يقام لكل سلعة سوق خاص بها ويشرف عليها المحتسب بواسطة عريف يتقن الصنعة كما كان هناك نظام السمسرة فى أسواقها[٢]، ومن المنتجات التى كانت رائجة فى البهنسا المنسوجات بأنواعها الصوفية، الكتانية. وقد لعبت صناعة المنسوجات دوراً كبيراً فى حركة التجارة[٣]. كما كان من مصادر رواج تجارتها أشجار السنط[٤] والمعادن مثل الملح، والرخام، والزمرد، إلى جانب إنتاجها من التمور[٥].

مدينة القَيَس

هى مدينة قديمة على الجانب الغربي من ضفة النيل[٦]، كما أنها من المدن التى تجاور مدينة البهنسا، وكان يقال القيس والبهنسا[٧]. وهى بخلاف القيس التى تقع على بلاد الساحل القريبة من ديار مصر على البحر المتوسط[٨].

---

[١] محمد أحمد محمد: مظاهر الحضارة فى الوجة القبلى ، ص٧٦.

[٢] الشيزري : نهاية الرتبة ، ص١١٣ .

[٣] سيعد مغاوري: النشاط التجاري بين بلدان العالم العربي ، ص٨٥.

[٤] المقريزي: الخطط، ج١، ص٣١٧.

[٥] ابن اياس: بدائع الزهور، ج١ص٢٢ ، نزهة الأمم، ص٢٩.

[٦] الإدريسي: نزهة المشتاق، ص١٢٤.

[٧] ابن اياس: نزهة الأمم، ص١٩٩.

[٨] عبد العال عبد المنعم: مدن مصر وقراها عند ياقوت، ص٣٤.

صناعة المنسوجات

اشتهرت مدينة القيس بإنتاج المنسوجات الصوفية حيث كان يعمل بها الأكسية العسلية من صوف الأغنام والتي كانت تغنى عن لبس الفراء. واشتهرت مدينة القيس وغيرها من مدن الصعيد بإنتاجها لمثل تلك المنسوجات وتنوعت منسوجات القيس في العصر الأيوبي فصنع منها : الستور ، والمضارب والتي كان يتم تصديرها إلى الخارج[١] .

القَيَس وإنتاج السكر والتمور

عرفت مدينة قيس بإنتاجها لقصب السكر بكثرة[٢]. وليس أدل على ذلك من ذكر الإدريسي أن بالقيس مزارع قصب السكر وبها من المسابك التى تكفي لإنتاج السكر الأحمر والذى يعرف بأنه أكثر صلابة من السكر الأبيض[٣]. كما عرفت القيس بإنتاج التمور[٤].

القَيَس كمدينة تجارية

عرفت مدينة القيس برواج تجارتها فى المنسوجات وخاصة المنسوجات الصوفية[٥]، والتى كان يتم تصديرها إلى بلاد المغرب والمشرق العربي[٦]، إلى جانب التمور والسكر[٧].

---

[١] المقريزي : الخطط ، ج١ ، ص٧٧٢ ، ابن اياس :نزهة الأمم، ص١٩٩ .

[٢] الإدريسي: نزهة المشتاق، ص١٢٤.

[٣] خالد مشهود: الصناعة فى عصر سلاطين المماليك، ص١٠٧.

[٤] الإدريسي: مصدر سابق، ص١٢٤.

[٥] المقريزي مصدر سابق ،ج١، ص٥٧٢.

[٦] سعيد مغأوري: النشاط التجاري بين بلدان العالم العربي، ص٨٥٩.

[٧] الإدريسي: مصدر سابق، ص١٢٤.

مدينة دلاص

بفتح أوله وأخره صاد مهمله: وهى مدينة بصعيد مصر غربي النيل[1]، وهى مدينة قديمة عجيبة البناء، وفيها غرائب[2] وهى مدينة واسعة وتتبع كوره البهنسا[3]، وكانت من المدن العامرة، ويتواجد بها قبط[4].

صناعة المنسوجات

عرفت مدينة دلاص بإنتاج المنسوجات الحريرية، واعتمدت في صناعتها لها على ما تستورده من الحرير من سوريا[5] كما عرفت مدينة دلاص بإنتاجها للمنسوجات الكتانية وساعدها على تلك توافر الكتان بها والتي كانت تقوم بزراعته[6]. كذلك عرفت بجانب إنتاجها للمنسوجات الحريرية والكتانية عرفت بإنتاج المنسوجات الصوفية والقطنية[7].

صناعة الفخار

وفي دلاص نشطت صناعة الفخار الفخار واشتهرت دلاص بعمل الآنية التى كانت تستعمل فى جميع مدن مصر المعروفة بالبلاصى نسبة إليها لكثرة عمله بها وشهرتها عن غيرها من البلاد المجاورة لها[8] .

---

[1] البغدادي: مراصد الأطلاع، ج٢، ص٥٣٠.

[2] مجهول : الاستبصار ، ص٨٤ .

[3] ابن مماتي : قوانين الدواوين ، ص ١٤٠ .

[4] الإدريسي: نزهة المشتاق، ص١٣٠.

[5] العريني : مصر في عصر الأيوبيين ، ص١٩٧ - ١٩٨ .

[6] ابن مماتي : مصدر سابق ، ص٢٥٨ .

[7] العريني: مرجع سابق، ص١٩٧-١٩٨.

[8] عبد المنعم المليجى : مجمع البدائع والفنون والصنائع ، ص ٦٥

مدينة دلاص وإنتاجها من أدوات اللجم والحديد

عرفت مدينة دلاص بإنتاج اللجم الدلاصية المنسوبة لها حيث انتشرت بها صناعة الحدادة والتي كانت رائجة بالمدينة، وبلغ من تفوقها أنها نسبت لها اللجم الدلاصية، كما عرفت بصناعة الحديد[1].

مدينة دلاص التجارية

راجت تجارة مدينة دلاص وخاصة ما كانت تنتجه المدينة من المنسوجات الصوفية،القطنية، الحريرية، الكتانية[2]، إلى جانب اللجم المعروفة باللجم الدلاصية[3] إلى جانب الفخار الذى عرفت به مثل البلاصي والذى راج في جميع مدن مصر[4].

مدينة الأُشْمُونَيْن

بالنون ويقال اسمها القديم أشمون[5]، وأهل مصر يقولون الأشمونيين، وهى مدينة قديمة عامرة. وتعد قصبة إقليم الأشمونين وهى من مدن الصعيد الأدنى غربي النيل[6]. وكانت واقعه على النيل تجاه مدينة أنصنا[7]، وتعد من أعظم مدن الصعيد[8]، وهى مدينة صغيرة عامرة ذات نخيل وزروع وبساتين، ويغذيها من شمالي النيل مدينة يقال لها بوصير[9].

---

(1) الادريسي : نزهة المشتاق ، ص١٣٠ .

(2) ابن مماتي: قوانيين الدواوين ، ص٢٥٨.

(3) عبد المنعم المليجي: مجمع البدائع في الفنون والصنائع، ص٦٥.

(4) الادريسي : مصدر سابق ، ص١٣٠ .

(5) ابن ظهيرة: الفضائل الباهرة، ص٦٢.

(6) البغدادي: مراصد الأطلاع، ج١، ص٨٤.

(7) ابن ظهيرة: مصدر سابق ،ص٦٢.

(8) المقريزي: الخطط، ج١، ص٦٦٤.

(9) بوصير: تقع شمال مدينة الأشمونين وموقعها على النيل، وهى مدينة صغيرة ومتصلة العمارة وحولها قرى كثيرة الخصب والأشجار (الأصطخري: المسالك والممالك، ص٤١).

مدينة الأشمُونيْن وإنتاجها للمنسوجات

من المدن الهامة التى اشتهرت بصناعة النسيج، وكانت من أهم المراكـز الهامـة لصـناعة الأقمشة الصوفية الرفيعة إلى جانب ذلك انتشر بها صناعة المنسوجات الكتانية وخاصة أنهـا عرفت بزراعتها للكتان[1]. وعرفت مدينة الأشمونين بإنتاج فرش القرمز الذى يشبه الأرمني. وقد ذكر أبـو صالح الأرمني بأنها كانت مركزاً لصناعة المنسوجات المعروفة بالسملوسيات من شعر الماعز، وقـد امتدح هذا النوع من المنسوجات فقيل (أنه لا مثيل له فى العالم) وليس فى الدنيا إلا فى بمصر[2]. ومن الأقمشة التيلية السميكة التى أنتجتها تلك المدينة الستور والمضارب، والخيـام، وقـد بلغـت جـودة منسوجاتها بأنها كان تصدر إلى بلاد فارس[3].

صناعة الزجاج بالأشمُونيْن

اشتهرت مدينة الأشمونيين بأنها من أهم المراكز الصناعية فى صناعة الزجاج خلال العصـر الأيوبي[4]، حيث يذكر أنه كان هناك أسر بأكملها فى الصعيد تتوارث هذه الصناعة ، فكان يتوارثهـا الأفراد والأحفاد عن الأباء والأجداد. وتثبت ذلك الشواهد التى على القبور، وكانت تلـك الصـناعات تحتاج إلى أماكن مخصصة على أطراف المدينة وذلك لإضرارها بالصحة ولذلك كانت تتطلب أمـاكن فسيحة ويشرف عليها عرفاء بمباشرة المحتسب[5]

مدينة الأشمُونيْن وإنتاجها للمواد الغذائية

اشتهرت مدينة الأشمونيين بإنتاج الحـــبوب من الأرز وغيـره مـن الحبـــوب الـــتى كانــــت تحمل مـــنها إلى ســـائر الأفـــاق[6].

---

[1] العريني : مصر في عصر الأيوبيين ، ص١٩٧ ، محمد أحمد محمد : مظاهر الحضارة في الوجه القبلي ، ص٦٠.

[2] سلام شافعي : أهل الزمة ، ص١٥٥ .

[3] العبادي: الحياة الاقتصادية، ص٣٢٤ ، محمد أحمد محمد: مرجع سابق، ص٦٠.

[4] الحويري: مصر فى العصور الوسطى، ص٥٩.

[5] محمد أحمد محمد: مرجع سابق، ص٥٨.

[6] ابن ظهيرة: الفضائل الباهرة، ص٦٢.

وإلى جانب الحبوب كان ينتج بها الفواكه[1].

مدينة الأشْمُونيْن التجارية

كان لموقعها على طول نهر النيل، عامل من عوامل نشاط حركة تجارتها[2]، فكانت تقوم بنقل أخشاب السنط إلى مصر الفسطاط[3]، إلى جانب المنسوجات التي اشتهرت وعرفت بها، حيث عرفت بنوع من المنسوجات يسمى القرمزي يشبه الأرمني كان يتم تصديره إلى بلاد فارس[4]، إلى جانب الفاكهة والحبوب التي كانت تصدر إلى سائر مدن مصر[5]. كما عرفت المدينة بإنتاجها للبردي والتي كانت تقوم بتصديره للمغرب[6].

منْيَة ابنْ خصيب

بالفتح ثم السكون ثم ياء مفتوحة. وهي مدينة بالصعيد الأدنى[7]، تقع على الضفة الشرقية من النيل وبينها وبين القيس نصف يوم[8]، ونقع ضمن إقليم الأشمونين[9] .

وهي مدينة كبيرة، حسنة كثيرة الأهل والسكن على شاطئ النيل[10]، ويقع قباله منيتها في البر الشرقي بلدة يقال لها عين شمس وبها آثار عجيبة وليست بعين شمس التي عند المطرية[11].

---

[1] ابن مماتي:قوانين الدواوين، ص١٩٢.

[2] البغدادي: مراصد الأطلاع، ج١، ص٨٤.

[3] المقريزي:الخطط، ج١، ص٣١٧.

[4] سلام شافعي: أهل الذمة في مصر ، ص١٥٥.

[5] ابن ظهيرة:الفضائل الباهرة، ص٦٢.

[6] سعيد مغاوري : النشاط التجاري بين بلدان العالم العربي ، ص٨٦٠ .

[7] البغدادي: مصدر سابق، ج٣، ص١٣٢٧.

[8] الإدريسي: نزهة المشتاق، ص١٢٤.

[9] ابن شاهين: زبدة كشف الممالك، ص٣٢.

[10] البغدادي: مصدر سابق، ج٣، ص١٣٢٧.

[11] الهروي: الإشارات إلى معرفة الزيارات، ص٤٢.

إنتاج المدينة

تنتج المدينة الأقمشة المختلفة[١]، كما تنتج المدينة قصب السكر[٢]، والذى ترتب عليه صناعة الحلوى، إلى جانب إنتاجها من الأعناب. وعرفت بإنتاج الزيوت بحيث كان يزرع بها النباتات الزيتية[٣]، وعرفت بإنتاج الطيور[٤].

الجانب التجاري للمدينة

عرفت المدينة بمرافقها التجارية كالأسواق، الفنادق، إلى جانب الحمامات، المساجد والأدر[٥]،وكانت أسواقها مكتظة بالبضائع والأقمشة، ويحصل من خلالها في اليوم ألف درهم ، وقيل أن هذه المدينة لم يكن بالوجه القبلي أحسن منها[٦].

مدينة طَحا

بالفتح والقصر. كوره بمصر شمالي الصعيد غربي النيل، وينسب إليها الإمام الطحاوي[٧]وتتبع إقليم الأشمونيين[٨] . هى مدينة بصعيد مصر تقع أسفل الأشمونيين، عرفت بإنتاج الثياب الصوفية الرفيعة، وكان يعمل بها الستور والأكسية الصوفية المنسوبة إليها[٩].

---

[١] ابن دقماق: الإنتصار، ق٢، ص٢٢.

[٢] الإدريسى:نزهة المشتاق ، ص١٢٤.

[٣] محمد أحمد محمد: مظاهر الحضارة في الوجه القبلي، ص٥٧-٥٨.

[٤] الهروي: الإشارات، ص٤٢.

[٥] ابن جبير: الرحلة، ص٣٢.

[٦] ابن دقماق: مصدر سابق، ق٢، ص٢٢.

[٧] البغدادي: مراصد الأطلاع، ج٢، ص٨٨٠.

[٨] ابن مماتى : قوانين الدواوين ، ص ١٦٣ .

[٩] الادريسى: مصدر سابق، ص١٢٥.

مدينة أنْصِنا

بفتح أولها وإسكان ثانيها بعده صاد مهمله مكسورة ونون وألف. كوره من كور مصر القديمة وهى مدينة قديمة بصعيد مصر، وفيها برابي وآثار كثيرة[1] . وتتبع إقليم الأشمونيين[2] وتقع مدينة أنصنا بشرقى النيل[3]، وتبعد عن الفسطاط مصر بعشرة أميال[4]، ويحيط بها سور عتيق. ويذكر أن صلاح الدين هدمه وحمل أحجاره إلى القاهرة[5].

اشتهرت ميدنة أنصنا بكثرة ثمارها ومتنزهاتها فهى غزيرة الخصب وبها الفواكه والثمار[6]. عرفت المدينة بإنتاج البنج وهو عود ينشر منه ألواح للسفن وربما أرعفت ناشرها ، ويباع اللوح منها بخمسين ديناراً أو نحوها وإذا شد لوح منها بلوح وطرح فى الماء ستة أيام صارا لوحاً واحداً[7]. كما عرفت بإنتاج شجر اللبخ ذى الأهمية فى مجال بناء السفن[8].

مدينة أهْنَاس

بالفتح ، اسم لموضعين بمصر أحدهما اسم كوره بالصعيد الأدنى ، وتتبع إقليم البهنساوية[9] .
وإهناس مدينة قديمة ، قد خرب أكثرها ، تقع غربي النيل[10] ، وعرفت مدينة إهناس بكثرة خيراتها وزراعتها فكثر بها إنتاج الزيتون[12] ، والتمر، وشجر البنج والذى كان تستخدم أخشابه في صناعة

---

(1) البغدادي: مراصد الإطلاع ، ج١، ص١٢٤، المقريزي: الخطط ، ج١، ص٥٧١.

(2) ابن مماتى : قوانين الدواوين ، ص ١١٥ .

(3) الإدريسي: نزهة المشتاق، ص١٢٤.

(4) مجهول: الإستبصار، ص٨٥.

(5) ابن جبير :الرحلة ، ص٣٣.

(6) الإدريسي : مصدر سابق، ص١٢٤.

(7) المقريزي: مصدر سابق، ج١، ص٥٧١ ، ابن ايا‌س: نزهة الأمم، ص١٩٧-١٩٨.

(8) عبد العال عبد المنعم: مدن مصر وقراها، ص٤٨.

(9) ابن مماتى : مصدر سابق ، ص ١٠٤ .

(10) البغدادي : مصدر سابق ، ج١، ص١٣٥ .

(12) ابن ظهيرة: الفضائل الباهرة، ص٦١.

السفن[1] ، إلى جانب ذلك عرفت بصناعة النيدة[2] أما حركة تجارتها فقد عرفت بأسواقها التي امتلأت بما تنتجه من السلع المختلفة والتي عرفت برخصها كما عرفت بكثرة متاجرها واتساعها[3] .

[1] المقريزي: الخطط، ج١، ص٦٥٩.

[2] النيدة : كما سبق ذكره : هي نوع من الفطائر كان يصنع من القمح بعد تركه أياماً في الماء ثم يتم تجفيفه وطحنه ثم يوضع تدريجياً في اناء به ماء ساخن لينضج (ابن ظهيرة : الفضائل الباهرة ، ص٦١) .

[3] الادريسي : نزهة المشتاق ، ص١٣٠ .

مدينة قَطْيا

سميت بذلك الاسم نسبة إلى عرب من قبيلة جذام يقال لهم القاطع نزلوا فى ذلك المكان بعد [illegible] خربت[1] مدينة الفرما سنة(٥٦١هـ/١١٦٥م) [2]. وهى بمفردها مزم الدرب[3] وتتبع الجفار[4] وتقع فى طريق الشام إلى الديار المصرية[5] ولا يمكن التوصل إلى الديار المصرية إلا منها وتقع على بعد ستة وعشرين ميلاً من القنطرة إلى العريش، ولم تكن بلدة صناعية تنتج الرطب، والأسماك [illegible] كانت تجارية. ففي بداية أمرها كانت قرية صغيرة مساكنها من جريد النخل وبها بئر ماء وسوق صغير[6].

ولكن ما لبثت أن أصبحت بلدة تجارية بها جامع ومارستان،وقاضي،وناظروشهود.ولا يمكن لأحد الجواز من مصر إلى بلاد الشام أو العكس إلا بورقة[7]، حيث كان يؤخذ منها [illegible] من التجار، وكان السلاطين يعينون القبائل لحفظ هذا الطريق وخاصة أنها كانت عرضة دائماً [illegible] الفرنجة[8]

---

[1] محمد الشاعر : الشرقية ، ص٨٣ .

[2] الفرما : على وزن فعلان ، تقع على الساحل الشرقي لمصر على نهر النيل ، على [illegible] تنيس ، عرفت بإنتاجها من التمر والاسماك والرخام الأبلق . ولعب دوراً تجارياً حيث [illegible] قبرص كما كان ينقل من خلالها التجارة الواصلة إلى القلزم إلى سواحل البحر الابيض [illegible] سنة ٥٤٥(هـ/١١٤٥م) وظلت تمارس عملها حتى سنة(٥٦١هـ/١١٦٥م). (ابن [illegible] : [illegible] ، ص١٠٦ ، المقريزي : الخطط ، ج١ ، ص٥٩١ ، ابن دقماق : الانتصار ، ق٢ ، ص٥٣ ، [illegible] : أحسن التقاسيم ، ص١٨-٢٠ ، ابن اياس : نزهة الامم ، ص٢٠٣) .

[3] ابن شاهين: زبدة كشف الممالك، ص٣٤.

[4] الجفار: يشمل خمس مدن (الفرما، الوارده، العريش، رفح، البقارة) سمي بذلك لان كله رمل [illegible] الشمس فيه على الناس ، ولكثرة رمله وبعد مراحله . حيث تحفر فيه الابل وغيرها فتهلك (العمري: مسالك الأبصار، ص٩٥-٩٥).

[5] القلقشندي: صبح الاعشى، ج٣، ص٣٦٦.

[6] محمد الشاعر : مرجع سابق ، ص١٦-١٧ .

[7] ابن دقماق :مصدر سابق ، ق٢، ص٥٣.

[8] ابن شاهين: زبدة كشف الممالك، ص٣٤.